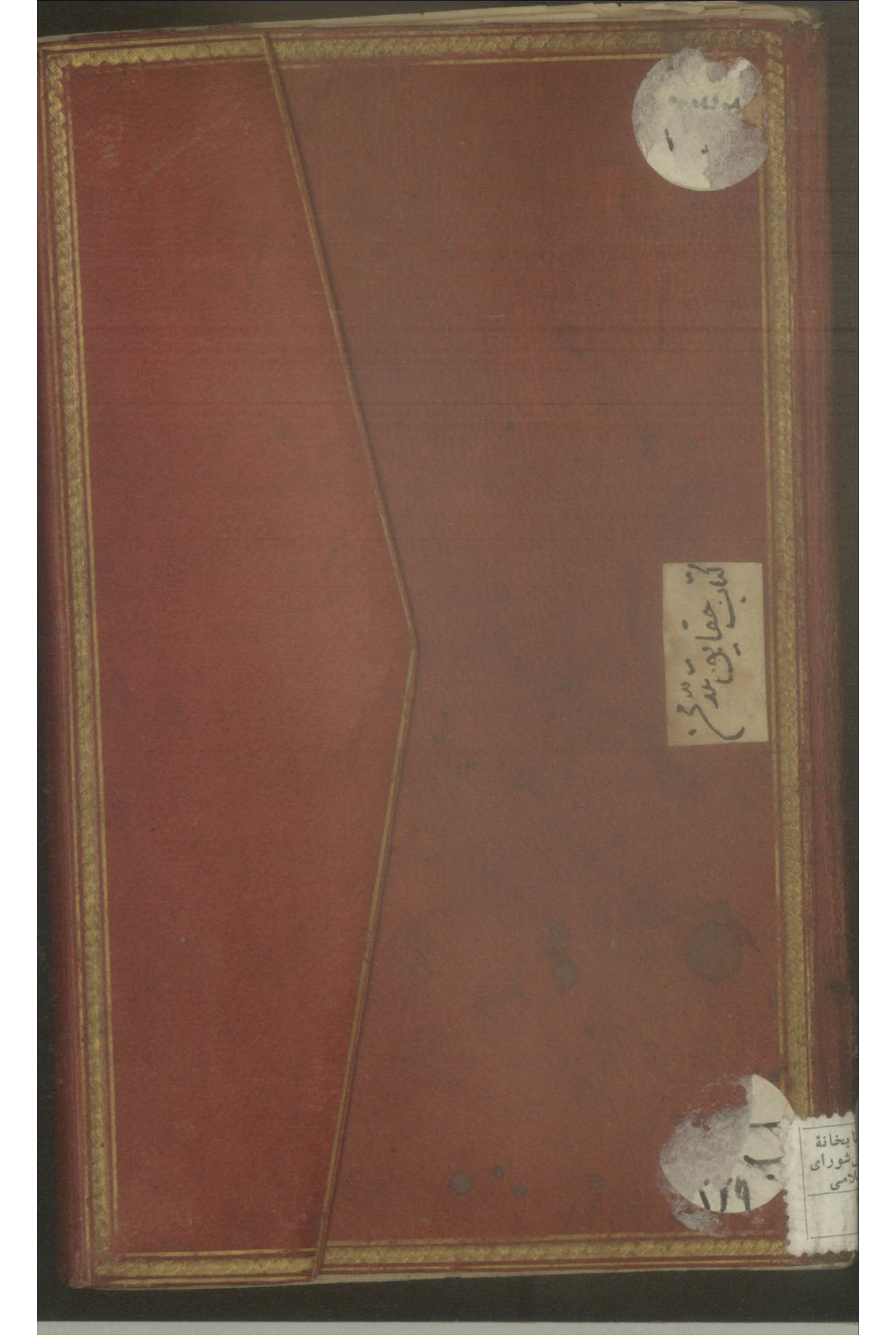
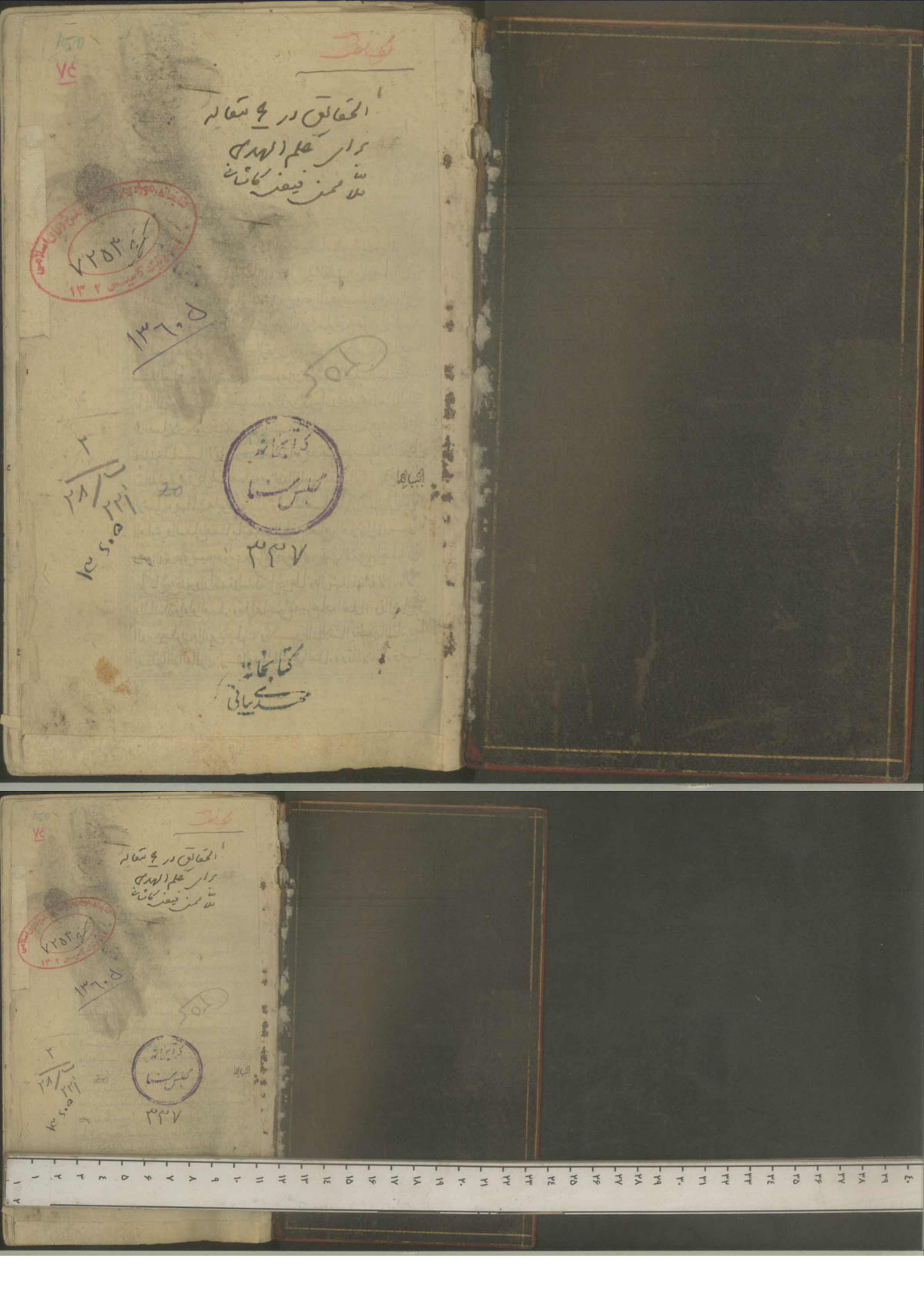
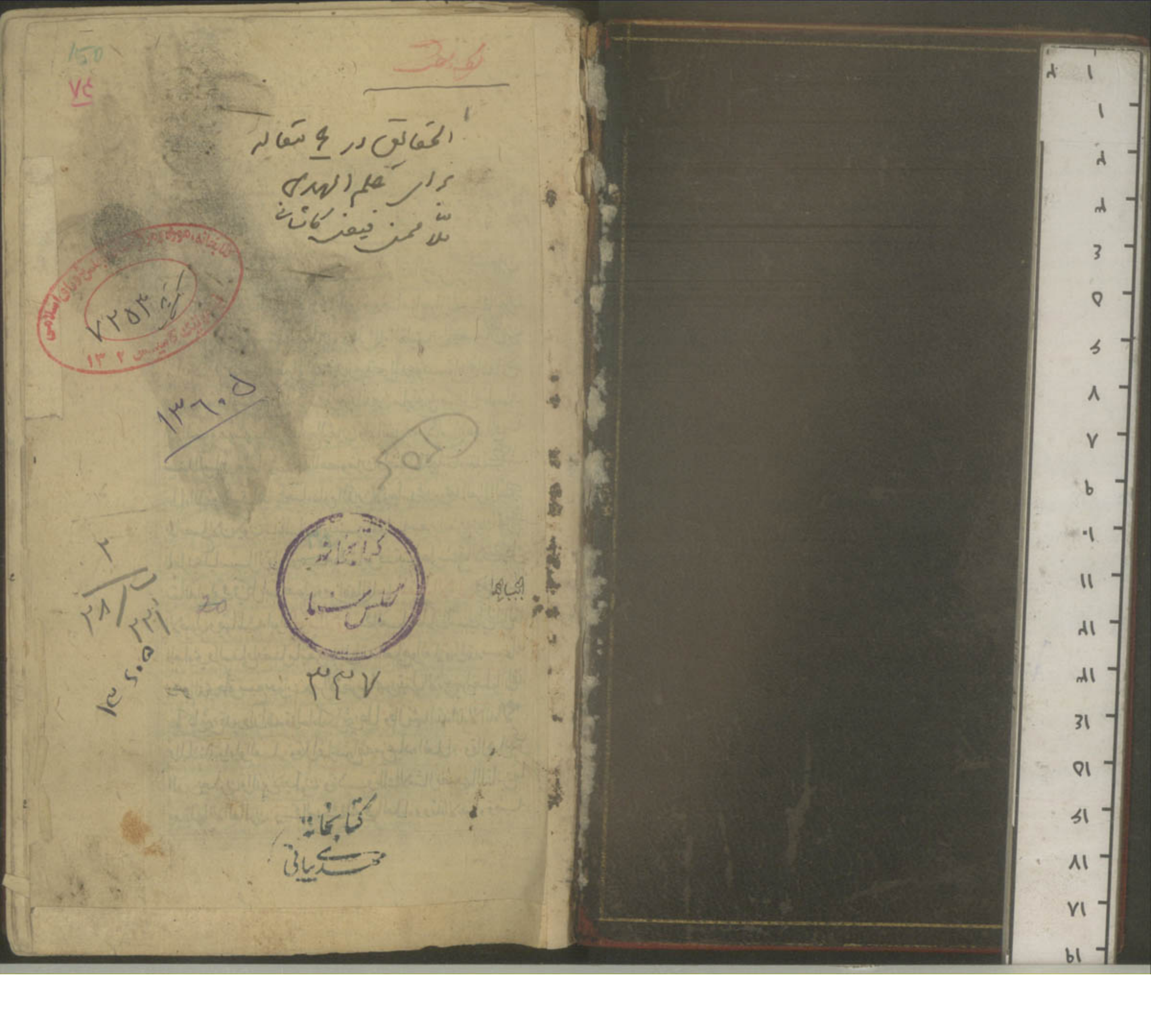



الحقائق در ۶ مقاله
برای علم الهدی
ملا محسن فیض کاشانی
۱۳۶۰۵
۳۴۷
کتابخانهٔ مجلس سنا
کتابخانهٔ محمد بیانی



الحقائق در ۶ مقاله
برای علم الهدی
ملا محسن فیض کاشانی
۷۲۵۳
۱۳۶۰۵
۳۴۷
کتابخانه
محمد بیانی

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي نور قلوبنا بنور الايمان وعرفنا من اسرار الحديث والقران والصلوة على محمد سيد المرسلين وعلى اله الطيبين المعصومين الطاهرين

اما بعد فيقول الفقير الى الله محمد بن مرتضى المدعو بمحسن ايده الله اني اذكر بعون الله تعالى في هذا الكتاب من اسرار الدين ما ينتفع به من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد الى معارج اليقين وانما اخذته من كتاب الله تعالى وسنة سيد المرسلين واحاديث الائمة المعصومين واضفت اليه ما وجدته في كتب علماء الدين ولا سيما كتاب احياء علوم الدين لابي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي مما يصلح لان يكون بيانا لمبانيه وتفسيرا لمعانيه بتقرير اتقن ومزيد متقن موثرا للفرايد مخليا سبيل الزوايد وسميته بالحقايق ورتبته على ست مقالات في كل مقالة ابواب وفي كل باب فصول ومن الله التاييد

المقالة الاولى فيما هو بمنزلة الاصول وفيها ثلثة ابواب

الباب الاول في العلم

اعلم ان السبب الكلي لخلق العالم العلوي والسفلي وافضل ما يتقرب به الى الله العلي هو العلم قال الله سبحانه وهو الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وفي الحديث النبوي العلماء ورثة الانبياء وفيه

من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقايقه ولا سبيل الى ذلك الا بالتعلم والهدى والخشية والتقوى والفطنة والذكا وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله عليه منها بشيء الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفي هو الذي اراده النبي صلى الله عليه واله بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله عز وجل ولم يتحمله الا اهل الاعتراف بالله فلا تحقروا عالما اتاه الله علما فان الله عز وجل لم يحقره اذ اتاه اياه وعن امير المؤمنين عليه السلام انه قال ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه الى ان قال قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس وفي كلام اخر له عليه السلام قد احيى قلبه وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه لطمانينة بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه وقال عليه السلام اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة وقال عليه السلام تعلمت من رسول الله صلى الله عليه واله الف باب من العلم ففتح لي كل باب الف باب وسأله كميل بن زياد النخعي عن الحقيقة فقال عليه السلام ما لك والحقيقة

قال اولست صاحب سرك قال بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح مني ثم اجابه
عما سأل وعن كميل انه عليه السلام اخذ بيدي فاخرجني الى الجبان فلما
اصحر تنفس الصعداء ثم قال لي يا كميل بن زياد ان هذه القلوب اوعية فخيرها
اوعاها فاحفظ عني ما اقول لك الناس ثلثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل
النجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم
ولم يلجأوا الى ركن وثيق الى ان قال هاه ان ههنا لعلما جما واشار الى صدره
لو اصبت له حملة بلى اصيب لقنا غير مأمون عليه مستعملا آلة الدين للدنيا
ومستظهرا بنعم الله على عباده وبحججه على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا بصيرة
له في احنائه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة الا لا ذا ولا ذاك
او منهوما باللذة سلس القياد للشهوة او مغرى بالجمع والادخار ليسا من رعاة
الدين في شيء اقرب شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه
اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا
لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا واين اولئك اولئك والله الاقلون عددا
الاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها نظرائهم و
يزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا
روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون
وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في
ارضه والدعاة الى دينه آه آه شوقا الى رؤيتهم وعن السجاد عليه السلام
انه قال والله لو علم ابو ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد آخا رسول الله صلى
الله عليه وآله بينهما فما ظنكم بساير الخلق ان علم العلماء صعب مستصعب
لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان

وقال في رواية اخرى

قال وانما صار سلمان من العلماء لانه امرؤ منا اهل البيت فلذلك نسبته
الى العلماء اراد عليه السلام اهل بيت التوحيد والعلم والمعرفة والحكمة
لا اهل بيت النسوان والصبيان والاهل والاولاد وفي الحديث النبوي
صلى الله عليه وآله ايضا سلمان منا اهل البيت وفيه ايضا لو علم ابو ذر
ما في بطن سلمان من الحكمة لكفره وفي رواية لقتله وعن السجاد عليه السلام
في ابيات منسوبة اليه اني لاكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا ابو حسن الى الحسين ووصى قبله الحسنا يا رب جوهر علم
لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون
اقبح ما ياتونه حسنا وعن الباقر عليه السلام الناس كلهم بهائم الا قليل
من المؤمنين اقول وتصديق ذلك قول الله سبحانه ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وعن الصادق
عليه السلام ان امرنا سر مستور في سر مقنع بالميثاق من هتكه اذله الله
وقال عليه السلام ان امرنا سر مستور في سر وسر مستسر وسر لا يفيده
الا سر وسر على سر مقنع بسر وقال عليه السلام هو الحق وحق الحق وهو
الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهو السر وسر السر وسر المستسر وسر مقنع بالسر
وقال عليه السلام مشيرا الى وجوب كتمان هذا السر التقية ديني ودين آبائي
فمن لا تقية له لا دين له وقال عليه السلام خالطوا الناس بما يعرفون
ودعوهم مما ينكرون ولا تحملوا على انفسكم وعلينا ان امرنا صعب مستصعب
لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او مؤمن امتحن الله قلبه للايمان

فصل

واما العلم المقصود للعمل ليتوسل به الى العلم المقصود لذاته
فقسمان احدهما علم الاخلاق والثاني علم الشرايع اما علم الاخلاق فهو علم

احوال القلب اما ما يحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والتسليم
والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخا والعفو والاحسان وحسن
الظن وحسن المعاشرة واداء الامانة والصدق والاخلاص ومعرفة
المنة لله في جميع الاحوال فمعرفة حقايق هذه الاحوال وحدودها و
اسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها
حتى يقوى من علم الاخرة واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل
والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثنا وحب طول البقاء
في الدنيا للتمتع والكبر والرئاء والغضب والانفة والعداوة والبغضا
والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء و
الاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار
عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والمداهنة
والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من
القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل وضعف
الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله
في سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول
الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس
بالمخلوقين والوحشة لفراقهم الالاعانة منهم على الدين والجفاء والطيش و
العجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس
الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع
الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقايقها واسبابها و
ثمراتها وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين على من له اهلية ذلك والا

فبقدر

فبقدر حوصلته لا يكلف الله نفسا الا وسعها واما علم الشرايع فهو العلم
بكيفية العبادات المشروعة من الطهارة والصلوة والزكوة والصيام والحج
والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واسرارها والعلم بالاحكام المحدودة
من الحلال والحرام في المكاسب والمعاملات من البيع والشراء والربوا والقرض
والقراض والاجارة والشركة والمزارعة والمداينة والرهان والضمان والكفالة
والوكالة والوديعة والاقرار والصلح والعطايا والبر والنكاح والفراق وقسمة
المواريث والعلم بالحدود والتعزيرات والقصاص والديات وتجهيز الاموات
والعلم بآداب الاكل والشرب واللباس والمسكن والتحية والضيافة والطيب
والكلام والمواخاة والمعاشرة والسفر والحقوق الى غير ذلك وهو ايضا فرض
عين بقدر الاحتياج والذكاء وفرض كفاية للفتيا والقضاء واما الطريق الى
تحصيل هذين العلمين اعني علم الاخلاق وعلم الشرايع فهو ما نتلو عليك
فاستمع واتبع سبيل الذين هم مهتدون ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون

فصل اعلم ان كلا من العلوم الثلثة الاخروية يسمى بعلم الدين وعلم
الفقه ويتعلق بالتفقه في الدين قال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم
طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم
يحذرون وقال الصادق عليه السلام لاصحابه عليكم بالتفقه في دين الله
ولا تكونوا اعرابا فانه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيمة ولم يزك
له عملا وقال عليه السلام ليت السياط على رؤس اصحابي حتى يتفقهوا في الحلال
والحرام وقال عليه السلام ان آية الكذاب بان يخبرك بخبر السماء والارض و
المشرق والمغرب فاذا سألته عن حرام الله وحلاله لم يكن عنده شيء الى غير
ذلك مما في هذا المعنى فالتفقه في الدين عبارة عن تحصيل البصيرة في المسائل

يسمى

رواه الشيخ المجلسي ... في كتاب معالم الدين ...

الدينية علمية كانت او عملية باطنية او ظاهرية متعلقة بالعبادات
او المعاملات فرضا معرفتها او العمل بها او سنة او ادبا وغرضنا الان بيان
كيفية هذا التحصيل فان الناس اختلفوا فيه حتى اوقعوا الجماهير في التيه
ونحن بتاييد الله عز وجل نكشف عن وجه الحق فيه النقاب بحيث لا يبقى
معه شك ولا ارتياب فنقول ان الناس كانوا في زمن رسول الله صلى الله
عليه واله ياخذون العلم عنه بما يوحى اليه واما بعده فصاروا فرقتين فرقة
قالوا بالاجماع الزعمي في تعيين الامام وباتباع المتشابهات في العقايد والاحكام
مضافا الى المحكمات ابتغاء الفتنة وابتغاء التاويل واختيار المدلول قبل
اختلاق الدليل وهم اصحاب ابي بكر بن ابي قحافة التيمي وعمر بن الخطاب العدوي
ومن يحذو حذوهم من الذين قالوا بالاجتهاد والراي في كل شيء فيتبدل اراؤهم
ويختلف علماؤهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وان هم الا
يخرصون وهؤلاء صنفان مجتهد ومقلد اما مجتهدهم فكيفية التفقه عنده
استفراغ الوسع في تحصيل الظن فيما يحتاج اليه الناس من العلوم الدينية
اصولية كانت او فرعية من القوانين التي وضعوها والقواعد التي اخترعوها
للاستعانة بها على الاستنباط من المتشابهات واما مقلدهم فكيفية التفقه
عنده ان ياخذ من مجتهده ما استنبطه بنظره ولو بواسطة او وسايط وفرقة
قالوا بالنص من الله عز وجل في تعيين الامام والاقتصار على اتباع المحكمات في
العقايد والاحكام وقوفا على ما جاء به الوحي والتنزيل واتقاء عما كاد يفضي الى
الضلال والتضليل وهم اصحاب امير المؤمنين علي بن ابي طالب الذين لا يعولون
الا على النصوص بالخصوص في كل شيء مسلمين لامامهم الاخذ علمه من الله
ومن رسوله في كل ما انهاه اليهم في شيء شيء مطيعين لما امرهم الله تعالى حيث

قال

قال فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وحيث قال يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واما ما يرى من اجتهاد بعض
متاخري اصحابنا وتدوينهم الاصول وخوضهم في الفضول فانما ذلك لشبهة
جرت فيهم من مخالفيهم كما بينا وجهه في سفوناتنا مع احتمال ان يكون
سبب حدوثه فيهم او لا مصلحة راوها ومماشاة مع مخالفيهم راعوها لئلا يزعموا
ان دقايق العلم ليست فينا ثم صار ذلك شبهة لمن تاخر عنهم جرت فيهم ثم
سرت في ذويهم وعلى التقديرين فليس ذلك قادحا في منزلتهم العليا ولا سببا
لالحاقهم بالفرقة الاولى حاشاهم عن ذلك فان لهم حقوقا جمة على الفرقة الناجية
الجليلة بترويجهم المذهب الحق بمساعيهم الجميلة ورفعهم حمل التقية عن
كثير من العباد والبلاد فجزاهم الله عنا خير الجزاء وحشرهم مع ائمتهم يوم التناد
وهؤلاء الفرقة الثانية يرجعون الى امامهم في التفقه حين تيسر لهم ذلك
والا فهم ايضا صنفان بصير ومستبصر وبعبارة اخرى فقيه ومتفقه
وبعبارة ثالثة خاصي وعامي وان شئت فسمهما المجتهد والمقلد فلا مشاحة
في الالفاظ اما بصيرهم وهو الذي له فهم وذكاء وقوة قدسية وزهد
في الدنيا وورع في الدين فكيفية التفقه عنده ان يتبع محكمات الكتاب و
السنة ومحكمات احاديث اهل البيت عليهم السلام مما صح عنهم فيستفهم
منها ما يجب اعتقاده وما يجب ان يعمل به ويشيده بشواهد عقله القويم
وفهمه المستقيم ويؤيده بواردات ترد على ذهنه المصفى باعماله الصالحة
المرضية وقلبه المنور بنور اخلاقه المهذبة الزكية فان شرف العقل لا يخفى
ولولاه لما عرف الشرع وكانه شرع من داخل كما ان الشرع عقل من خارج وهما
يتعاضدان ويتظاهران الى ان يصيرا كانهما متحدان وفي الحديث ما ادى العبد

فرايض الله حتى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل
والعقلاء هم اولوا الالباب ولا تظنن ان خواص المؤمنين انما امنوا بالله و
اليوم الاخر بمجادلات المتكلمين وادلة المجادلين هيهات هيهات وانما عرفوا
الله بمثل ما قلناه من تعاضد العقل والشرع واجتماع النور الداخل مع النور
الخارج كاجتماع نور العين مع نور الشمس في الرؤية والى مثل هذا العقل
اشير بقوله عز وجل يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يعني نور
العقل والشرع وفي الحديث ليس العلم بكثرة التعلم انما هو نور يقذفه الله
في قلب من يريد الله ان يهديه فهذا البصير ان تبين له الحكم بحيث لا شبهة
فيه ولا ريب يعتريه اخذ به وشكر الله وان اشتبه عليه الامر وكل علمه الى
الله والى امامه المنصوص عليه من الله وعمل فيه بالاحوط ولا يفتي في مثله
بالحتم والبت قال الصادق عليه السلام اما انه شر عليكم ان تقولوا بشيء
ما لم تسمعوه منا وقال عليه السلام كل علم لا يخرج من هذا البيت فهو باطل
واشار بيده الى بيته فلا يخترع من تلقاء نفسه قاعدة كلية غير منقحة ولا مسموعة
ليقع الاختلاف فيه كقاعدة حجية خبر الواحد او عدم حجيته على الاطلاق والحق
لم يحرر محل التنازع فيه قط ولن يحرر والى غير ذلك من القوانين المسماة عند
اهلها باصول الفقه بل يطلب في كل مسئلة اهمته رواية خاصة يجوز التعويل
عليها ودراية ناصة تطمئن النفس اليها ولا يحكم بالمتشابه الا بالتشابه لانه
المحكم فيه وكيف يجوز ان يجعل المتشابه محكما وقد جعله الله متشابها فلا ينبغي
تاويله ولا رده الى احد الطرفين كما يفعله الذي في قلبه زيغ وذلك لان الله
سبحانه جعل الامور ثلثة كما ورد في الحديث النبوي بين رشده فيتبع وبين غيه
فيجتنب ومتشابهات بين ذلك يرد حكمها الى الله والى الراسخين في العلم

العالمين بتاويله فكيف يطلب التثني فيما حكم الله فيه بالتثليث مع ان في
المتشابه حكما ومصالح يمتحن الله بها اصناف عباده ولا يجمع ايضا بين الاخبار
المتعارضة الا بما اشار اليه المروي عنهم عليهم السلام من التفصيل الذي
ينتهي الى التخيير وبذلك ينجو البصير من الخلاف والقول بالراي والجزاف فلا
اجتهاد عنده ولا راي ولا اجماع بل ليس معوله الا على الرواية والدراية او السماع
ومعنى الاجماع عنده ليس الا اتفاق قدماء الاصحاب على العمل بالنص المشهور
بحيث صار من الضروريات حتى عند الجمهور كمسح الرجلين ونزع الخفين عند
الوضوء فالاجماع عنده تابع للنص مؤيد له لا النص مستنبط من الاجماع كما اشتهر
بين طائفة من اهل الخلاف والنزاع والى ما اشير في كلام الصادق عليه السلام
في خبر تعارض الاخبار خذ بالمجمع عليه بين اصحابك فان المجمع عليه لا ريب فيه
واما عوام هذه الفرقة فكيفية تفقههم ان ياخذوا مسائلهم عن خواصهم
ولو بواسطة او وسائط الا ان اليوم اشتبه عليهم الامر غاية الاشتباه
لالتباس من ليس من الخواص بالخواص وادخالهم انفسهم في جملتهم فصارت
العوام حائرين بائرين لا يهتدون الى شيء ولا يدرون ايا من اي فالحزم لهم ان
يرجعوا في ذلك الى قوم متدينين عارفين باهل البصيرة ليعرفوهم اياهم فان لم
يتيسر فليستفت العامي من غلب على ظنه انه منهم وانه ممن لا يبيع دينه بدنيا
فان افتاه بحكم فليساله هل هذا الحكم في كتاب الله او سنة رسول الله او حديث
احد من المعصومين عليهم السلام فان قال نعم فليعمل به وان قال انه ليس في
شيء منها بخصوصه وانما يستفاد منها بالاستنباط او هو مما اجمعوا عليه من
غير نص يلغي فيه او نحو ذلك سال غيره حتى يصادف من اجابه من القران والحديث
بخصوص ونصوص او اشار له الى الاحتياط او التخيير فان فعل العامي ذلك

فهو المتفقه في تلك المسئلة هذا هو الحق المبين ومذهب قدمائنا الاماميين
وعليه المعول في الدين وليس لمن انتسب الى اهل البيت عليهم السلام وتسمى
بالشيعة والامامي والاثني عشري الا الاخذ بذلك فان خرج عن هذا الطريق
الى شيء من طرق المخالفين من غير عذر فقد خرج عن صدق هذا الانتساب
وهذه التسمية على وجهه وان لم يشعر بذلك ثم لا تظنن ان العلم بصدق
نسبة مضمون اخبار المعصومين عليهم السلام اليهم لا بد ان يكون كالعلم
بوجودهم في الوضوح والانارة والقوة او تواترها كتواتره والا فهي اخبار احاد
لا تفيد الا ظنا كلا كيف ولو زعمت ذلك فما اراك تستيقن بامامتهم لان قوة
علمك بامامتهم ليست كقوة علمك بوجودهم ولا تواترها كتواتره قطعا
بل اراك لم تعرف بعد ان اليقين كالظن له مراتب في القوة والضعف و
انه يزداد بازدياد نوري العقل والشرع واعتضاد كل منهما الاخر وان في
الاحكام الشرعية يكتفى باقل مراتبه مع ان اكثر الاخبار الاحكامية ليست في
القوة باقل من اخبار الامامة متنا وسندا فكل ما اطمانت اليه النفس من
الاخبار نعمل به وكل ما لم تسكن اليه نذره في سنبله روي في الكافي باسناده
عن ابي عبد الله عليه السلام انه سئل عن اختلاف الحديث يرويه من نثق
به ومنهم من لا نثق به قال اذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من
كتاب الله او من قول رسول الله صلى الله عليه وآله والا فالذي جاءكم به
اولى به وفيه باسناده عنه عليه السلام قال كل شيء مردود الى الكتاب و
السنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف وفي عيون الاخبار عن
الرضا عليه السلام في حديث طويل قال في اخره بعد ذكر العرض على الكتاب ثم
السنة ثم التخيير والرد الى رسول الله صلى الله عليه وآله وما لم تجدوه

في شيء من هذه الوجوه فردوا الينا علمه فنحن اولى بذلك ولا تقولوا فيه بارائكم
وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وانتم طالبون باحثون حتى ياتيكم البيان
من عندنا وقد ورد في الحث على العمل باخبارهم عليهم السلام اخبار بلغت
قريبا من مبلغ التواتر منها ما يدل على جواز الاخذ بها وان صدرت عن تقية
ومنها ما يدل على جواز العمل بها وان لم تصدر عنهم عليهم السلام في الواقع
وهو قول الصادق عليه السلام من سمع شيئا من الثواب على شيء فصنعه
كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه وذلك لانه تسليم وطاعة وانقياد لا راي
فيه ولا اجتهاد وقال الصادق عليه السلام احتفظوا بكتبكم فانكم سوف
تحتاجون اليها وقال لمفضل بن عمر اكتب وبث علمك في اخوانك فان مت
فاورث كتبك بنيك فانه ياتي على الناس زمان هرج لا يانسون فيه الا بكتبهم
وقال صاحب زماننا صلوات الله عليه واما الحوادث الواقعة فارجعوا
فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله عليهم وبالجملة قد اذنوا
في الاخذ بالاخبار والكتب بالتسليم والانقياد ولم ياذنوا في الاخذ بالاراء و
الاجتهاد بل نهوا فليس لنا الا الاتباع والاقتصار على السماع من دون ابتغاء
الدليل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل **فصل** ومن فضل الله
علينا ولطفه بنا وله الحمد اضعاف ما حمده الحامدون ان جعل لنا اماما
بعد امام ظاهرا فينا وان كان مستورا على اعدائنا الى ان انقضى من الهجرة
النبوية مائتان وستون سنة ثم جعل للاخير بعد غيبته سفرا الى قريب
من تمام ثلثمائة وثلثين سنة وكان اصحابنا في هذه المدة المديدة ياخذون
العلوم الدينية ظاهرها وباطنها من معدنها على اطمينان من قلوبهم وانشراح من
صدورهم بعد مقابلتهم ورؤيتهم ومنزلتهم فاغناهم الله بذلك عن تقليد

من لا يجوز تقليده ويحاجهم به من حيرة الحيران وبعد انقضاء هذه المدة كانوا
يرجعون الى الاصول الماخوذة عنهم المشتملة على اكثر ما يحتاج اليه الناس
حتى شذ مسئلة ضرورية لا يكون فيها حكم جزئي او كلي عنهم عليهم السلام
وفق له من وفق قال امير المؤمنين عليه السلام يا معشر شيعتنا والمنتحلين
ولايتنا اياكم واصحاب الراي فانهم اعداء السنن تفلتت منهم الاحاديث
ان يحفظوها واعيتهم السنة ان يعوها فاتخذوا عباد الله خولا وماله دولا
فذلت لهم الرقاب واطاعهم الخلق اشباه الكلاب ونازعوا الحق واهله
فتمثلوا بالائمة الصادقين وهم من الجهال الملاعين فسئلوا عما لا يعلمون
فانفوا ان يعترفوا بانهم لا يعلمون فعارضوا الدين بارائهم فضلوا واضلوا
اما لو كان الدين بالقياس لكان باطن الرجلين اولى بالمسح من ظاهرهما وعن
الباقر عليه السلام من افتى الناس برايه فقد دان الله بما لا يعلم ومن دان
الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث احل وحرم فيما لا يعلم وعن الصادق
عليه السلام انه قيل له ترد علينا اشياء لا نعرفها في كتاب ولا سنة
فننظر فيها قال لا اما انك لو اصبت لم توجر وان اخطات كذبت على الله وقال
امير المؤمنين عليه السلام في ذم اختلاف الفتيا ترد على احدهم القضية
في حكم من الاحكام فيحكم فيها برايه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم
فيها بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة بذلك عند امامهم الذي استقضاهم
فيصوب اراءهم جميعا والههم واحد وكتابهم واحد ونبيهم واحد افامرهم الله
سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله سبحانه
دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا
وعليه ان يرضى ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه

والله سبحانه يقول ما فرطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان لكل شيء
وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وان القران ظاهره
انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات
الا به وعنه عليه السلام اعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل العام ما استحل
عاما اول ويحرم العام ما حرم عاما اول وان ما احدث الناس لا يحل لكم شيئا
مما حرم الله عليكم ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله

فصل

واما علم الكلام فحاصل ما يشتمل عليه من الادلة التي ينتفع بها فالقران و
الاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة واما مشاغبة
بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات و
هذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع واكثرها خوض فيما لا يتعلق بالدين
ولم يكن شيء من ذلك مالوفا في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من
البدع ولكن اليوم صار مما لا بد منه حراسة لقلوب العوام عن تخييلات
المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدث حاجة الانسان الى
استيجار البذرقة في طريق الحج لحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو
تركت العرب عداوتهم لم يكن استيجار الحراس من شروط طريق الحج والمتكلم ان
تجرد للمناظرة ولم يسلك طريق الاخرة ولم يشتغل بتعهد القلب واصلاحه
لم يكن من جملة علماء الدين اصلا اذ ليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة
التي يشاركه سائر العوام فيها وهي من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان و
انما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة فاما معرفة الله سبحانه
وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه من العلوم الدينية فلا يحصل من

علم الكلام بل يكاد يكون الكلام حجابا وما نعا عنه وانما الوصول اليه
بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى و
الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال امير المؤمنين عليه السلام من
طلب الدين بالجدل تزندق وروي ان رجلا قال للحسين بن علي عليهما السلم
اجلس حتى نتناظر في الدين قال يا هذا انا بصير بديني مكشوف على هداي فان
كنت جاهلا بدينك فاذهب فاطلبه ما لي وللمماراة وعن الباقر عليه السلام
الخصومة تمحق الدين وتحبط العمل وتورث الشك وعن الصادق عليه السلم
لا يخاصم الا شاك او من لا ورع له وعن الكاظم عليه السلام انه قال لعلي
بن يقطين مر اصحابك ان يكفوا عن السنتهم ويدعوا الخصومة في الدين
ويجتهدوا في عبادة الله عز وجل وعن الرضا عليه السلام انه سئل
في مكاتبة انهم نهوا عن الكلام في الدين فتاول مواليك المتكلمون بانه
انما نهي من لا يحسن ان يتكلم فاما من يحسن ان يتكلم فلم ينهه فهل ذلك
كما تاولوا اوكتب عليه السلام المحسن وغير المحسن لا يتكلم فيه فان اثمه
اكبر من نفعه **فصل** انما منعوا من الجدال والمناظرة لان لهما ادابا و
شروطا لا بد من مراعاتها وافات يجب التجنب عنها وقل من يهتدي اليها او
يوفق لما يجب والا فالجدال بالتي هي احسن مامور به قال ابو محمد الحسن العسكري
عليه السلام ذكر عند الصادق عليه السلام الجدال في الدين وان رسول الله
والائمة عليهم السلام قد نهوا عنه فقال الصادق عليه السلام لم ينه عنه
مطلقا ولكنه نهي عن الجدال بغير التي هي احسن اما تسمعون الله يقول ولا
تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فالجدال بالتي هي احسن قد قرنه

العلي

العلماء

بالدين والجدال بغير التي هي احسن محرم حرمه الله على شيعتنا وكيف
يحرم الله الجدال جملة وهو يقول وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى تلك امانيهم قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين
فجعل علم الصدق الاتيان بالبرهان وهل يؤتى بالبرهان الا في الجدال
بالتي هي احسن قيل يا ابن رسول الله فما الجدال بالتي هي احسن والتي ليست
باحسن قال اما الجدال بغير التي هي احسن فان تجادل مبطلا فيورد عليك
باطلا فلا ترده بحجة قد نصبها الله تعالى ولكن تجحد حقا يريد ذلك المبطل ان
يعين به باطله فتجحد ذلك الحق مخافة ان يكون له عليك فيه حجة لانك لا تدري
كيف المخلص منه فذلك حرام على شيعتنا ان يصيروا فتنة على ضعفاء اخوانهم
وعلى المبطلين اما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم اذا تعاطى
مجادلته وضعفه في يده حجة له على باطله واما الضعفاء فتغتم قلوبهم لما
يرون من ضعف المحق في يد المبطل واما الجدال بالتي هي احسن وهو ما
امر الله به نبيه ان يجادل به من جحد البعث بعد الموت واحياء الله له
فقال الله له حاكيا عنه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام و
هي رميم وقال الله في الرد عليه قل يا محمد يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل
خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا الى اخر السورة فاراد الله من
نبيه ان يجادل المبطل الذي قال كيف يجوز ان يبعث هذه العظام وهي رميم
فقال الله قل يحييها الذي انشاها اول مرة افيعجز من ابتداه لا من شيء ان يعيده
بعد ان يبلى بل ابتداؤه اصعب عندكم من اعادته ثم قال الذي جعل لكم من
الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اي اذا كمن النار الحارة في الشجر الاخضر
الرطب ثم يستخرجها فعرفكم انه على اعادة ما بلي اقدر ثم قال او ليس الذي خلق

تولد او تحجد

السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم
اي اذا كان خلق السموات والارض اعظم وابعد في اوهامكم وقدركم
ان تقدروا عليه من اعادة البالي فكيف جوزتم من الله خلق هذا الاعجب عندكم
والاصعب لديكم ولم تجوزوا منه ما هو اسهل عندكم من اعادة البالي
قال الصادق عليه السلام فهذا الجدال بالتي هي احسن لان فيها قطع عذر
الكافرين وازالة شبههم واما الجدال بغير التي هي احسن فان تجحد حقا لا
يمكنك ان تفرق بينه وبين باطل من تجادله وانما تدفعه عن باطله بان
تجحد الحق فهذا هو المحرم لانك مثله جحد هو حقا وجحدت انت حقا اخر
فصل وللعلم النافع صفات وعلامات واداب فعن الصادق عليه السلام
في قول الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال يعني بالعلماء من صدق
فعله قوله ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم وعنه عليه السلام اطلبوا
العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا
لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم وعن
الرضا عليه السلام قال ان من علامات الفقه الحلم والصمت وعن الصادق
عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام الا اخبركم بالفقيه حق الفقيه
من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يرخص لهم في
معاصي الله ولم يترك القران رغبة عنه الى غيره الا لا خير في علم ليس فيه تفهم
الا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر الا لا خير في عبادة لا فقه فيها الا لا خير في
نسك لا ورع فيه يعني ان الفقيه حقيقة ليس الا من يكون عالما بالمراد من الوعد
والوعيد جميعا عارفا بالمقصود من الاوامر والنواهي جملة بما اخلطه بعضها
الى بعض وانما عرف الفقيه بهذه العلامات السلبية لان اكثر من يسمى عنه

بجمهو

الجمهور بهذا الاسم في كل زمان يكون موصوفا باضدادها فكانه عليه السلام
عرض بالعلماء السوء والفقهاء الزهد وقد ابطل بكل علامة مذهبا من
المذاهب الباطلة او اكثر في الاصول والفروع فبالاولى ابطل مذهب المعتزلة
القايلة بايجاب الوعيد وتخليد صاحب الكبيرة في النار ومذهب الخوارج
المضيقين في التكاليف الشرعية وبالثانية مذهب المرجئة ومن يجري
مجراهم من المغترين بالشفاعة وصحة الاعتقاد وبالثالثة مذهب الحنابلة
والاشاعرة ومن يشبههم كاكثر المتصوفة وبالرابعة مذهب المتفلسفة الذين
اعرضوا عن القران واهله وحاولوا اكتساب العلم والعرفان من كتب قدماء
الفلاسفة ومذهب الحنفية الذين عملوا بالقياس وتركوا القران والحديث
والعلم الذي ليس فيه تفهم كالعلم الظني والتقليدي ومجرد حفظ
الاقوال والروايات فانها ليست بعلم في الحقيقة وعن الباقر عليه السلام
انه سئل عن مسئلة فاجاب فيها فقال الرجل ان الفقهاء لا يقولون هذا
فقال يا ويحك وهل رايت فقيها قط ان الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا
الراغب في الاخرة المتمسك بسنة النبي صلى الله عليه واله وعن الصادق
عليه السلام قال طلبة العلم ثلثة فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم صنف
يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف يطلبه
للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء موذي ممار متعرض للمقال في اندية
الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله
من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خب
وملق يستطيل على مثله من اشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو
لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم فاعمى الله على هذا خبره وقطع من اثار العلماء

اثره وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه و
قام الليل في حندسه يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شانه عارفا
باهل زمانه مستوحشا من اوثق اخوانه فشد الله من هذا اركانه واعطاه
يوم القيمة امانه وعن النبي صلى الله عليه واله العلماء رجلان رجل عالم
اخذ بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك وان اهل النار ليتاذون
من ريح العالم التارك لعلمه وان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل
دعا عبدا الى الله فاستجاب له وقبل منه فاطاع الله فادخله الله الجنة
وادخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى
فيصد عن الحق وطول الامل ينسي الاخرة وعنه صلى الله عليه واله منهومان
لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا على ما احل الله له
سلم ومن تناولها من غير حلها هلك الا ان يتوب او يراجع ومن اخذ العلم
من اهله وعمل بعلمه نجا ومن اراد به الدنيا فهي حظه وعن السجاد عليه السلام
مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم فان العلم اذا
لم يعمل به لم يزدد صاحبه الا كفرا ولم يزدد من الله الا بعدا وعن الباقر عليه السلم
من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء او يصرف به وجوه
الناس فليتبوء مقعده من النار ان الرياسة لا تصلح الا لاهلها وعن الصادق
عليه السلام العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل ومن عمل علم يهتف بالعمل فان اجابه
والا ارتحل عنه وعنه عليه السلام اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على
دينكم فان كل محب لشيء يحوط ما احب فصل ينبغي للمتعلم ان يطهر نفسه
اولا من رذايل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلوة
السر وقربة الباطن الى الله فكما لا تصح الصلوة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة

والعلم

الا بتطهير الظاهر من الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن
وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته من خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف
قال النبي صلى الله عليه واله بني الدين على النظافة وهو كذلك ظاهرا وباطنا
وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة
غير مقصورتين على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب
مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة
عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها
مع خبثها في الحال مهلكات في المال ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه و
اله لا يدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط
اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الردية مثل الغضب والشهوة والحقد
والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى يدخله الملائكة وهو مشحون
بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله عز وجل في القلب الا بواسطة الملائكة
فصل وينبغي للمعلم ان يخلص تعليمه لله من غير طمع وان يشفق على
المتعلم وينصحه ويقتصر على قدر فهمه وان يبذل العلم لاهله ويمنع غير
اهله فعن الصادق عليه السلام قال قام عيسى بن مريم خطيبا في بني اسرائيل
فقال يا بني اسرائيل لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها اهلها
فتظلموهم وان لا يقول ما لا يعلم سئل الباقر عليه السلام ما حق الله على العباد
قال ان يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون وعن الصادق عليه السلام
قال ان الله خص عباده بايتين من كتابه ان لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا
وقال الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق وقال بل كذبوا بما
لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله وعنه عليه السلام اياك وخصلتين ففيهما

فلك من هلك اياك ان تفتي الناس برايك او تدين بما لا تعلم وعن الباقر عليه السلام من افتى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه اريد بالعلم ما يستفاد من الانوار الالهية والالهامات الحقة كما هو للائمة عليهم السلام وبالهدى ما يسمع من اهل بيت النبوة كما هو لنا وبملائكة الرحمة الهادون لنفوس الاخيار الى مقاماتهم في درجات الجنان وبملائكة العذاب السائقون لنفوس الاشرار الى منازلهم في دركات الجحيم والنيران وعن الصادق عليه السلام اذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل لا ادري ولا يقل الله اعلم فيوقع في قلب صاحبه شكا واذا قال المسئول لا ادري فلا يتهمه السائل فصل وينبغي لمن اراد العبادة لله سبحانه ان يحصل اولا العلم بكيفية تلك العبادة من ماخذه وماخذ العلوم جميعا اهل بيت النبوة الذين هم مهابط الوحي وينابيع الحكمة الاخذين علومهم من الله سبحانه سئل الباقر عليه السلام عن قول الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه قال علمه الذي ياخذه عمن ياخذه ولما كان تفسير الاية ظاهرا لم يتعرض له وانما تعرض لتاويلها وعن النبي صلى الله عليه واله من عمل بغير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح وعن الصادق عليه السلام العامل على غير بصيرة كالساير على غير الطريق لا يزيده سرعة السير الا بعدا والسر في ذلك ان اصلاح القلب وتطهيره بالعبادات الجسمانية وتصفية النفس وتهذيبها بالاعمال البدنية ليست مقصودة بالذات لانها كالاعدام للملكات والعدم لا يكون مطلوبا الا بالعرض انما المطلوب ان ينكشف له المعارف الحقيقية من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر لكل انسان بحسب عقله وفهمه على تفاوت مراتبهم في ذلك ولا ينكشف هذه المعارف الا بان

ما طعامه



يقع ذلك الاصلاح والتطهير على وجهه ماخوذا من صاحب الشرع صلوات الله عليه مع اعتقاد صحيح ولو بالسماع منه فمن اقتصر في سلوكه على مجرد العمل والرياضة والمجاهدة من غير بصيرة ولا معرفة فالتصفية تصير وبالا عليه اذ يتحرك النفس بالخواطر الوهمية ويستولي عليها الوساوس النفسانية فيتشوش القلب حيث لم يتقدم له رياضة النفس بالعلوم الحقة والافكار الصحيحة ولم ياخذ كيفية العبادة عن صاحب الشرع وخلفائه صلوات الله عليهم فيتشبث بالقلب خيالات فاسدة وتصورات باطلة واوهام كاذبة وربما يتخيل في ذات الله سبحانه وصفاته اعتقادات فاسدة من باب الكفر والزندقة ويزعم انها صحيحة حقة نعوذ بالله منه وربما يقتدي به غيره فيتعدى شره ويصير من الجاهلين المتنسكين القاصمين للظهر ثم مع ذلك قلما يخلو من اعجاب بنفسه وافتخار بعمله واغترار بعبادته ونظر الى ساير الناس بعين الاحتقار والازدراء وربما يتشحن باطنه بامراض نفسانية وهو غافل عنها غير ملتفت الى معالجتها وازالتها وربما يظن الرذايل فضايل والعيوب كمالات كما اخبر الله سبحانه بقوله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قال امير المؤمنين عليه السلام قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه وقال الصادق عليه السلام لا يقبل الله عملا الا بمعرفة ولا معرفة الا بعمل فمن عرف دلته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له الا ان الايمان بعضه من بعض معناه ان كل معرفة تثمر حالا او صفاء في النفس وكل حال يحمل صاحبه على عمل وعبادة وكل عبادة تثمر حالا اخر وصفاء غير الاول وهو يثمر معرفة اخرى سوى الاولى وهكذا يتكامل

ايمان المرء بالمعرفة والعبادة حتى بلغ الغاية وخلص من التعب والمشقه
ولستقر في مقام الامن والراحة واصلا الى عين اليقين ومثل ذلك مثل من
يمشي بسراج في ظلمة فكلما اضاء له من الطريق قطعه مشى منها فيصير
ذلك المشي سببا لاضاءة قطعة اخرى منه وهكذا وفي الحديث النبوي
صلى الله عليه واله من علم وعمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم **فصل**
قد ورد في ذم اهل البدع والاهواء والجهال المتشبهين بالعلماء اخبار كثيرة
عن ائمة الهدى صلوات الله عليهم ولنورد منها شيئا ليكون انموذجا لما
سواها فعن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله
اذا رايتم اهل البدع والريب من بعدي فاظهروا البراءة منهم واكثروا
من سبهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم حتى لا يطمعوا في الفساد في
الاسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله تعالى لكم بذلك
الحسنات ويرفع لكم به الدرجات وقال صلى الله عليه واله اذا ظهرت
البدع في امتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله وقال صلى
الله عليه واله ان عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الايمان وليا من
اهل بيتي يذب عنه ينطق بالهام من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين
يعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا اولي الابصار وتوكلوا على الله وقال صلى الله
عليه واله كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال امير المومنين عليه
السلام في خطبة له انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف
فيها كتاب الله يتولى فيها رجال رجالا فلو ان الباطل خلص لم يخف على
ذي حجى ولو ان الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يوخذ من هذا ضغث ومن هذا
ضغث فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان على اوليائه ونجى

الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقال عليه السلام ان من ابغض
الخلق الى الله تعالى لرجلين رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد
السبيل مشعوف بكلام بدعة قد لهج بالصوم والصلوة فهو فتنة لمن
افتتن به ضال عن هدى من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حيوته وبعد
موته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا في جهال الناس غان
باغباش الفتنة قد سماه اشباه الناس عالما ولم يغن فيه يوما سالما بكر فاستكثر
ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن واكثر من غير طائل جلس بين الناس
قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره وان خالف قاضيا سبقه لم يامن ان
ينقض حكمه من ياتي بعده كفعله بمن كان قبله وان نزلت به احدى المبهمات
المعضلات هيا لها حشوا من رايه ثم قطع فهو من لبس الشبهات في مثل غزل
العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطا لا يحسب العلم في شيء مما انكر ولا يرى
ان وراء ما بلغ فيه مذهبا ان قاس شيئا بشيء لم يكذب نظره وان اظلم عليه
امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه يكن الصواب لكيلا يقال له لا يعلم ثم
جسر فقضى فهو مفاتيح عشوات ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر
فيما لا يعلم فيسلم ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم يذري الروايات ذرو
الريح الهشيم تبكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء يستحل بقضائه الفرج
الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال لا مليء باصدار ما عليه ورد ولا اهل
لما منه فرط من ادعائه علم الحق وقال عليه السلام الى الله اشكو من معشر
يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي
حق تلاوته ولا انفق سلعة واغلا ثمنا من الكتاب اذا حرف عن مواضعه ولا
عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر وعن الصادق عليه السلام

ان اصحاب المقايس طلبوا العلم بالمقاييس فلم يزدهم المقاييس من الحق الا بعدا
وان دين الله لا يصاب بالمقاييس وعن الكاظم عليه السلام من نظر برايه
هلك ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر ولما كان غرضنا فی هذا الكتاب
مقصورا على حقايق العلوم الدينية اكتفينا بذلك ولم نتعرض لانيدمنه
ولا للعلوم الاخر وعن امير المؤمنين عليه السلام انه قال العلم اكثر من ان
يحاط به فخذوا من كل علم احسنه وزاد فی رواية اخرى فان النحل ياكل من كل
زهر انيقه فيتولد جوهران احدهما فيه شفاء للناس والاخر يستضاء به اقول
وتصديق ذلك فی قول الله سبحانه فبشر عبادی الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

الباب الثاني

فی العقايد اعلم ان العقايد لا يجوز اخذها الا بوحي
من الله سبحانه بواسطة الانبياء ثم الاوصياء مع ما فطر الناس عليه من
المعرفة قال الله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
الدين القيم فقد ورد ان المراد بها المعرفة وفی رواية التوحيد وفی الحديث
النبوي كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه والفطرة
فی الاصل الجبلة وهي عبارة عن العقل المطبوع الذی هو شرع من داخل كما
ان الشرع عقل من خارج فان العقل كالسراج والشرع كالزيت يمده فما لم
يكن زيت لم يشتعل السراج وما لم يكن سراج لم يضئ الزيت وايضا العقل
كالبصر والشرع كالشعاع ولن ينفع البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغنی
الشعاع ما لم يكن بصر قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدی به الله من
اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه فسحقا
لاقوام عزلوا عقولهم واعرضوا عن رسلهم واتبعوا اهواءهم فضلوا واضلوا

ثم ان اعقل العقلاء نبينا صلى الله عليه واله وخير الشرايع شرعه و
انما ارسله الله وانزل معه الكتاب ليقوم الناس بالقسط فصدع بامر الله و
هدى الخلق الى صراط الله وارشدهم الى معرفة صانعهم ويوم اخرهم ببيان و
برهان ناسبا عقولهم ونبههم على ادلة وحجج بلغت اليها افهامهم
واتى كل طايفة من ذلك بما يصلح لعقله وفهمه من برهان وخطابة وجدال
بالتي هي احسن ومعجزة لمن له المعجزة ابين ليكونوا على بصيرة من امرهم وليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ثم اكمل لهم امور دينهم بحيث لم يحتج
امته الى اثار السالفين فيما يهمهم ويعنيهم من امر الدين وليس لقايل ان
يقول ان ثبوت الانبياء والشرايع يتوقف على ثبوت الصانع وصفاته الكمالية
فكيف يعرف الصانع وصفاته بالانبياء والشرايع وذلك لانه لو لم يكن صاحب
هذا الكلام والبيان مقبول القول ومعصوم الفعال لكان فيها الحجة من حيث
مطابقتها لمقتضى العقول السليمة فان براهينه هي المتبعة وبيناته وحججه
هي الملزمة على ان ما يتوقف عليه الشرع من معرفة الصانع وصفاته يجری
مجرى الضروريات التي يحكم بها كل من له ادنى مسكة قال الله عز وجل ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فقد ثبت ان ما ورد فی
الشرع كاف فی الاهتداء الى سبيل الحق مع ما جبل عليه اهل السلامة
من العقل المطبوع فلا حاجة الى تكلفات المتكلفين على اختلاف طبقاتهم
وتشعب ارائهم وتناقض اهوائهم فی ابداء الادلة وانهاض الحجج على امور
الدين فانهم جمعوا بين الجهل وسوء الادب اما الجهل فلكونهم ما عرفوا
موضع الدلالة فيما نصبه الحق دليلا واما سوء الادب فمعارضتهم له سبحانه
بما دخلوا فيه مما يزعمونه دليلا فجعلوا نظرهم فی الدين اتم فی الدلالة مما

دل عليه الحق تعالى عن ذلك افانزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه
ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول
ما فرطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان كل شيء قال امير المؤمنين عليه السلم
القران ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجايبه ولا تنقضي غرايبه و لا
تنكشف الظلمات الا به **فصل** لما ثبت ان خير هاد الى الله سبحانه نبينا
صلى الله عليه واله وقد ثبت انه ترك من بعده لخلافته الثقلين كتاب الله و
عترته المصطفين وما اوصى امته في ذلك الا بالتمسك بهما كما استفاض به
الاخبار من طريقي العامة والخاصة جميعا على اختلاف في اللفظ واتفاق في
المعنى ففي رواية اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله
وعترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ومعنى عدم افتراقهما ان علم الكتاب
كله هو عند العترة فمن تمسك بهم فقد تمسك بهما جميعا وفي رواية اني امرؤ
مقبوض ولوشك ان ادعى فاجيب وقد تركت فيكم الثقلين وفي اخرى الاكبر
منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف بايديكم فتمسكوا به لا تزلوا ولا تضلوا
ولا تضلوا والاصغر منهما عترتي لا تقتلوهم ولا تقهروهم فاني سألت اللطيف
الخبير ان يردا علي الحوض فاعطاني فقاهرهما قاهري وخاذلهما خاذلي ووليهما وليي
وعدوهما عدوي وفي رواية وهما الخليفتان بعدي وسئل امير المؤمنين عليه السلم
عن معنى الحديث من العترة فقال انا والحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين
تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردا على
رسول الله حوضه وفي رواية من جعلهما امامه قاداه الى الجنة ومن جعلهما خلفه
قاداه الى النار وفي الخبر المستفيض ان مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من
ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال قال

رسول الله صلى الله عليه واله انا اول وافد على العزيز الجبار يوم القيمة
وكتابه واهل بيتي ثم امتي ثم اسالهم ما فعلتم بكتاب الله واهل بيتي و
عن الصادق عن ابائه قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ايها الناس
انكم في دار هدنة وانتم على ظهر سفر والسير بكم سريع وقد رايتم الليل
والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد وياتيان
بكل موعود فاعدوا الجهاز لبعد المجاز قال فقام المقداد بن الاسود فقال يا رسول
الله وما دار الهدنة فقال دار بلاغ وانقطاع فاذا التبست عليكم الفتن كقطع
الليل المظلم فعليكم بالقران فانه شافع مشفع وماحل مصدق من جعله
امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار وهو الدليل يدل على
خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل
وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ظاهره انيق وباطنه عميق له تخوم
وعلى تخومه تخوم لا تحصى عجايبه ولا تبلى غرايبه فيه مصابيح الهدى ومنار
الحكمة ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره
ينج من عطب ويتخلص من نشب فان التفكر حيوة قلب البصير كما يمشي المستنير في
الظلمات بالنور فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص وعنه عليه السلام
قال قال رسول الله صلى الله عليه واله القران هدى من الضلالة وتبيان
من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الاحداث و
عصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا الى
الاخرة وفيه كمال دينكم وما عدل احد عن القران الا الى النار وعن الائمة
المعصومين عليهم السلام من لم يعرف امرنا من القران لم يتنكب الفتن و
عنهم عليهم السلام من اخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله

عليه السلام

وسلامه عليه وآله زالت الجبال قبل ان يزول ومن اخذ دينه من افواه الرجال ردته
الرجال قال محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله بعد نقل هذا الحديث ولهذه العلة
انبثقت على اهل دهرنا بوق هذه الاديان الفاسدة والمذاهب المستشنعة
التي قد استوفت شرايط الكفر والشرك كلها وذلك بتوفيق الله عز وجل وخذلانه
فمن اراد الله توفيقه وان يكون ايمانه ثابتا مستقرا سبب له الاسباب التي
تؤديه الى ان ياخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله بعلم
ويقين وبصيرة فذاك اثبت في دينه من الجبال الرواسي ومن اراد الله خذلانه
وان يكون دينه معارا مستودعا نعوذ بالله منه سبب له اسباب الاستحسان
والتقليد والتاويل من غير علم وبصيرة فذاك في المشية ان شاء الله تبارك وتعالى
اتم ايمانه وان شاء سلبه اياه ولا يومن عليه ان يصبح مومنا ويمسي كافرا او يمسي
مومنا ويصبح كافرا لانه كلما راى كبيرا من الكبراء مال معه وكلما راى شيئا استحسن
ظاهره قبله وقد قال العالم عليه السلام ان الله تعالى خلق النبيين على النبوة
فلا يكونون الا انبياء وخلق الاوصياء على الوصية فلا يكونون الا اوصياء و
اعار قوما ايمانا فان شاء تممه لهم وان شاء سلبهم اياه قال وفيهم جرى قوله
فمستقر ومستودع وعن جابر بن عبد الله الانصاري قال لما انزل الله عز وجل على
نبيه صلى الله عليه وآله يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول و
اولي الامر منكم قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن اولوا الامر الذين قرن
الله طاعتهم بطاعتك فقال صلى الله عليه وآله هم خلفائي يا جابر وائمة
المسلمين بعدي اولهم علي بن ابي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين
ثم محمد بن علي المعروف في التورية بالباقر وستدركه يا جابر فاذا لقيته فاقراه
مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى

ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميي وكنيي حجة الله في
ارضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره
على يديه مشارق الارض ومغاربها ذاك الذي يغيب عن شيعته واوليائه
غيبة لا يثبت فيها على القول بامامته الا من امتحن الله قلبه للايمان قال
جابر فقلت يا رسول الله فهل ينتفع شيعته به في غيبته فقال اي والذي
بعثني بالنبوة يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع
الناس بالشمس وان تجللها سحاب يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون
علم الله فاكتمه الا عن اهله

فصل اعلم ان الناس في فهم العقايد
وقبولها على طبقات ومنازل بعضها فوق بعض ليسوا في درجة واحدة وانما
كلف الله عباده بقدر ما اعطاهم من العقل والفهم والوسع قال الباقر
عليه السلام ان المومنين على منازل منهم على واحدة ومنهم على اثنين و
منهم على ثلث ومنهم على اربع ومنهم على خمس ومنهم على ست ومنهم على
سبع فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو وعلى صاحب الثنتين
ثلثا لم يقو وساق الحديث وقال الصادق عليه السلام الايمان حالات ودرجات
وطبقات ومنازل فمنه التام المنتهى تمامه ومنه الناقص البين نقصانه ومنه
الراجح الزايد رجحانه وقال ايضا لو علم الناس كيف خلق الله هذا الخلق لم يلم
احد احدا فينبغي ان يقدم الى الصبي في اول نشوه وتميزه ترجمة العقايد ليحفظها
حفظا ثم لا يزال ينكشف معناه في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم
ثم الاعتقاد والايقان والتصديق وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن
فضل الله على قلب الانسان شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة
وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقايد العوام مباديها التلقين المجرد والتعليم

المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف
في الابتداء على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه ولابد من تقويته
واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ به ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته
واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القران وتفسيره
وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظايف العبادات فلا يزال يقوى اعتقادهم
ويزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القران وحججه وبما يرد عليه من شواهد
الاحاديث وفوايدها وبما يسطع عليه من انوار العبادات ووظايفها وما
يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم ورؤية سيماهم وسيرتهم
وهيأتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون اول التلقين
كالقاء بذر في الصدر ويكون هذه الاسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك
البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء و
ينبغي ان يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل
اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا
وناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى من عوام الناس
بعقيدة المتكلمين والمتجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ
لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل
كخيط مرسل في الهواء تفيئه الريح مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل
الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا اذ لا فرق بين التقليد
في تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء
اخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقايد ان اشتغل بكسب الدنيا
لم ينفتح له غيرها ولكنه سلم في الاخرة باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع العرب

الخ
اكثر من التصديق الجزم بظاهر هذه العقايد فاما البحث والتفتيش وتكلف
نظم الادلة فلم يكلفوا اصلا وان اراد ان يكون من سالكي طريق الاخرة وكان
اهلا لذلك وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن
الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتح له ابواب من الهداية ويكشف عن
حقايق هذه العقيدة بنور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده
تعالى اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية
مقصد الصديقين والمقربين وله درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات
الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله وفي الاستضاءة بنور اليقين و
ذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وساير العلوم اذ يختلف ذلك
باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة فكما لا ينحصر تلك
الدرجات فكذا هذه واما تفصيل متعلقات العقايد للخواص وكيفية المجاهدة
لهم فقد اشرنا اليها في الفصل الثالث من الباب الاول **فصل** قال حجة
الفرقة الناجية نصير الحق والدين محمد بن الحسن الطوسي طاب ثراه اقل ما يجب
اعتقاده على المكلف هو ما ترجمه قول لا اله الا الله محمد رسول الله ثم اذا
صدق الرسول فينبغي ان يصدقه في صفات الله واليوم الاخر وتعيين الامام
المعصوم كل ذلك بما يشتمل عليه القران من غير مزيد وبرهان اما في صفات الله
فبانه حي قادر عالم مريد متكلم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير واما في
الاخرة فبالايمان بالجنة والنار والصراط والميزان والحساب والشفاعة و
غيرها ولا يجب عليه ان يبحث عن حقيقة الصفات وان الكلام والعلم و
غيرهما حادث او قديم بل لو لم يخطر هذه بباله ومات مات مؤمنا فان غلب
على قلبه شك او اشكال فان امكن ازالته بكلام قريب من الافهام وان لم

يكن قويا عند المتكلمين وكلام رضيا فذلك كاف ولا حاجة الى تحقيق الدليل فان
الدليل لايتم الا بذكر الشبهة لا يومن ان تتشبث بالخاطر والقلب ميظنها حقه
لقصوره عن ادراك جوابها اذا الشبهة قد تكون جلية والجواب دقيقا لا يحمل
عقله ولهذا ورد الزجر عن البحث والتفتيش والكلام وانما زجروا ضعفاء
العوام واما ائمة الدين فلهم الخوض في غمرة الاشكالات ومنع العوام
عن الكلام يجري مجرى منع الصبيان عن شاطى الدجلة خوفا من الغرق ورخصة
الاقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة الا ان ههنا موضع
غرور ومزلة قدم وهو ان كل ضعيف في عقله يظن انه يقدر على ادراك الحقايق
كلها وانه من جملة الاقوياء فربما يخوضون ويغرقون في بحر الجهالات من حيث
لا يشعرون والصواب منع الخلق كلهم الا الشاذ النادر الذي لا تسمح
الاعصار الا بواحد منهم او اثنين من تجاوز سلوك اهل العلم في الايمان
المرسل والتصديق المجمل بكل ما انزل الله واخبر به رسول الله صلى الله عليه
واله فمن اشتغل في الخوض فيه فقد اوقع نفسه في شغل شاغل اذ قال
رسول الله صلى الله عليه واله حيث راى اصحابه يخوضون بعد ان غضب
حتى احمرت وجنتاه ابهذا امرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا
فما امركم الله به فافعلوا وما نهاكم عنه فانتهوا فهذا تنبيه على منهج الحق
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اتق الله وكن حيث شئت
ومن اي قوم شئت فانه لا خلاف لاحد في التقوى والمتقي محبوب عند كل
فريق وفيه جماع كل خير ورشد الى ان قال فالزم ما اجمع عليه اهل الصفا
والتقى من اصول الدين وحقايق اليقين والرضا والتسليم ولا تدخل في
اختلاف الخلق ومقالاتهم فيصعب عليك وقد اجمعت الامة المختارة بان

الله واحد ليس كمثله شيء وانه عدل في حكمه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
ولا يقال له في شيء من صنعته لم ولا كان ولا يكون شيء الا بمشيته وانه قادر
على ما يشاء وصادق في وعده ووعيده وان القران كلامه وانه كان قبل
الكون والمكان والزمان وان احداثه وافناءه غيره سواء لا يزداد باحداثه علما و
لا ينقص بفنائه ملكه عز سلطانه وجل سبحانه فمن اورد عليك ما ينقض هذا
الاصل فلا تقبله وجرد باطنك لذلك ترى بركاته وتفوز مع الفائزين

فصل اعلم ان الاسرار التي يكتمها العلماء عن العوام منها ما يقصر
عن ادراكه افهامهم ولا يبلغ اليه عقولهم وذلك كالروح فانه من عالم
الملكوت والعوام لم يتجاوز علمهم عن عالم الملك فاذا افشوه اليهم يصير فتنة
لهم قال الله تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم
من العلم الا قليلا ومنها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره
يضر باكثر المستمعين وسر القدر من هذا القبيل ولهذا منع من افشائه ولا
استبعاد في ان يكون ذكر بعض الحقايق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس
بابصار الخفافيش وكما يضر ريح الورد بالجعل ومنها ما يكون بحيث لو ذكر صريحا
لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون
وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك الامر في
قلبه كما لو قال قائل رايت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير وكنى به عن افشاء
العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق
اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تفطن
لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس بذلك وكذلك ما ورد في الحديث اما
يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من

حيث الصورة لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن اذ حقيقة الحمار
وخاصيته هي البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام فقد صار واسمه
حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى
اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما يتناقضان وهذا
النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله و
من هذا القبيل قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طائعين فانه تمثيل لتاثير قدرته فيهما وتاثرهما بالذات عنهما بامر المطاع و
اجابة المطيع الطائع ومنه قوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون وهو نوع من الكلام باطنا من دون حرف وصوت ومنه
التعبير عن الصراط بالجسر الممدود بين الجنة والنار وعن الميزان بذي الكفتين
الى غير ذلك ومنها مثل ما يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا
بالتحقيق والذوق بان يصير حالا له ملابسا له فيتفاوت العلمان فيكون
الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر والاخر كالباطن وذلك كما
يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا
دنا بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول
بل هو استكماله فكذلك في العلم والايمان والتصديق ومن هذا القبيل اكثر
العقايد **فصل** في تفسير الامام ابي محمد العسكري عليه السلام في
قوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني قال رجل للصادق عليه السلام
اذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب الا بما يسمعونه من علمائهم لا
سبيل لهم الى غيره فكيف ذمهم الله بتقليدهم والقبول من علمائهم وهل عوام
اليهود الا كعوامنا يقلدون علماءهم فاذا لم يجز لاولئك القبول من علمائهم لم يجز

لهولاء القبول من علمائهم فقال عليه السلام بين عوامنا وعلمائنا وبين
عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة فاما من حيث استووا
فان الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم واما من حيث افترقوا
فلا قال بين لي يا ابن رسول الله قال عليه السلام ان عوام اليهود كانوا قد
عرفوا علماءهم بالكذب الصراح واكل الحرام والرشى وبتغيير الاحكام عن
واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات وعرفوهم بالتعصب الشديد
الذي يفارقون به اديانهم وانهم اذا تعصبوا ازالوا حقوق من تعصبوا عليه
واعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من اموال غيرهم وظلموهم من اجلهم و
عرفوهم يقارفون المحرمات واضطروا بمعارف قلوبهم الى ان من فعل ما يفعلونه
فهو فاسق ولا يجوز ان يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله فلذلك
ذمهم لما قلدوا من قد عرفوا ومن قد علموا انه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه
في حكايته ولا العمل بما يؤديه اليهم عمن لا يشاهدونه ووجب عليهم النظر
بانفسهم في امر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذ كانت دلايله
اوضح من ان يخفى واشهر من ان لا يظهر لهم وكذلك عوام امتنا اذا عرفوا
من فقهائهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا
وحرامها واهلاك من يتعصبون عليه وان كان لاصلاح امره مستحقا
وبالترفق بالبر والاحسان على من تعصبوا له وان كان للاذلال والاهانة مستحقا
فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله
بالتقليد لفسقة فقهائهم فاما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا
لدينه مخالفا على هواه مطيعا لامر مولاه فللعوام ان يقلدوه وذلك لا يكون الا بعض فقهاء الشيعة
لا جميعهم فان من ركب من القبايح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئا ولا كرامة

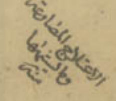
الباب الثالث في معرفة النفس ونعني بها الجوهر اللطيف الملكوتي
الذي يستخدم هذا البدن الجسماني في حاجاته مسخرا له تسخير المولى لخدمه وهو
ذات الانسان وحقيقته العالمة بالمعلومات وله في هذا البدن جنود جسمانية
هي الاعضاء وجنود روحانية هي القوى قال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
وقال نبينا صلى الله عليه وآله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال اعرفكم
بنفسه اعرفكم بربه وقد يسمى هذا الجوهر الملكوتي بالروح لتوقف حيوة
البدن عليه وبالقلب لتقلبه في الخواطر وبالعقل لاكتسابه العلوم واتصافه
بالمدركات وقد تستعمل هذه الالفاظ الاربعة في معان اخر تعرف بالقراين ثم
النفس توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا اسكنت تحت
الاوامر والنواهي وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس
المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للشهوة والغضب ومعترضة
عليهما سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها
قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت و
اطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت الامارة بالسوء قال الله
تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء
الا ما رحم ربي **فصل** اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب
انقيادا تاما فيعينانه على طريقه الذي يسلكه ويحسنان مرافقته في السفر الذي
هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه
وفي ذلك هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب
جند اخر وهو العلم والحكمة والتفكر وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب

الله على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة
وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا
وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل
لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان يكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه
فصل ثم اعلم ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوايب
فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية
والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب
يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب و
الشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهايم من الشره
والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال تعالى قل الروح
من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء و
التخصيص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة
العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم
والمعرفة والاحاطة بحقايق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب
بالجهل والاحاطة بجميع الحقايق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلايق من اوصاف
الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص عن البهايم بالتميز مع
مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا
يستعمل التميز في استنباط وجوه الحيل والشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر و
الحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل
انسان ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية
والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب وكان المجموع في اهاب الانسان

خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما
للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان
السبع الضاري او الكلب العقور ليس كلبا ولا سبعا باعتبار الصورة واللون
والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان
ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء
والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة
الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه
والحكيم الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف
عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير
بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط
الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه
اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم
وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر
ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دايما في عبادة كلب او خنزير وهذا حال اكثر الناس
مهما كان اكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء **فصل** اما طاعة خنزير
الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة
والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة
كلب الغضب فينتشر منها الى القلب صفة التهور والنذالة والبذخ والصلف
والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والفخر والاستخفاف وتحقير الخلق
وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة
والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة والتلبيس

والغش والخب والخنا وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة
الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين
والاحاطة بحقايق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على
ذلك كله بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم
وجلالته ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير
الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء
والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة
وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب
صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو
والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مراة قد اكتنفته هذه
الامور المؤثرة فيه وهذه الاثار على التوالي واصلة الى القلب اما الاثار المحمودة
التي ذكرناها فانها تزيد مراة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلالا فيه جلية
الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة
بقوله صلى الله عليه واله اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه
وبقوله صلى الله عليه واله من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ
وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب
واما الاثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مراة القلب ولا يزال يتراكم
عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى
وهو الطبع والرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال
الله ان لو نشاء لاصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون
فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى حيث قال واتقوا الله

واسمعوا واتقوا الله واطيعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب
طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين و
يستهين بالاخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليه فاذا
قرع سمعه امر الاخرة ومافيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى و
لم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من الاخرة
كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما
نطق به القران والسنة قال امير المؤمنين عليه السلام ان الايمان ليبدو
لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نما وزاد حتى يبيض القلب كله وان النفاق
ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع
على قلبه فذلك الختم وتلا كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الباقر
عليه السلام ان القلوب ثلثة قلب منكوس لا يعي شيئا من الخير وهو قلب
الكافر وقلب فيه نكتة سوداء والخير والشر فيه يعتلجان فايهما كانت منه غلب
عليه وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفى نوره الى يوم القيمة وهو قلب
المؤمن وقال الصادق عليه السلام ان القلب ليكون في الساعة من الليل و
النهار ليس فيه ايمان ولا كفر كالثوب الخلق ثم قال اما تجد ذلك من نفسك قال
ثم يكون النكتة من الله في القلب بما شاء من كفر وايمان **فصل** ان القلب
مثاله مثال قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب او مثال هدف
تنصب اليه السهام من الجوانب او مثال مراة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور
المختلفة فيتراءى فيها صورة بعد صورة او مثال حوض ينصب اليه مياه مختلفة
من انهار مفتوحة اليه ومداخل هذه الاثار المتجددة فيه في كل حال اما من الظاهر
فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في



مزاج الانسان فانه اذا ادركت الحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك
اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل او بقوة المزاج والاثار تبقى ويتنقل
الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال فالقلب
دائما في التغير والتاثر من هذه الاسباب واخص الاثار الحاصلة فيه هي الخواطر
واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار اما على سبيل التجدد واما على
سبيل التذكر والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة فان
النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ الافعال
الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك النية والعزم والنية والعزم تحرك
الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني ما يضر في العاقبة
والى ما يدعو الى الخير اعني ما ينفع في الاخرة فهما خاطران مختلفان فالخاطر المحمود يسمى
الهاما والمذموم يسمى وسوسة وسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب
الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي به يتهيأ القلب لقبول الهام
الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا
والملك عبارة عن خلق خلقه الله لافاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق و
الوعد بالمعروف والشيطان عبارة عن خلق شانه الوعد بالشر والامر بالفحشاء
والتخويف عند الهم بالخير بالفقر والقلب متجاذب بينهما قال النبي صلى الله عليه
واله في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك
فليعلم انه من الله فليحمد ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن
الخير ومن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان ثم تلا الشيطان يعدكم الفقر الاية
وقال صلى الله عليه واله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه
كيف يشاء كني به عن سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير باستخدام

الملك والشيطان فانهما مسخران بقدرته فی تقلیب القلوب کما ان
اصابعك مسخرة لك فی تقلیب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح
لقبول اثار الملائكة ولقبول اثار الشياطين قبولا متساويا وانما يترجح احدهما
على الاخر باتباع الهوى والاكباب على الشهوات ومخالفتها فمهما غلب على القلب
ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف
الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم فالتطارد
بين جندى الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما
فيسكن ولا يستوحش ويكون اجتياز الثاني اختلاسا قال الله تعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فصل
اعلم انه قد يلتبس لمة الشيطان بلمة الملك فان مكايد الشيطان ان يعرض
الشر فی معرض الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم
موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله
تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير و
لسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة
العلم ودعوة خلق الله سبحانه الى الصراط المستقيم فلا يزال يقرر ذلك فی
نفسه ويستجره بلطايف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان
يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل ذلك
سقط وقع كلامك عن قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو
في اثنائه يوكد شوايب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم و
النظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم
وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن

انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه
وآله ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا
الدين بالرجل الفاجر فصل قال بعض اهل المعرفة ان الهام الملك
ووسوسة الشيطان يقع في النفوس على وجوه وعلامات احدها كالعلم
واليقين الحاصلين من جانب يمين النفس ويقابله الهوى والشهوة
الحاصلين من جانب الشمال وثانيها كالنظر الى ايات الافاق والانفس على
سبيل النظام والاحكام المزيل للشكوك والاوهام والمحصل للمعرفة والحكمة
في القوة العاقلة التي هي على الجانب الايمن من النفس ويقابله النظر اليها
على سبيل الاشتباه والغفلة والاعراض عنها الناشية منها الشبه و
الوسواس في الواهمة والمتخيلة التي على الجانب الايسر منها فان الايات
المحكمات بمنزلة الملائكة المقدسة من العقول والنفوس الكلية لانها مبادى
العلوم اليقينية والمتشابهات الوهميات بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمانية
لانها مبادى المقدمات السفسطية وثالثها كطاعة الرسول المختار والائمة
الاطهار في مقابلة اهل الجحود والانكار واهل التعطيل والتشبيه من
الكفار فكل من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملائكة الملهمين للخير و
من سلك سبيل الضلال فهو بمنزلة الشياطين المغوين بالشر ورابعها
كتحصيل العلوم والادراكات التي هي في الموضوعات العالية والاعيان الاخروية
كالايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الاخر والبعث وقيام الساعة و
مثول الخلايق بين يدي الله وحضور الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين
في مقابلة تحصيل العلوم والادراكات التي هي من باب الحيل والخديعة و
السفسطة والتامل في الامور الدنياوية الغير الخارجة عن دار المحسوسات

فان الاول يشبه الملائكة الروحانية وجنود الرحمن الذين هم سكان عالم
الملكوت السماوي والثاني يشبه الابالسة المطرودة عن باب الله الممنوعة
من ولوج السموات المحبوسة في الظلمات المحرومة في الدنيا عن الارتقاء
والمحجوبة في الاخرة عن دار النعيم **فصل** اعلم ان ما يخطر بالبال من
السيئة فلا مواخذة عليه لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل والهيجان
لانهما ايضا لا يدخلان تحت الاختيار واما الاعتقاد وحكم القلب بانه
ينبغي ان يفعل فهذا مردد بين ان يكون اضطراريا او اختياريا والاحوال تختلف
فيه فالاختياري منه يواخذ به والاضطراري لا يواخذ به واما الهم بالفعل
فانه يواخذ به الا انه ان لم يفعل فان تركه خوفا من الله تعالى وندم على همه
كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم
على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف
الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع وهو العمل لله سبحانه
اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح
جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل بعائق او تركه لعذر
لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختياري و
الدليل على هذا التفصيل ما ورد عن النبي صلى الله عليه واله قالت الملائكة
رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوه
عليه بمثلها وان تركها فاكتبوه له حسنة انما تركها لاجلي وعن امير المومنين عليه السلم
في قوله سبحانه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ان هذه
الاية عرضت على الانبياء والامم السابقة فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها
رسول الله صلى الله عليه واله وعرضها على امته فقبلوها فلما راى الله عز

وجل منهم القبول على انهم لا يطيقونها قال اما اذا قبلت الاية بتشديدها
وعظم ما فيها وقد عرضتها على الامم فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق علي
ان ارفعها عن امتك وقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر ان ما لا يدخل
تحت الوسع لا يواخذ به وعن النبي صلى الله عليه واله وضع عن امتي تسع
خصال الخطا والنسيان وما لا يعلمون وما لا يطيقون وما اضطروا اليه و
ما استكرهوا عليه والطيرة والوسوسة في التفكر في الخلق والحسد ما لم
يظهر بلسان او يد وعن الباقر عليهما السلام ان الله تعالى جعل لادم في ذريته
من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتبت
له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه ومن عمل بها كتبت له سيئة
وفي رواية ان العبد اذا اذنب ذنبا اجل من غدوة الى الليل فان استغفر الله
لم يكتب عليه وسئل الصادق عليه السلام عن رجل يجيء منه الشيء على حد
الغضب يواخذه الله تعالى به فقال الله اكرم من ان يستغلق على عبده وعنه
عليه السلام ما من مومن الا وله ذنب يهجره زمانا ثم يلم به وذلك قوله تعالى
الا اللمم قال واللمم الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه وعن الكاظم عليه السلم
ان الله ايد المومن بروح تحضره في كل وقت يحسن فيه ويتقي وتغيب عنه
في كل وقت يذنب فيه ويعتدي فهي معه تهتز سرورا عند احسانه وتسيخ في
الثرى عند اسائته فتعاهدوا عباد الله نعمه باصلاحكم انفسكم تزدادوا يقينا
وتربحوا نفيسا ثمينا رحم الله امرءا هم بخير فعمله او هم بشر فارتدع عنه ثم قال
نحن نؤيد الروح بالطاعة لله والعمل له **المقالة الثانية** في مساوي الاخلاق
وتهذيبها وفيها اربعة ابواب **الباب الاول** في معنى الخلق وتمثيله
اعلم ان الخلق عبارة عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال بسهولة

وتيسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الافعال
الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر
منها افعال قبيحة سميت خلقا سيئا وانما شرطنا الرسوخ لان من يصدر عنه
بذل المال مثلا على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت
ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا السهولة وعدم الروية لان من
تكلف بذل المال لا يقال خلقه السخاء وليس عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه
السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع اخر وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل
لباعث او لرياء فلا بد في الخلق الحسن من قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة
وقوة العدل بين هذه القوى الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في
ان تصير بحيث يسهل لها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين
الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا حصلت
هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب والشهوة فحسنهما في ان
يقتصر انقباضهما وانبساطهما على حد ما يقتضيه الحكمة والدين واما
قوة العدل فهي ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع
فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوته القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ
الممضي لاشارته والغضب والشهوة تنفذ فيهما الاشارة ومثال الغضب مثال
كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب
الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في
طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استقرت
فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها

دون بعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة وحسن القوة
الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها
يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة
سمي ذلك تهورا وان مالت الى الضعف سمي جبنا وخورا وان مالت قوة
الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرها وان مالت الى النقصان سمي خمودا والمحمود
هو الوسط وهو العدل والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس
له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها
عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبا وجربزة ويسمى تفريطها بلها و
الوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن امهات الاخلاق الحسنة الجميلة و
اصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ولم يبلغ كمال الاعتدال
في هذه الاربعة الا رسول الله صلى الله عليه واله ولهذا قال الله تعالى مثنيا
عليه وانك لعلى خلق عظيم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه
فينبغي ان يقتدى به فانه قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد اشار القران الى
هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم
الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو
ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط
قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب
على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله سبحانه قوما فقال اشداء
على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا ف
ليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال **فصل** اعلم ان

بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال
بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم ترض نفسه بان يكون ذلك لقصوره
ونقصه فزعم ان الاخلاق لا يمكن تغييرها وان الطباع لا تتغير واستدل
عليه بامرين احدهما ان الخُلق هو صورة الباطن كما ان الخَلق هو صورة الظاهر
فكما ان الخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فكذا الخلق الباطن والثاني ان حسن
الخلق انما يحصل بقمع الغضب والشهوة وحب الدنيا وغيرها وهذا امر ممتنع و
الاشتغال به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب
الى الحظوظ العاجلة وهو محال فنقول لو كان الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا
والمواعظ والتاديبات ولما قال الله تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها
ولما قال رسول الله صلى الله عليه واله حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في
حق الادمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس
والكلب من شره الاكل من الصيد الى التادب والامساك والفرس من الجماح
الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء
عن ذلك ان نقول ان الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للادمي واختياره في
اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وبالجملة
كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا
جعل فيه قوة الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان
النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلا ان انضاف
اليها التربية ولا تصير تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متاثرة
بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا
قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما

وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب
نجاتنا ووصولنا الى الله وليس المطلوب الا ذلك دون القمع بالكلية و
هيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطع شهوة
الطعام لهلك الانسان ولو انقطع شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم
الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ومهما بقي اصل الشهوة
فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصل الى الشهوة حتى يحمل ذلك على امساك المال
وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو
وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك
بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته
منقادا للعقل ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب و
الشهوة بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك قال سيدهم صلى الله
عليه واله انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه
فيغضب حتى يحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق
قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ وربما يستولي الشهوة
على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة
تعود الى الاعتدال فدل على ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة
لا يشك فيها فصل قد يكون اعتدال القوتين فطريا بحيث يخلق الانسان و
ينشا كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب على عقله كا
لانبياء والائمة عليهم السلام وقد يكون مكتسبا بالمجاهدة والرياضة بحمل
النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد ان يحصل لنفسه خلق
الجود مثلا فطريقه ان يتعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه

تكلفا مجاهدا لنفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير
نفسه جوادا ومن اراد خلق التواضع وغلب عليه التكبر فطريقه ان يواظب
على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها يجاهد نفسه ويتكلف الى ان
يصير ذلك خلقا وطبعا وجميع الاخلاق المحمودة شرعا يحصل بهذا الطريق و
غايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ التواضع
ولن يترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنة ولم
يترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق معها الى
الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتالم بها كما قال رسول
الله صلى الله عليه واله جعلت قرة عيني في الصلوة ومهما كانت العبادات وترك
المحظورات مع كراهية واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم
المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى فعله
عن طوع ولذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال النبي صلى
الله عليه واله اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما يكره خير كثير
ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه
المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون كذلك على الدوام وفي جملة العمر
كلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى
الله عليه واله عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله ولذلك كره الانبياء و
الاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر لطول العمر
كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات
تاثيرها في القلب وانما يتاكد اثارها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق
ان ينقلع عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله تعالى فلا شيء احب اليه من الله

سبحانه ومن لقائه وكل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى
تتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب
وطالب تزكية النفس لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرمها بعصيان يوم ولكن العطلة
في يوم واحد تدعو الى مثلها ثم يتداعى قليلا قليلا حتى يانس النفس بالكسل وتهجر
التحصيل راسا وصغار المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم
اصل الايمان عند الخاتمة فلا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعة ولا باصغر المعصية
فان الجملة الكثيرة منها موثرة وانما اجتمعت الجملة من الاحاد فلكل واحد تاثير و
ربما يحصل الاخلاق الحسنة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم
قرناء الخير والاخلاق السيئة بمشاهدة ارباب الاعمال السيئة ومصاحبتهم وهم
قرناء السوء فان الطبع يسترق من الطبع الخير والشر جميعا فمن تظاهرت في حقه
الجهات الثلث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة
ومن كان رذلا بالطبع واتفق له اقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب
الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلف به
هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما يقتضيه صفته وحالته
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا
انفسهم يظلمون فصل اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب
نفسه فمن كانت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج
ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم القذى في عين اخيه و
لا يرى الجذع في عين نفسه فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فليطلب صديقا
صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليراقب احواله وافعاله فما يكرهه
من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه او يستفيد معرفة

عيوب نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط تبدي المساوي كما قيل و
عين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع
الانسان بعدو مشاحن يذكر عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه و
يمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما
يقوله على الحسد لكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد
وان تنتشر على السنتهم او يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فيطالب
نفسه بتركه وما يراه محمودا يطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان
المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه وليعلم ان الطباع
متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرين الآخر عن
اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه
من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن
المؤدب قيل لعيسى على نبينا وعليه السلام من ادبك فقال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبت

الباب الثاني في ما يؤدي الى مساوي الاخلاق من البطن والفرج واللسان

اعلم ان الاخلاق انما ترسخ في النفس بتكرير الاعمال والاعمال انما تصدر من
القلب بتوسط الجوارح وكل جارحة يصلح لان يصدر منه الاعمال الحسنة الجالبة
للاخلاق الجميلة وان يصدر منه الاعمال القبيحة المورثة للاخلاق السيئة
فلا بد من مراعاة القلب والجوارح بصرفهما الى الخيرات ومنعهما من الشرور
واعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن والفرج واللسان ففي الحديث النبوي
من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب
الفرج واللقلق اللسان اما شهوة البطن فبها اخرج آدم وحوا من دار القرار
الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها

فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء و
الآفات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم يتبع شهوة
المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع
في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات
وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد من ذلك آفة الرياء وغائلة التفاخر
والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك
بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد
من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق مجاري الشيطان
لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى
الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب
على الدنيا قال النبي صلى الله عليه وآله ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب
ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان هو فاعلا لا محالة فثلث لطعامه وثلث
لشرابه وثلث لنفسه وقال صلى الله عليه وآله لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام
والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وآله
افضلكم منزلة عند الله تعالى اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل
نؤوم اكول شروب وقال الصادق عليه السلام ان البطن ليطغى من اكلة واقرب
ما يكون العبد الى الله اذا خف بطنه وابغض ما يكون العبد الى الله اذا امتلأ
بطنه وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام ما من شيء اضر لقلب
المؤمن من كثرة الاكل وهي مورثة شيئين قسوة القلب وهيجان الشهوة و
الجوع ادام للمؤمن وغذاء للروح وطعام للقلب وصحة للبدن وقال لقمان لابنه
يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة

وبالجملة ففوائد الجوع كثيرة منها صفاء القلب ورقته والاستلذاذ بالطاعة
والانكسار المانع عن المعصية والغفلة وتذكر جوع يوم القيمة وكسر شهوة
الفرج المستولية بالشبع ودفع النوم الذي يكل الطبع ويضيع العمر ويفوت
القيام والتهجد وتيسر المواظبة على الطاعة لخفة البدن والفراغ عن الاهتمام
بالتحصيل والاعداد والاكل ودفع الامراض الشاغلة عنها فان المعدة بيت الداء
والحمية راس كل دواء **فصل** قد علمت ان المقصد الاقصى في جميع الاحوال
والاخلاق الوسط وما ذكرنا في فضائل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب
وهيهات ولكن من اسرار الحكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى
وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة والمنع منه على وجه يومي عند الجاهل
الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك
ان المقصود هو الوسط لان الطبع اذا غلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان
يطلب غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان و
يحصل الاعتدال ولما بالغ النبي صلى الله عليه وآله في الثناء على قيام
الليل وصيام النهار ثم علم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل
كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل
ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يوثر
فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع العبادة
والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا معتدلا بحيث
لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل
الطعام والم الجوع واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا والقوام
فيه ان لا ياكل طعاما حتى يشتهيه ويرفع يده عنه وهو يشتهيه **فصل**

واما شهوة الفرج فانما سلطت على الانسان لبقاء النسل ودوام الوجود ولان
يدرك لذته فيقيس بها لذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى
لذات الاجساد كما ان الم النار اعظم الام الجسد فالترهيب والترغيب
يسوقان الخلق الى سعاداتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة فهذه
فائدتها ولكن فيها من الافة ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر و
لم ترد الى حد الاعتدال فان لها ايضا افراطا وتفريطا فافراطها ما يقهر العقل
حتى يصرف همة الرجل الى التمتع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق
الاخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي هذه الشهوة بمن
غلب وهمه على عقله الى العشق البهيمي الذي ينشا من استيلاء الشهوة فيسخر
الوهم العقل لخدمة الشهوة وقد خلق العقل ليكون مطاعا لا ليكون
خادما للشهوة محتالا لاجلها وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز
من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وتفريط
هذه الشهوة اما بالعنة الخارجة عن الاعتدال او بالضعف عن امتاع المنكوحة
وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان يكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع
في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها يكون بالجوع وبالنكاح قال
رسول الله صلى الله عليه وآله معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع
فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء **فصل** اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات
على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه
ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما العجز او لخوف او لحياء
او لمحافظة على حشمة وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس
على حظ اخر نعم من العصمة ان لا تقدر فعلى هذه العوائق فائدة وهو دفع الاثم

فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب
الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة عليه وارتفاع الموانع وتيسر
الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه واله من عشق فعف وكتم فمات فهو شهيد
وقال سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة
ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة
يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى
بذلك عليه في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة
العظيمة وقال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم
وقال النبي صلى الله عليه واله النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا
من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء
فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء. فصل واما اللسان فانه من نعم
الله العظيمة ولطايف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه
اذ لا يتبين الايمان والكفر الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم
انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم
الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه
اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في
ساير الاعضاء. فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى
غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا ساير الاعضاء واللسان رحب
الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وله في الخير مجال رحب وله في الشر
مجرى سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان

في

في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب
الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم كما ورد في الحديث النبوي و
لا ينجي من شر اللسان الا ان يقيد بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفع في الدنيا
والاخرة ويكف عن كل ما يخشى غايلته في عاجله واجله وعلم ما يحمد اطلاق
اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير و
اعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه
وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن افاته وغوايله والحذر من مصايده وحبايله و
انه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ولذلك قال النبي صلى الله
عليه واله من صمت نجا وقال الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم
وقال صلى الله عليه واله امسك لسانك فانها صدقة تصدق بها على نفسك
ثم قال ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن لسانه وقال صلى الله عليه
واله من راى موضع كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ومر امير المؤمنين
عليه السلام برجل يتكلم بفضول الكلام فوقف عليه فقال يا هذا انك تملي
على حافظيك كتابا الى ربك فتكلم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك وعن السجاد عليه السلام
قال ان لسان ابن ادم يشرف على جميع جوارحه كل صباح فيقول كيف اصبحتم فيقولون
بخير ان تركتنا ويقولون الله الله فينا ويناشدونه ويقولون انما نثاب ونعاقب
بك وعن الباقر عليه السلام ان شيعتنا الخرس وعن الصادق عليه السلام
النوم راحة للجسد والنطق راحة للروح والسكوت راحة للعقل وقال في
حكمة آل داود على العاقل ان يكون عارفا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه و
قال لقمان لابنه يا بني ان كنت زعمت ان الكلام من فضة فان السكوت من
ذهب وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام الكلام اظهار ما في قلب

المرء من الصفا والكدر والعلم والجهل قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب
عليه السلام المرء مخبوء تحت لسانه فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة
فان كان لله وفي الله فتكلم وان كان غير ذلك فالسكوت خير منه وليس على الجوارح
عبادة اخف مؤنة وافضل منزلة واعظم قدرا عند الله من الكلام في رضا
الله ولوجهه ونشر آلائه ونعمائه في عباده الا ترى ان الله عز وجل لم يجعل فيما
بينه وبين رسله معنى يكشف ما اسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات
وحيه غير الكلام وكذلك بين الرسل والامم ثبت بهذا انه افضل الوسائل
والطف العبادة وكذلك لا معصية اثقل على العبد واسرع عقوبة عند الله
واشدها ملامة واعجلها سامة عند الخلق منه وسئل السجاد عليه السلام
عن الكلام والسكوت ايهما افضل فقال عليه السلام لكل واحد منهما آفات
فاذا سلما من الآفات فالكلام افضل من السكوت قيل وكيف ذاك يا ابن
رسول الله قال لان الله عز وجل ما بعث الانبياء والاوصياء بالسكوت انما
بعثهم بالكلام ولا استحقت الجنة بالسكوت ولا استوجبت ولاية الله
بالسكوت ولا توقيت النار بالسكوت ولا يجتنب سخط الله بالسكوت انما ذلك كله
بالكلام ما كنت لاعدل القمر بالشمس انك تصف فضل السكوت بالكلام
ولست تصف فضل الكلام بالسكوت فصل اعلم ان آفات اللسان كثيرة
منها الخطا والكذب والغيبة الغير المأذون فيهما وخلف الوعد والنميمة و
الرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض
في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورة وافشاء
السر والتخرية والاستهزاء وغير ذلك وهي سباقة الى اللسان لا ثقل عليه و
لها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها

قلما يقدر على ان يزم اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك
من غوامض العلم وفي الخوض خطر وفي الصمت نجاة فلذلك عظم فضل
الصمت مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ في الفكر والذكر والعبادة
والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة قال الله تعالى ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر
بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال النبي صلى الله عليه وآله
طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فصل انما قيدنا
الكذب والغيبة بغير المأذونين لان من الكذب والغيبة ما يجوز قال الصادق
عليه السلام كل كذب مسئول عنه صاحبه الا في ثلثة رجل كائد في حربه فهو
موضوع عنه ورجل اصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك
الاصلاح بينهما او رجل وعد اهله شيئا وهو لا يريد ان يتم لهم وكذا ورد عن
النبي صلى الله عليه وآله وورد ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب يعني
بالمعاريض التورية وذلك اذا اضطر اليها وقال النبي صلى الله عليه وآله من
القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال ليس لفاسق غيبة وقال لي الواجد
يحل عرضه وعقوبته وقال لصاحب الحق مقال وقد علم الحديث في وجوب غيبة اهل
البدع والريب ليحذرهم الناس وعن النبي صلى الله عليه وآله اترعوون عن ذكر الفاجر
حتى لا يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وفي معنى الغيبة خفاء لا بد ان
نكشف الغطاء عنه فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال هل
تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارايت ان
كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته فان لم يكن فيه فقد بهته
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام صفة الغيبة ان يذكر احدا بما ليس

هو عند الله عيب ويذم ما يحمده العلم فيه واما الخوض في ذكر غايب بما هو
عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وان كره صاحبه اذا سمع
به وكنت انت معافى عنه خاليا منه وتكون مبينا للحق من الباطل ببيان الله
ورسوله ولكن على شرط ان لا يكون للقايل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في
دين الله واما اذا اراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو ماخوذ بفساد مراده
وان كان صوابا اقول وينبغي تخصيص هذا الحديث بما اذا لم يكن صاحبه عالما
بقبحه سائرا على نفسه كارها لظهوره ويدل على ذلك ما روي عنه عليه السلم
ايضا انه قال هو ان تقول لاخيك في دينه ما لم يفعل وتبث عليه امرا قد ستره
الله عليه لم يقم عليه فيه حد وعن الكاظم عليه السلام قال من ذكر رجلا من
خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته
وعن الصادق عليه السلام قال الغيبة ان تقول في اخيك ما ستره الله عليه
واما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا وخص بعض علمائنا تحريم الغيبة
بغيبة من يعتقد الحق لان ادلة الحكم غير متناولة لاهل الضلال فان الحكم
فيها منوط بالمومنين او بالاخ والمراد اخوة الايمان فلا يتناول من لا يعتقد
الحق وعن الصادق عليه السلام ان اصل الغيبة يتنوع بعشرة انواع شفاء
غيظ ومساعدة قوم وتهمة وتصديق خبر بلا كشفه وسوء ظن وحسد و
سخرية وتعجب وتبرم وتزين قال وان اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه
فان لم يلحقه فاستغفر الله وساير افات اللسان مستغن عن البيان

الباب الثالث في الغضب والحقد والحسد اعلم ان الغضب شعلة نار
اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا على الافئدة وانها المستكنة
في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد وتستخرجها حمية الدين من قلوب



المومنين او حمية الجاهلية والكبر الدفين من قلوب الجبابرين التي لها
عرق الى الشيطان اللعين حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فمن
شان الطين السكون والوقار ومن شان النار التلظي والاستعار والحركة و
الاضطراب ومن نتايج هذا الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك و
فسد من فسد ومفيضهما مضغة اذا اصلحت صلح لها ساير الجسد قال رسول الله
صلى الله عليه واله الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل وقال
من كف غضبه كف الله عنه عذابه وقال الباقر عليه السلام ان هذا الغضب
جمرة من الشيطان توقد في جوف ابن ادم وان احدكم اذا غضب احمرت عيناه
وانتفخت اوداجه ودخل الشيطان فيه فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم
الارض فان رجز الشيطان يذهب عنه عند ذلك قال وايما رجل غضب على
ذي رحم فليدن منه وليمسه فان الرحم اذا مست سكنت قال وكان ابي
يقول اي شيء اشد من الغضب ان الرجل يغضب فيقتل النفس التي حرم الله
ويقذف المحصنة وقال من كف غضبه ستر الله عورته وقال ان في التورية مكتوبا
ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك عند غضبي وقال الصادق عليه السلام
الغضب مفتاح كل شر وانما ينبسط الدم عند الغضب اذا غضب الانسان على
من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه
ياس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا
ولذلك يصفر اللون وان كان على نظير يشك فيه تردد بين انقباض وانبساط فيحمر و
يصفر ويضطرب لطلب الانتقام وانما يتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع
الموذيات الذي خلقت لاجله قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها
والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به والناس في

هذه القوة على درجات ثلث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له وهو ناقص جدا ومن ثمراته عدم الغيرة على الحرم واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد وصف الله خيار الصحابة بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار وقال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الشدة والغلظة من اثار قوة الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار وسبب غلبته قد يكون فطريا وقد يكون اعتياديا بان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول احدهم انا الذي لا اصبر على المحال ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل لي ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن يسمعه فيرسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيعمى ويصم عن كل موعظة ولا ينقذه الاستضاءة بنور عقله لانطفائه بدخان الغضب ومن اثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فهذا اثره في

الحسد واما اثره في

اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبح الكلام الذي يستحيي منه ذوو العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ

واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه وقد يعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما سقط صريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه شبه الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض ويكسر المائدة اذا غضب عليهما وقد يتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة والجماد ويخاطبهما ويقول الى متى منك كانه يخاطب عاقلا واما اثره في القلب فالحقد والحسد واظهار السوء والشماتة بالمساءة والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الاستار وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط وينبغي لصاحبه ان يعالج نفسه من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض **فصل** اعلم ان الانسان ما دام يحب ما يوافقه ويحتاج اليه ويكره ما يخالفه ويتاذى منه فلا يخلو عن الغيظ والغضب بجبلة طبعه فانه مهما اخذ منه محبوب به او قصد بمكروه غضب لا محالة وهذا يختلف باختلاف الاشخاص وانما المحبوب الضروري لكل احد ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه واله من اصبح امنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها فمن كان بصيرا بحقائق الامور وسلمت له هذه الثلث وكل ما كان ضروريا له خاصة يتصور ان لا يغضب في

بقوله ص

غيرها اعني يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد
يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك بالمجاهدة وتكلف التحلم والاحتمال
مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب
ذلك مقتضى الطبع فهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى
لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في
الوجه ولكن ذلك شديد جدا ان قيل انما الواجب التالم بفوات المحتاج اليه
دون الغضب فمن له شاة مثلا هي قوته فماتت فلا يغضب على احد وان كان
يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فالانسان يتالم بالفصد
والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى
الاشياء كلها من الله فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في
قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع عليه ملك بضرب رقبته
لم يغضب على القلم فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن
الظن بالله وهو ان يرى الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة
وربما يكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب
على الفصاد لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول ان هذا على هذا الوجه غير محال
ولكن غلبة التوحيد على هذا الوجه انما يكون كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع
القلب الى الالتفات الى الوسايط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك
على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وآله وعن امير المؤمنين عليه السلم
قال كان النبي صلى الله عليه وآله لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه
احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه
لله فهو التفات الى الوسايط على الجملة بل كل من غضب على من ياخذ ضرورته

قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك
عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري
اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان
اشتغال القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان
رضي الله عنه لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني
لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم
فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب
ثالث وهو ان يعلم ان الله يحب منه ان لا يغتاظ فيطفي شدة حبه لله غيظه
وذلك غير محال في احوال نادرة **فصل** قد ثبت ان علاج كل علة بحسم
مادتها وازالة اسبابها والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والفخر
والهزل والهزء والذل والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على
فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا ولا خلاص عن
الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالتها باضدادها فينبغي ان تميت
الزهو بالتواضع والعجب بالمعرفة بنفسك والفخر بمعرفة انه من الرذائل وانما الفخر
بالفضائل واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة واما
الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزء بك واما
التعيير فبالحذر عن قول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على
مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا
عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر
في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها
لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة

حتى تصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت
وطهرت عن هذه الرذايل وتخلصت عن الغضب الذي يتولد منها وعلاجه
عند هيجانه الاستعاذة من الشيطان والجلوس ان كان قائما والاضطجاع ان
كان جالسا والوضوء او الغسل بالماء البارد فان الغضب من النار كما ورد
في الحديث النبوي وان يتفكر فيما ورد في فضايل كظم الغيظ والعفو والحلم
والاحتمال قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين و
قال الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال ادفع
بالتي هي احسن السيئة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما
يلقاها الا الذين صبروا وما يلقيها الا ذو حظ عظيم وقال النبي صلى الله
عليه واله ما جرع عبد جرعة اعظم قدرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه
الله وقال الباقر عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على امضائه حشا الله
قلبه امنا وايمانا وقال الصادق عليه السلام ما من عبد كظم غيظا الا زاده
الله عزا في الدنيا والاخرة وقال عليه السلام كفى بالحلم ناصرا وقال اذا لم
تكن حليما فتحلم وان يخوف نفسه بعقاب الله احوج ما يكون الى العفو وان
يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته وان
يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره في حالة الغضب
وان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشي على وفق مراد الله لا على وفق
مراده وعن النبي صلى الله عليه واله الا ان بني ادم خلقوا على طبقات شتى منهم
بطي الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك
ومنهم سريع الغضب بطي الفيء الا وان خيرهم البطي الغضب السريع الفيء
وشرهم السريع الغضب بطي الفيء فصل اعلم ان الغضب اذا لزم

كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا
ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وان يدوم
على ذلك ويبقى قال رسول الله صلى الله عليه واله المؤمن ليس بحقود و
الحقد يثمر امورا منها الحسد وهو ان يحمله الحقد على ان يتمنى زوال النعمة عنه
فيغتم بنعمته ان اصابها ويسر بمصيبته ان نزلت به ومنها ان يزيد على اضمار
الحسد في الباطن فيشمت بما يصيبه من البلاء ومنها ان يهجره وينقطع عنه
وان طلبه المحقود واقبل عليه ومنها ان يتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة
وافشاء سر وهتك ستر وغيره ومنها ان يحاكيه استهزاء به وسخرية منه و
منها ايذاؤه بالضرب وما المه يولم بدنه ومنها ان يمنعه حقه من صلة رحم
او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان يحترز من هذه
الافات ولكن يستثقله بالباطن ولا ينتهي قلبه عن بغضه حتى يمتنع عما كان
يتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام لحاجاته والمجالسة معه
على ذكر الله والمعاونة على المنفعة له او يترك الدعاء والثناء عليه او التحريض
على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينه وبين فضل
عظيم والاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة
للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين قال رسول الله صلى الله
عليه واله الا اخبركم بخير خلايق الدنيا والاخرة العفو عمن ظلمك وتصل من
قطعك والاحسان الى من اساء اليك واعطاء من حرمك وقال صلى الله عليه
واله عليكم بالعفو فان العفو لا يزيد العبد الا عزا فتعافوا يعزكم الله وقال
الباقر عليه السلام الندامة على العفو افضل وايسر من الندامة على العقوبة
وعن النبي صلى الله عليه واله ان الرفق لم يوضع على شيء الا زانه ولا نزع

من شيء الا شانه وقال الباقر عليه السلام ان لكل شيء قفلا وقفل الايمان
الرفق وقال عليه السلام ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا
يعطي على العنف وقال الصادق عليه السلام من كان رفيقا في امره نال ما يريد
من الناس وقال الكاظم عليه السلام الرفق نصف العيش **فصل** واعلم
ان الحسد من نتايج الحقد كما ان الحقد من نتايج الغضب ثم للحسد من الفروع
الذميمة ما لا يكاد يحصى قال الله تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس
على ما آتاهم الله من فضله وقال ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد
ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان
تصبكم سيئة يفرحوا بها وذكر الله حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم
وما اداهم اليه من الرضا بقتله ثم ما اصابهم من ذلك وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم الحسد ياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب وقال
صلى الله عليه وآله قال الله تعالى لموسى بن عمران يا ابن عمران لا تحسد الناس
على ما آتاهم من فضلي ولا تمدن عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك فان
الحاسد ساخط لنعمي صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك
فلست منه وليس مني وقال صلى الله عليه وآله استعينوا على قضاء الحوائج
بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وآله ثلث لا ينجو منهن احد
الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا
تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وقال الصادق عليه السلام آفة الدين
الحسد والعجب والفخر وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام الحاسد
مضر بنفسه قبل ان يضر بالمحسود كابليس اورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم
الاجتباء والهدى والرفع الى محل حقايق العهد والاصطفاء فكن محمودا

ولا تكن حاسدا فان ميزان الحاسد ابدا خفيف بثقل ميزان المحسود والرزق
مقسوم فماذا ينفع الحاسد الحسد وماذا يضر المحسود الحسد والحسد اصله
من عمى القلب وجحود فضل الله وهما جناحان للكفر وبالحسد وقع ابن آدم
في حسرة الابد وهلك مهلكا لا ينجو منه ابدا ولا توبة للحاسد لانه مصر عليه
معتقد به مطبوع فيه يبدو بلا معارض به ولا سبب والطبع لا يتغير
عن الاصل وان عولج **فصل** معنى الحسد كراهة النعمة على المحسود وحب
زوالها منه فان لم يحب زوالها منه ولا يكره دوامها عليه ولكن يشتهي
لنفسه مثلها يسمى غبطة وقد يسمى منافسة قال الله تعالى وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون والغبطة ان كانت في الدنيا فمذموم اليها قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد وقال لا حسد الا
في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما
فهو يعمل به ويعلمه الناس سمى الغبطة حسدا وهذا كما قد يسمى الحسد منافسة
فان اصاب النعمة كافر او فاجر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد
ذات البين وايذاء الخلق فلا يضر كراهتها عليه وحب زوالها منه من حيث
انها آلة للفساد لا من حيث انها نعمة واسباب الحسد المذموم العداوة و
التعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث
النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير واما
ان يكون من حيث يعلم انه سيتكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره
لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع
ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان يكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا
فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف من

فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما
ان يكون بحب الرياسة التي تبتني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان
لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله وان
كانت النعمة لا ينتقل اليه وقد تجتمع هذه الاسباب او اكثرها في شخص واحد
فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة فيهتك
حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة فصل هذه الاسباب انما
تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون
على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه
وثبت الحقد فيه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته
لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه واذا لا رابطة بين
شخصين في بلدتين متباينتين فلا يكون بينهما محاسدة نعم اذا تجاورا في
مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردوا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم
فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية الاسباب فلذلك
ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر
يحسد التاجر دون غيره الا بسبب اخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل
اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها
اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته وذلك للتزاحم على المقاصد نعم من اشتد
حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد
كل من هو في العالم ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشا جميع ذلك حب
الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها وانما مثال
الاخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته و

ملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك
ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف
عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة
العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة اذ معرفة الله بحر واسع لا
ضيق فيه والمنزلة عند الله ايضا لا ضيق فيها لان اجل ما عند الله من النعم
لذة لقائه وليس فيها ممانعة ولا مزاحمة بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد
العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال هو اعيان واجسام اذا وقعت
في يد واحد خلت عنها يد الاخرين ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلا قلب
شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر او نقص عنده لا محالة فيكون
ذلك سببا للمحاسدة فصل اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب
ولا تداوى امراض القلب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد ان تعرف
تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود في
الدين ولا في الدنيا بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو
نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين
فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها لعباده
وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه
جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية على
الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته
وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وسائر الكفار
في حبهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تاكل حسنات
القلب كما تاكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا

عليك فهو انك تتالم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كد وغم اذ اعداؤك
لا يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتالم
بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محزونا متشعب القلب ضيق النفس كما
تشتهيه لاعدائك وكما يشتهي اعداؤك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت
في الحال محنتك نقدا ولا يزول النعمة على المحسود بحسدك اذ لو كانت النعم تزول
بالحسد لم يبق لله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان ايضا لان الكفار
يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون بل ما قدره الله من اقبال
ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل قدره الله ولا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده
بمقدار ولكل اجل كتاب ومهما لم يزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر
في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الاخرة واما ان المحسود ينتفع في الدين و
الدنيا فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا
اخرجك الحسد الى القول او الفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر
مساويه فهذه هدايا تهديها اليه باثقال حسناتك الى ديوانه حتى تلقاه مفلسا
محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فاضفت له نعمة الى نعمة و
اضفت لنفسك شقاوة الى شقاوتك واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم
اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين
ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم
فالحاسد ينبغي ان يحكم الحسد فكلما يتقاضاه من قول وفعل فينبغي ان يكلف
نفسه بنقيضها فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له و
الثناء عليه وان حمله على التكبر الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه
وان

وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل
ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما احبه عاد الحاسد
واحبه وتولد بينهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد ويصير ما تكلفه اولا
طبعا اخرا والاصل في العلاج قمع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس و
شدة الحرص على ما لا يغني كما ياتي بيانه **الباب الرابع** في الرياء والكبر
والعجب اعلم ان الرياء بالعبادة حرام وصاحبه ممقوت عند الله قال الله
تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن و
يمنعون الماعون وقال عز وجل يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا و
قال كالذي ينفق ماله رئاء الناس وقال رسول الله صلى الله عليه واله
يقول الله تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء و
انا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال صلى الله عليه واله ان ادنى الرياء
شرك وقال سياتي على الناس زمان تخبث فيه سرايرهم وتحسن فيه
علانيتهم طمعا في الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا
يخالطهم خوف فيعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب
لهم وقال صلى الله عليه واله ان الملك يصعد بعمل العبد مبتهجا به فاذا
صعد بحسناته يقول الله تعالى اجعلوها في سجين انه ليس اياي اراد بها وقال
امير المؤمنين عليه السلام اخشوا الله خشية ليست بتعذير واعملوا في غير
رياء وسمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى عمله وقال عليه السلام ثلث
علامات للمرائي ينشط اذا راى الناس ويكسل اذا كان وحده ويحب ان يحمد
في كل اموره وعن الباقر عليه السلام الابقاء على العمل اشد من العمل قيل و
ما الابقاء على العمل قال يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له

فتكتب له سرا ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء
وقال الصادق عليه السلام قال الله تعالى انا خير شريك من اشرك معي غيري
في عمل عمله لم اقبله الا ما كان لي خالصا وقال كل رياء شرك انه من عمل للناس
كان ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه على الله وقال عليه السلام في
قول الله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا قال الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به وجه الله انما يطلب
تزكية الناس يشتهي ان يسمع به الناس فهذا الذي اشرك بعبادة ربه ثم
قال ما من عبد اسر خيرا فذهبت الايام ابدا حتى يظهر الله له خيرا وما من عبد
يسر شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله له شرا وقال عليه السلام ما يصنع
احدكم ان يظهر حسنا ويسر سيئا اليس يرجع الى نفسه فيعلم ان ذلك ليس
كذلك والله تعالى يقول بل الانسان على نفسه بصيرة ان السريرة اذا صحت
قويت العلانية وقال من اراد الله بالقليل من عمله اظهره الله له اكثر مما
اراده ومن اراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله ابى
الله الا ان يقلله في عين من سمعه ولا باس بالسرور اذا كان قصده اخفاء
الطاعة والاخلاص به ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم عليه
واظهر الجميل من حاله فيستدل به على حسن صنيع الله به ونظره له والطافه
به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة
فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد
قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وكذا اذا استدل
باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل به في الاخرة
قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما ستر الله على عبد في الدنيا الا ستر

عليه في الاخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال وهذا التفات الى المستقبل
وكذا اذا ظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك
اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر اخرا واجر السر بما قصده اولا ومن
اقتدى به في طاعة فله اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص من اجورهم شيء
وكذا اذا فرح بطاعتهم لله في مدحتهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة
روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يا رسول الله اسر العمل لا
احب ان يطلع عليه احد فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر
واجر العلانية وعن الباقر عليه السلام انه سئل عن الرجل يعمل الشيء من الخير
فيراه انسان فيسره ذلك قال لا باس ما من احد الا وهو يحب ان يظهر الله له
في الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك وكذا الكلام في كتمان المعاصي لا
لان يعتقد فيه الورع بل للتحامي عن الهتك او لان الستر مامور به و
يعرف بكراهة ظهورها عن الغير او لانه يتالم بالذم فهو مباح لكونه جبليا
او لان الناس شهداء كما ورد او لان الذام يصير عاصيا ويعرف بتسويد ذمه
وذم غيره او لخوف ان يقصد بسوء او للحياء فهو كرم الطبع كما ورد الحياء
كله خير الحياء شعبة من الايمان او لان يقتدي به الغير او حبه محبة الناس
له ليعلم محبة الله تعالى له فان من احبه الله جعله محبوبا في قلوب الناس
فصل اعلم ان الرياء بالعبادة انما ينشا من حب لذة الحمد والفرار من الم
المذمة والطمع لما في ايدي الناس فمهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته
من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند
الله وما يتعرض له من العقاب والمقت والخزي وقابل ما يحصل له من العباد
والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من الاخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال

لترك الرياء لا محالة مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته
لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيات فترجح به ويهوي الى النار
هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق
فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في
سخط بعض ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم
ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا
يزيده حمدهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة
واما الطمع بما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع و
الاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم
يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فاذا
قرر في قلبه افة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه
ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص
لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى الناس ولو اخلص لله لكشف
الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بمدحه
والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم ثم ينبغي
ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب
دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازع النفس
الى طلب علم غير الله به وذلك وان شق في بداية المجاهدة لكن اذا صبر عليه
مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه بتواصل الطاف الله وما يمد
به عباده من حسن التوفيق والتاييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية والله لا يضيع اجر المحسنين

وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اكثر ما يقع الرياء في النظر و
الاكل والكلام والمشي والمجالسة واللباس والضحك والصلوة والحج والجهاد
وقراءة القران وساير العبادات الظاهرة ومن اخلص لله باطنه وخشع لله بقلبه
وراى نفسه مقصرا بعد بذل المجهود وجد الشكر عليه حاصلا ويكون ممن
يرجى له الخلاص من الرياء والنفاق اذا استقام على ذلك في كل حال **فصل**
واما الرياء بغير العبادات فقد يكون واجبا اذ يجب على المؤمن صيانة عرضه
وان لا يفعل ما يعاب عليه فلا يليق بذوي المروات ان يرتكبوا الامور
الخسيسة بانفسهم عند مشاهدة الناس وان جاز لهم في الخلوة الا ان ذلك
يختلف باختلاف الازمنة والبلاد والاشخاص من العباد فلا بد من مراعاة
ذلك فعن الصادق عليه السلام انه نظر الى رجل من اهل المدينة قد
اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما راه الرجل استحيى منه فقال عليه السلام
اشتريته لعيالك وحملته اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان
اشتري لعيالي الشيء ثم احمله اليهم اراد عليه السلام لولا مخافة ان يعيبوني
على ذلك مع ان جده امير المؤمنين صلوات الله عليه كان يفعل مثله الا
انه لما كان في زمان لا يعاب عليه بمثله جاز له ان يرتكبه وكان منقبة
له وتعليما وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله اراد يوما ان يخرج على
اصحابه فكان ينظر في حب من الماء ويسوي عمامته وشعره فقيل له او تفعل
ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم
وقال امير المؤمنين عليه السلام ليتزين احدكم لاخيه المسلم كما يتزين للغريب
الذي يحب ان يراه في احسن الهيئة وقال الصادق عليه السلام الثوب النقي
يكبت العدو وكل ذلك رياء محبوب **فصل** واما الكبر فانه من نتايج العجب

ينشأ من الحقد او الحسد او الرياء وقد ذم الله التكبر في مواضع من كتابه
قال الله تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال
كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال رسول الله صلى الله عليه
واله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وقال
من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان وقال
الباقر عليه السلام الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه وقال الصادق
عليه السلام الكبر ان تغمص الناس وتسفه الحق وفسر عليه السلام في
رواية اخرى سفه الحق بان يجهل الحق ويطعن على اهله والغمص بتحقير الناس
والتجبر عليهم وقال عليه السلام ما من احد تكبر او تجبر الا لذلة وجدها
في نفسه وقال ان في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر شكا الى الله شدة
حره وسال الله ان ياذن له ان يتنفس فتنفس فاحرق جهنم وقال ان المتكبرين
يجعلون في صور الذر يتوطاهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب وقال
عليه السلام ان في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر
وضعاه وعن النبي صلى الله عليه واله ما تواضع احد لله الا رفعه الله
وعنه صلى الله عليه واله انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده فيكون
مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وعنه صلى الله عليه واله انه
قال لاصحابه ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة
قال التواضع وعنه صلى الله عليه واله قال اذا رايتم المتواضعين من
امتي فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم
مذلة وصغار وعن السجاد عليه السلام انه مر على المجذمين وهو راكب
حماره وهم يتغذون فدعوه الى الغداء فقال اما اني لولا اني صائم لفعلت

فلما صار الى منزله امر بطعام فصنع وامر ان يتنوقوا فيه ثم دعاهم فتغدوا
عنده وتغدى معهم وعن الكاظم عليه السلام قال التواضع ان تعطي
الناس ما تحب ان تعطاه وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
التواضع اصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع لغة يفهمها
الخلق لنطق عن حقايق ما في مخفيات العواقب والتواضع ما يكون لله وفي
الله وما سواه مكر ومن تواضع لله شرفه على كثير من عباده ولاهل التواضع
علامات يعرفها اهل السموات من الملائكة واهل الارض من العارفين قال
الله عز وجل وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم واصل التواضع من
اجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عز وجل عبادة يرضاها ويقبلها
الا وبابها التواضع ولا يعرف ما في حقيقة التواضع الا المقربون من عباده المتصلين
بوحدانيته قال الله عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقد امر الله عز وجل خير خلقه وسيد بريته
محمدا صلى الله عليه واله بالتواضع فقال عز وجل واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين والتواضع مزرعة الخشوع والخضوع والخشية والحياء وانهن لا
ياتين الا منها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي الا للمتواضع في ذات الله **فصل**
التكبر قد يكون على الله كما كان لنمرود وفرعون وقد يكون على رسله كما كان يقول
اهولاء من الله عليهم من بيننا وقد يكون على ساير الناس بان يستعظم نفسه
ويستصغر غيره فاذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله و
اشمأز بجحده كما يكون لاكثر المناظرين في العلوم للغلبة والافحام ثم قد يكون
بالعلم وقد يكون بالعبادة والورع وقد يكون بالنسب والحسب والجمال والمال
والقوة وكثرة الانصار والاتباع والتكبر بالعلم له سببان احدهما ان يكون

لمن كان سمه

اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي والثاني ان يخوض في العلم
وهو خبيث النفس ردي الاخلاق لم يهذب نفسه اولا ولم يزكها
بالمجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض
في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم
يظهر في الخير اثره وعلاجه ان يعلم ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده و
انه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له
ان تكلف نفسه ما يحب مولاه وان يعلم ان حجة الله على اهل العلم اوكد
وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وانه من عصى الله عن
معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وآله يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار
فيندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون
ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله علماء
اليهود بالحمار وبلعم بن باعورا بالكلب وقال عيسى بن مريم ويل للعلماء السوء
كيف تلظى عليهم النار وقال الصادق عليه السلام يغفر للجاهل سبعون
ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد وعلى العابد الورع ان يعلم ان من
يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه لما عرف من فضيلة العلم
وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة
لذنوبه ان الحسنات يذهبن السيئات وامر غير العالم في حقه مستور
انما المدار على الخاتمة فعليه ان راى من هو شر منه ان يقول لعل هذا آخر
واهلك انا فلا يراه شرا منه خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن
فذلك خير له ولا ادري لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله فيرحمه الله و

يتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال ويرى ظاهر فذلك شر لي لان
فيما اظهر من الطاعة ان يكون دخلها الآفات فاحبطتها وبالجملة من جوز
ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء الازلي بشقوته فما له سبيل الى
ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلبه الخوف راى كل احد خيرا من نفسه
وذلك هو الفضيلة قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة اي
يؤتون الطاعة وهم على وجل عظيم من قبولها ومن يعتريه الكبر من جهة
النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث تعزز بكمال
غيره ولذلك قيل لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا
فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات فانه من اين يجبر خسته كمال غيره
بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا كان له ان يقول الفضل لي ومن انت انما انت
دودة خلقت من فضلتي والثاني ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده
فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى
نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل
نسله من سلالة من ماء مهين واما الكبر بالجمال فدواؤه ان ينظر الى باطنه
نظر العقلاء ليرى من الفضائح ما يكدر عليه التعزز بجماله فانه وكل به الاقذار
في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق
في فيه والوسخ في اذنه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه
يغسل الغائط كل يوم دفعة او دفعتين بيده يتردد الى الخلاء كل يوم مرة او مرتين
ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا ان يمسه او يشمه وفي اول
امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وخرج من مجرى
البول الى الرحم مغتص دم الحيض ثم مجرى العذرة ولو ترك نفسه في حياته

بوما لم يتعهده بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وسيموت
فيصير جيفة اقذر من ساير الاقذار واما التكبر بالقوة فيمنعه من ذلك ان
يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد من بدنه
لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه
منه وان بقة لو دخلت في انفه او نملة دخلت في اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت
رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة ثم ان اقوى انسان
لا يكون اقوى من حمار او فيل او جمل او بقر واي افتخار في صفة يسبقه البهائم فيها
واما التكبر بالغنى وكثرة المال والاتباع فذلك تكبر بمعنى خارج من ذات
الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع التكبر فان المثري لو يسبقه
اليهودي ولان الثري ياخذه السارق والمتكبر بتمكين السلطان بناء امره على هواء اشد
غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته
فهو ظاهر الجهل **فصل** اعلم انه لا يتم الشفاء من الكبر الا باستيصال اصله
من سنخه وقلع شجرته من مغرسه في القلب وذلك بان يعرف ربه وانه لا
يليق العظمة والكبرياء الا به وان يعرف نفسه حق المعرفة ليعلم انه بذاته اذل
من كل ذليل واقل من كل قليل ولا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة ويكفيه
اية واحدة من كتاب الله عز وجل ان فتحت بصيرته قال الله تعالى قتل الانسان
ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اذا شاء
انشره نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى و
ينسى المبدا والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام
العظيمة والافات المختلفة والطبايع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم
ليهدم البعض من اجزائه البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها

ثم اماته فاقبره

ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان
يعلم الشيء فيغفل عنه فلا يغفل ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في
اودية الوسواس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه
يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء ويكون حياته فيه يستلذ
الاطعمة فتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه لا يامن في لحظة
من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته وتفلج اعضاؤه و
يختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه وهو مضطر
ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه
ولا من غيره فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا
وسط احواله فليتامله واما اخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى
ثم اماته فاقبره فيصير جيفة منتنة قذرة ثم تبلى اعضاؤه وصورته وتتفتت
اجزاؤه فتنخر عظامه فيصير رميما رفاتا ثم يصير روثا في اجواف الديدان تهرب
منه الحيوان ويستقذره كل انسان واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا
يعمل منه الكيزان ويعمر به البنيان فما احسنه لو ترك ترابا بل يحيى بعد طول البلى
ليقاسي شدايد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيمة
فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم
منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة
ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحايف منشورة كتب فيها ما نطق به وعمل من قليل
وكثير ونقير وقطمير وهو معنى قوله عز وجل ثم اذا شاء انشره فالمن هذا حاله و
التكبر بل ماله وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر واما العلاج العملي فهو
التواضع بالفعل لله تعالى ولساير الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين فقد

ان رسول الله صلى الله عليه واله كان ياكل على الارض ويقول انما انا
عبد اكل كما ياكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس جيدا فقال انما انا عبد
فاذا اعتقت يوما لبست اشار به الى العتق في الاخرة وللمتواضع امتحانات
يعرف بها تواضعه فلا بد ان يمتحن نفسه بها حتى يطمئن بانه متواضع
فانه قد يضمر التواضع ويدعي البراءة من الكبر فاذا وقعت الوقايع عادت
النفس الى طبعها ونسيت وعدها ثم المحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن
غير تخاسس فان كلا طرفي الامور ذميم واحب الامور الى الله اوسطها
وهو ان يعطي كل ذي حق حقه وهو العدل فصل واما العجب فهو
اعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان كان خائفا
على نعمة شفقا على تكدرها او يكون فرحه بها من حيث انها من الله من
دون اضافتها الى نفسه فليس بمعجب فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه
ان له عند الله حقا وانه منه بمكان واستبعد ان يجري عليه مكروه يسمى
ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئا
فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه واقترح عليه الاقتراحات
او استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه قال الله تعالى في
معرض الانكار ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وقال وظنوا انهم مانعتهم
حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقال وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان
بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه قال الله تعالى افمن زين
له سوء عمله فراه حسنا وقال النبي صلى الله عليه واله ثلث مهلكات شح
مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه واله اذا

رايت شحا

رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة
نفسك وقال صلى الله عليه واله لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر
من ذلك العجب العجب وقال الصادق عليه السلام ان الله تعالى علم ان الذنب
خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلي مؤمنا بذنب ابدا وقال ان الرجل
ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخى عن حاله تلك فلان
يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه وعنه عليه السلام قال اتى عالم عابدا
فقال له كيف صلوتك فقال مثلي يسال عن صلوته وانا اعبد الله منذ كذا و
كذا قال فكيف بكاؤك قال ابكي حتى تجري دموعي فقال العالم ان ضحكك وانت
خائف افضل من بكائك وانت مدل ان المدل لا يصعد من عمله شيء
وعن الباقر عليه السلام قال دخل رجلان المسجد احدهما عابد والاخر فاسق
فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق وذلك انه دخل العابد المسجد
مدلا بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك ويكون فكرة الفاسق في الندم
على فسقه ويستغفر الله مما صنع من الذنوب وقال النبي صلى الله عليه واله
قال موسى لابليس اخبرني بالذنب الذي اذا اذنبه ابن ادم استحوذت عليه
فقال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه وقال قال الله
تعالى لداود يا داود بشر المذنبين وانذر الصديقين قال يا داود بشر
المذنبين اني اقبل التوبة واعفو عن الذنب وانذر الصديقين ان لا
يعجبوا باعمالهم فانه ليس عبد انصبه للحساب الا هلك وعن الكاظم عليه السلام
انه سئل عن العجب الذي يفسد العمل فقال العجب درجات منها ان يزين
للعبد سوء عمله فيراه حسنا فيعجبه ويحسب انه يحسن صنعا ومنها ان يؤمن
العبد بربه فيمن على الله ولله عليه فيه المن وفي مصباح الشريعة قال

قال يا داود كيف ابشر المذنبين وانذر الصديقين منه

الصادق عليه السلام العجب كل العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بما
يختم له فمن اعجب بنفسه وفعله فقد ضل عن نهج الرشاد وادعى ما ليس له
والمدعي من غير حق كاذب وان خفى دعواه وطال دهره فانه اول ما يفعل
بالمعجب نزع ما اعجب به ليعلم انه عاجز فقير ويشهد على نفسه ليكون
الحجة عليه اوكد كما فعل بابليس والعجب نبات حبها الكفر وارضها النفاق
وماؤها البغي واغصانها الجهل وورقها الضلالة وثمرها اللعنة و
الخلود في النار فمن اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النفاق ولا بد ان يثمر

فصل اعلم ان افات العجب كثيرة منها انه يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه
كما اشرنا اليه ومنها انه يدعو الى نسيان الذنوب وما يتذكر منها فيستصغرها
ولا يستعظمها فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما
العبادات فيستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه
بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن افاتها ومن لم يتفقد افات
الاعمال كان اكثر سعيه ضايعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية
عن الشوائب قلما تنفع وانما تتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون
العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويامن مكر الله وعذابه ويظن انه عند
الله بمكان وان له عند الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية
من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها فان
اعجب برايه وعلمه وعقله منعه ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة
والسؤال فيستبد بنفسه وبرايه ويستنكف عن سؤال من هو اعلم منه و
ربما يعجب بالراي الخطاء الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ويصر عليه
ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال و

ولا يفرح بخاطر غيره

ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستضاء بنور القران واستعان بعلماء
الدين وواظب على مدارسة العلم وسؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله
الى الحق فهذا وامثاله من افات العجب لذلك كان من المهلكات ومن اعظم
افاته ان يفتر في السعي لظنه انه قد فاز واستغنى وهو الهلاك الصريح الذي
لا شبهة فيه

فصل اعلم ان الانسان قد يعجب بالاسباب التي بها
يتكبر وعلاجه فيما ذكرناه في الكبر وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي الخطاء
الذي يزين له بجهله وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله ان ذلك
يغلب على اخر هذه الامة وبذلك هلك الامم اذ افترقت فرقا وكل معجب برايه
وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها
لعجبهم بارائهم وهو ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا و
علاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب الراي الخطا جاهل بخطائه ولو
عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والعارف يقدر على ان يبين للجاهل
جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برايه وجهله فانه لا يصغى الى العارف
ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة وكيف يمكن الهرب
مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه في الجملة ان يكون متهما لرايه
ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب الله او سنة نبيه او دليل عقلي
صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها
ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثابت وجد وتشمير في الطلب
وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة
للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم
يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغى اليها

ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر به ويتبع ائمة الهدى من اهل
بيت النبي صلوات الله عليه وعليهم ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة
من غير بحث وتفتيش ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي والشفقة على
المسلمين وساير الاعمال المرضية **فصل** ولما كان علاج كل علة بمقابلة
سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك
الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادات فان
العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره
ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي يعجب به اما
ان يكون يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه او من حيث انه منه و
بسببه وقدرته وقوته فان كان الاول فهو جهل لان المحل مسخر وانما يجري
فيه وعليه من جهة غيره لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما
ليس اليه وان كان الثاني فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته واعضائه
وساير الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان علم ان جميع ذلك
نعمة من الله اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان
يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله اذا فاض عليه ما لا يستحقه و
اثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فان قال وفقني للعبادة لحبي له فيقال
ومن خلق الحب في قلبك فسيقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من
عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة
فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك
واسباب اعمالك فاذن لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه و

عجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو
محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل ايضا من فضله وجوده فانه هو الذي
خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك
العقل والعلم والارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من ذلك عن نفسك لم تقدر
عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعه من غير مشاركة له من
جهتك معه في الاختراع الا انه خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق
في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم
ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي
خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت فان تحريك البواعث وصرف
العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجائب
ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله و
كرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ مكنهم من اسباب الشهوات و
اللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك
حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك وبهم من غير وسيلة سابقة
منك ولا جريمة سابقة منهم وروي ان ايوب على نبينا وعليه السلام
قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا اثرت هواك على هواي
فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا ايوب انى لك ذلك قال فاخذ رمادا ووضعه
على راسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه واضاف ذلك الى الله تعالى ولهذا
قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول
الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته فاذن هذا هو العلاج القاطع لمادة

لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه
النعمة عن الاعجاب بها **المقالة الثالثة** في ذم الدنيا والاغترار بها وفيها
خمسة ابواب **الباب الاول** في معرفة الدنيا والاخرة فنقول دنياك و
اخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك والقريب الداني منهما يسمى دنيا و
هي كل ما قبل الموت والمتراخي المتاخر يسمى اخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك
فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا
في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم
وذلك لان ما يصحبك في الدنيا ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو العلم
النافع والعمل الصالح فهو من الاخرة في الحقيقة وانما يسمى بالدنيا باعتبار
دنوه فان العالم قد يانس بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم
والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في
الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا
انه من الاخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته ويستلذها بحيث لو منع
عنها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من
الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام الليل بل نقول ان من جملة العمل
الصالح الذي هو من الاخرة التعرض للرزق قال النبي صلى الله عليه وآله العبادة
سبعون جزءا افضلها طلب الحلال وقال صلى الله عليه وآله ملعون من القى
كله على الناس وقال امير المؤمنين عليه السلام اوحى الله عز وجل الى داود
انك نعم العبد لولا انك تاكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئا قال فبكى
داود اربعين صباحا فاوحى الله عز وجل الى الحديد ان لن لعبدي داود فالان
الله له الحديد فكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بالف درهم فعمل ثلثمائة وستين

درعا فباعها بثلثمائة وستين الفا واستغنى عن بيت المال وقال النبي
عليه السلام الدنيا دنياآن دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وقال الباقر عليه السلام
من طلب الرزق في الدنيا استعفافا عن الناس وسعيا على اهله وتعطفا
على جاره لقى الله عز وجل ووجهه مثل القمر ليلة البدر وقال الصادق
عليه السلام الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله وقال عليه السلام في
رجل قال لاقعدن في بيتي ولاصلين ولاصومن ولاعبدن ربي فاما رزقي فسياتي
قال هذا احد الثلثة الذين لا يستجاب لهم وقال عليه السلام ان الله ليحب
الاغتراب في طلب الرزق وقال له رجل والله انا لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتى بها
فقال تحب ان تصنع بها ماذا قال اعود بها على نفسي وعيالي واصل بها واتصدق
بها واحج واعتمر فقال ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الاخرة وقال ليس منا من
ترك دنياه لاخرته ولا اخرته لدنياه وقال لا تكسلوا في طلب معايشكم فان اباءنا
كانوا يركضون فيها ويطلبونها وعن علي بن ابي حمزة قال رايت ابا الحسن عليه السلام
يعمل في ارض قد استنقعت قدماه في العرق فقلت جعلت فداك اين الرجال
فقال يا علي قد عمل باليد من هو خير مني في ارضه ومن ابي فقلت ومن هو فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين وآبائي عليهم السلام كلهم
كانوا قد عملوا بايديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والاوصياء والصالحين
فصل اعلم انه لا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفاء
القلب اعني طهارته من ادناس الدنيا وانسه بذكر الله وحبه لله وصفاء
القلب وطهارته لا يحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل
الا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة
الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات بعد الموت

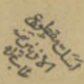
وهي الباقيات الصالحات وقد ورد في الخبر ان اعمال العبد تناضل عنه
فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من قبل
يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث واما الانس والحب فهما يوصلان
العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تستعجل عقيب الموت الى ان
يدخل الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه
روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوايق تعوقه عن الانس بدوام ذكره
ومطالعة جماله فارتفعت العوايق وافلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه
فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع امنا من الفراق وكيف لا يكون محب
الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل
بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه وليس الموت عدما
انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الاخرة هو المواظب
على اسباب هذه الصفات الثلث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه
عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن
الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بالقوت والملبس والمسكن ويحتاج
كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه العبد
من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الاخرة و
ان اخذ ذلك على قصد التنعم وحظ النفس صار من ابناء الدنيا والراغبين في
حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الله
في الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه
لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات
القيمة لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب عذب فلذلك قال

رسول الله صلى الله عليه واله حلالها حساب وحرامها عذاب بل لو لم
يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب
من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس
به حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنياوية كيف
يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها و
منغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادات لا يحيط الوصف
بعظمتها وتنقطع الازمان والدهور دون غايتها وكل من كانت معرفته اقوى
واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى على نبينا وعليه السلام
وضع راسه على حجر لما نام ثم رمى به اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا
وحتى ان سليمان على نبينا وعليه السلام في ملكه كان يطعم الناس من لذايذ
الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة
فان الصبر عن لذيذ الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا زوى الله تعالى الدنيا
عن نبينا صلى الله عليه واله فكان يطوى اياما ولهذا سلط الله البلاء و
المحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم
ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذيذ الفواكه ويلزمه
الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا به عليه وقد عرفت بهذا ان
كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فليس من الدنيا **فصل** قد ظهر مما
ذكرنا ان الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه
بالهوى واليه اشار قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى و
مجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله عز وجل في قوله انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي منها تحصل



هذه الامور الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب
فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب و
هو حبه لها وحظه منها وانصرافه بهمه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب
المستهتر ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا
كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء
وحب التكاثر والتفاخر فهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان
المذكورة والعلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه
الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي
الخلق مشغولون بها بحيث نسوا انفسهم ومآلهم ومنقلبهم ولو عرفوا سبب
الحاجة اليها واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم
لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها وتتابعت الاشغال واتصلت
بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا
مقصودها فكل ما ورد في ذم الدنيا يرجع الى هذا **الباب الثاني** في ما
ورد في ذم الدنيا اعلم ان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله
اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها
منذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها
ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله
فانها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشباكها حتى وثقوا بها وعولوا
عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة ينقطع دونها الاكباد

ثم حرمتهم عن السعادة ابد الاباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها
يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين
اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون و
الايات الواردة في ذم الدنيا كثيرة واكثر القران مشتمل على ذم الدنيا وصرف
الخلق عنها ودعوتهم الى الاخرة بل هو مقصود بعث الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك
فلا حاجة الى الاستشهاد بايات القران لظهورها وانما نورد بعض الاخبار
الواردة فيه ليكون انموذجا لغيره مما لا يحصى عن الصادق عليه السلام قال
خرج النبي صلى الله عليه واله وسلم وهو محزون فاتاه ملك ومعه مفاتيح
خزائن الارض فقال يا محمد هذه مفاتيح خزائن الارض يقول ربك افتح وخذ
منها ما شئت من غير ان تنقص شيئا عندي فقال رسول الله صلى الله عليه و
اله الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له فقال الملك والذي بعثك
بالحق نبيا لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء الرابعة حين اعطيت
المفاتيح وعنه عليه السلام قال مر رسول الله صلى الله عليه واله بجدي
اسك ملقى في مزبلة ميتا فقال لاصحابه كم يساوي هذا فقالوا لو كان حيا لم
يساو درهما فقال النبي والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله من هذا الجدي
على اهله وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ان في
طلب الدنيا اضرارا بالاخرة وفي طلب الاخرة اضرارا بالدنيا فاضروا بالدنيا فانها
احق بالاضرار وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ما لي
وللدنيا انما مثلي ومثلها كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال
تحتها ثم راح وتركها وعنه عليه السلام قال كتب امير المؤمنين عليه السلام
الى بعض اصحابه يعظه اوصيك ونفسي بتقوى الله من لا يحل معصيته ولا يرجى



غيره ولا الغنى الا به فان من اتقى الله تعالى عز وقوي وشبع وروي ورفع
عقله عن اهل الدنيا فبدنه مع اهل الدنيا وقلبه وعقله معاين الاخرة
فاطفأ بضوء قلبه ما ابصرت عيناه من حب الدنيا فقذر حرامها وجانب شبهاتها
واضر والله بالحلال الصافي الا ما لا بد له منه من كسرة يشد بها صلبه وثوب
يواري عورته من اغلظ ما يجد واخشنه ولم يكن له فيما لا بد منه ثقة ولا
رجاء فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الاشياء فجد واجتهد واتعب بدنه حتى
بدت الاضلاع وغارت العينان فابدل الله له من ذلك قوة في بدنه وشدة
في عقله وما ذخر له في الاخرة اكثر فارفض الدنيا فان حب الدنيا يعمي ويصم
ويبكم ويذل الرقاب فتدارك ما بقي من عمرك ولا تقل غدا او بعد غد فانما
هلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني والتسويف حتى اتاهم امر الله بغتة
وهم غافلون فنقلوا على اعوادهم الى قبورهم المظلمة الضيقة وقد اسلمهم
الاولاد والاهلون فانقطع الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم
ليس فيه انكسار ولا انخزال اعاننا الله واياك على طاعته ووفقنا واياك لمرضاته
وقال امير المؤمنين عليه السلام في صفة الدنيا ما اصف من دار اولها عناء
واخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن و
من افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها اتته ومن ابصر بها
بصرته ومن ابصر اليها اعمته وعن الباقر عليه السلام قال قال علي بن الحسين
عليهما السلام ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والاخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحد
منهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وكونوا من
الزاهدين في الدنيا الراغبين في الاخرة الا ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا
الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا من الدنيا تقريضا الا ومن

اشتق

اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات
من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب الا ان لله عبادا كمن راى اهل
الجنة في الجنة مخلدين وكمن راى اهل النار في النار معذبين شرورهم مامونة
وقلوبهم محزونة انفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا اياما قليلة فصاروا
بعقبى راحة طويلة اما الليل فصافون اقدامهم تجري دموعهم على خدودهم
وهم يجأرون الى ربهم يسعون في فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء بررة
اتقياء كانهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر اليهم الناظر فيقول
مرضى وما بالقوم من مرض ام خولطوا فقد خالط القوم امر عظيم من ذكر النار وما
فيها وعن علي بن الحسين عليهما السلام انه سئل اي الاعمال افضل عند الله تعالى
فقال ما من عمل بعد معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله افضل من بغض الدنيا و
ان لذلك لشعبا كثيرة وللمعاصي شعبا فاول ما عصي الله به الكبر وهي معصية
ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين والحرص وهي معصية ادم وحواء حين
قال الله تعالى لهما كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
فاخذا ما لا حاجة بهما اليه فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيمة وذلك ان
اكثر ما يطلب ابن ادم ما لا حاجة به اليه ثم الحسد وهي معصية ابن ادم حيث حسد
اخاه فقتله فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرياسة وحب
الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن
في حب الدنيا فقال الانبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حب الدنيا راس كل خطيئة
والدنيا دنيا ان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وعن الباقر عليه السلام انه قال لجابر
يا جابر من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه يا جابر ما الدنيا وما
عسى ان تكون الدنيا هل هي الا طعام اكلته او ثوب لبسته او امراة اصبتها يا جابر

ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا ببقائهم فيها ولم يامنوا قدومهم الاخرة
با جابر الاخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن اهل الدنيا اهل غفلة
وكان المؤمنين هم الفقهاء اهل فكرة وعبرة لم يصمهم عن ذكر الله تعالى
ما سمعوا باذانهم ولم يعمهم عن ذكر الله ما راوا من الزينة باعينهم ففازوا
بثواب الاخرة كما فازوا بذلك العلم الحديث وعن الصادق عليه السلام قال
اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبها ومن
اوتيهن فقد اوتي خير الدنيا والاخرة وقال الا انه حرام عليكم ان تجدوا طعم
الايمان حتى تزهدوا في الدنيا وقال اذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة
حب الله فلم يشتغلوا بغيره وقال ان القلب اذا صفا ضاقت به الارض حتى
يسمو وقال جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا ثم قال قال
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا يجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه
حتى لا يبالي من اكل الدنيا وعنه عليه السلام من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة
في قلبه وانطق بها لسانه وبصره عن عيوب الدنيا داءها ودواءها واخرجه
من الدنيا سالما الى دار السلام وعن الكاظم عليه السلام قال قال ابو ذر رحمه
الله جزى الله الدنيا عني مذمة بعد رغيفين من الشعير اتغدى باحدهما
واتعشى بالاخر وبعد شملتي الصوف اتزر باحدهما وارتدي بالاخرى وعن
الرضا عليه السلام قال قال عيسى بن مريم للحواريين يا بني اسرائيل لا تاسوا
على ما فاتكم من الدنيا كما لا ياسى اهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم اذا اصابوا دنياهم
فصــل وعن النبي صلى الله عليه واله لو كانت الدنيا تعدل عند الله
جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه واله الدنيا
سجن المومن وجنة الكافر وقال صلى الله عليه واله الدنيا ملعونة ملعون

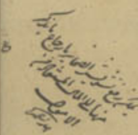
وكان عند اهل الدنيا كانه قد خولط وانما خالط القوم حلاوة حب الله صح

فيها

ما فيها الا ما كان لله وقال صلى الله عليه واله يا عجبا كل العجب للمصدق
بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وقال صلى الله عليه واله الهيكم التكاثر
يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت
فافنيت او لبست فابليت وقال صلى الله عليه واله من اصبح والدنيا اكبر
همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا
وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا ينال غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا
وقال صلى الله عليه واله لتاتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب
وقال لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا واوحى الله تعالى الى موسى لا تركنن الى حب
الدنيا فلن تاتني بكبيرة هي اشد عليك منها وقال عيسى على نبينا وعليه السلام
ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويامنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل
للمغترين كيف الزمهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل
لمن اصبحت الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بعمله وقال لقمان لابنه يا بني
بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا وقيل
لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل له والاخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم
الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها
فصــل ولنذكر بعض الامثلة التي وردت في صفة الدنيا قال الله تعالى
انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما
تذروه الرياح وقال النبي صلى الله عليه واله الدنيا حلم واهلها عليها
مجازون معاقبون وقال صلى الله عليه واله في قلة ما بقي من الدنيا الا انما فني
الا ما سبق مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط
في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال صلى الله عليه واله ما الدنيا في



الاخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع اليه من الاصل
وكتب امير المؤمنين عليه السلام الى سلمان رضي الله عنه بمثالها فقال
مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها
لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر
ما تكون منها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمان منها الى سرور اشخصته
عنه مكروهة والسلام وكان الحسن بن علي عليهما السلام يتمثل بهذا البيت
يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زائل حمق وعن الباقر عليه السلام
في حديث جابر فانزل الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه او كمال وجدته في
منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء قال اني انما ضربت لك هذا
مثلا لانها عند اهل اللب والعلم بالله كفيء الظلال وعنه عليه السلام
قال مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان
ابعد لها من الخروج حتى تموت غما وعن الصادق عليه السلام مثل الدنيا مثل
ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله وروي ان عيسى
على نبينا وعليه السلام كوشف بالدنيا فراها في صورة عجوز شمطاء هتماء عليها
من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او
كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى بؤسا لازواجك الباقين
كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك
على حذر وقال عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقال بعض الحكماء
ما اشبه حال الانسان واغتراره بالدنيا وغفلته عن الموت وما بعده من
الاهوال وانهماكه في اللذات العاجلة الفانية الممتزجة بالكدورات بشخص
مدلى في بئر مشدود وسطه بحبل وفي اسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه



اليه منتظر سقوطه فاتح فاه لالتقامه وفي اعلى ذلك البئر جرذان ابيض
واسود لا يزالان يقرضان ذلك الحبل شيئا فشيئا ولا يفتران عن قرضه آناً من
الآنات وذلك الشخص مع انه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض الحبل آناً
فآناً قد اقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمع
عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك فيه ملتذ بما اصاب منه
مخاصم لتلك الزنابير عليه قد صرف باله باجمعه الى ذلك غير ملتفت الى ما فوقه
والى ما تحته فالبئر هو الدنيا والحبل هو العمر والثعبان الفاتح فاه هو الموت
والجرذان الليل والنهار القارضان للاعمار والعسل المختلط بالتراب هو
لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات والآلام والزنابير هم ابناء الدنيا المتزاحمون
عليها وما اشد انطباق هذا المثال على الممثل له فنسال الله الهداية والبصيرة
ونعوذ به من الغفلة والغواية الباب الثالث في ذم حب المال اعلم ان
فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال
اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنه فيها انه لا غناء عنها ثم اذا وجدت
فلا سلامة منها فان فقد فقد حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا
وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبته امره الا خسرا وبالجملة
فهو لا يخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات
وتمييز خيرها من شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في
الدين من العلماء الراسخين ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص وللحريص حالتان
طمع فيما في ايدي الناس وتشمر للحرف والصناعات مع الياس عن الخلق
وللواجد حالتان امساك وانفاق وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد وهذه امور
متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم قال الله تعالى انما اموالكم

واولادكم فتنه وقال عز وجل لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله
ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال النبي صلى الله عليه واله
حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال ماذئبان
ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب المال والجاه في دين الرجل
المسلم وقال صلى الله عليه واله يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك
الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال رجل
يا رسول الله مالي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول
الله قال قدم مالك امامك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه
وان خلفه احب ان يتخلف معه **فصل** واعلم ان الله سبحانه قد
سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية الاية وقال رسول
الله صلى الله عليه واله نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في
ثواب الصدقه والحج والانفاق فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليها الا به
وتحقيق القول فيه ان المال قد يكون وسيلة الى مقصود صحيح وقد يكون و
سيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الابد وسد
سبيل العلم والعمل فهو اذن محمود ومذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود
ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم ولما كانت الطباع مايلة الى اتباع
الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها والة اليها عظم الخطر
فيما يزيد على قدر الكفايه فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا صلى الله عليه
واله اللهم اجعل قوت ال محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا ما لم يتمحض خيره
وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا **فصل** اعلم ان مثل المال مثل
حية فيها سم وترياق ففوايده ترياقها وغوايله سمومها فمن عرف غوايله و

فوايدها امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها اما الفوايد فهي
تنقسم الى دنيويه ودينية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف
الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فهي ثلثه انواع الاول
ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في استعانة على عبادة والثاني ما
يصرفه الى الناس وهي اربعة اقسام الصدقه والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام
اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفي غضب الرب واما المروة فنعني بها
صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه
مما يكتسب به العبد الاخوان والاصدقاء ويكتسب به صفة السخاء فانه لا يوصف
بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا
مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام
الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقه في مصارفها واما وقاية العرض
فنعني بها بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع
شرهم وهذا ايضا مع تنجز فايدته في العاجله من الحظوظ الدينيه قال رسول الله
صلى الله عليه واله ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقه واما الاستخدام
فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيية اسبابه كثيرة ولو تولاها
بنفسه لضاعت اوقاته وتعذر عليه سبيل الاخرة بالفكر والذكر الذي
هو اعلى مقامات السالكين النوع الثالث ما لا يصرفه الانسان الى انسان
معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطير والرباطات ودار المرضى
ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات المؤبدة الدائمة
بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات متماديه فهذه جملة
فوايد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل

السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان
والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة فى القلوب واما الافات فدينيه
ودنيويه اما الدينيه فثلثه انواع الاول انه يجر الى المعاصي فان الشهوات
متقاضيه والعجز ربما يحول بين المرء وبين المعصيه ومن العصمة ان لا تقدر
ومهما كان الانسان ايسا عن نوع من المعصية لم يتحرك داعيته اليها فاذا استشعر
القدرة عليه انبعثت الداعية والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي
وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع فى شدة اذ
الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء الثاني انه يجر الى
التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول
خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه
سليمان عليه السلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليها
نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجر البعض منه
الى البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال
فيقتحم الشبهات ويخوض في المراءاة والمداهنة والكذب والنفاق وساير
الاخلاق الرديه لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت
حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان ينافقهم ويعصي الله في طلب
رضاهم فان سلم من الافة الاولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه
اصلا ومن الحاجة الى الخلق يثور العداوة والصداقة ويتشعب عليه الحسد والحقد
والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وساير المعاصي التي تخص القلب و
اللسان ولا يخلو عن التعدي ايضا الى ساير الجوارح وكل ذلك يلزمه من شوم
المال والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالث وهو الذي لا ينفك عنه احد وهو

انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما يشغل العبد عن الله فهو
خسران ولذلك قال عيسى على نبينا وعليه السلام فى المال ثلث ان ياخذه
من غير حله فقيل ان اخذه من حله قال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه
في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات
ومخها وسرها ذكر الله تعالى والفكر في جلال الله وذلك يستدعي قلبا فارغا و
صاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخيانته
وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان
في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وصاحب التجارة يكون
متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييع المال
وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير اصناف الاموال وابعدها عن كثرة
الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي
كيفية حفظه وفي الخوف ممن يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية
افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه او سنته في سلامة
عن جميع ذلك فهذه جملة الافات الدينية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال
من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وحفظ الاموال
كسبها فاذن ترياق المال اخذ القوت وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم
وافات فصل اعلم ان الفقر محمود ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا
منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب
المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الكفاف ويقصر الامل
فان تشوق الى الكثرة وطول الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع
وذل الحرص وقلة القناعة وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب

افات

المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الادمى على الحرص والطمع وقلة القناعة
قال رسول الله صلى الله عليه واله لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى
وراءهما ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال
صلى الله عليه واله منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال
وقال صلى الله عليه واله يشيب ابن ادم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول
الامل ولما كانت هذه جبلة للادمى وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله
على القناعة وقال صلى الله عليه واله طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه
كفافا وقنع به وقال ما من احد غنى ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتى قوتا
فى الدنيا وقال يا معشر الفقراء اعطوا الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم
والا فلا وقال ليس الغنا غنى كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقال ان روح القدس
نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب
وقال امير المؤمنين عليه السلام ابن ادم ان كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فان
ايسر ما فيها يكفيك وان كنت تريد ما لا يكفيك فان كل ما فيها لا يكفيك
وقال الباقر عليه السلام اياك ان تطمح بصرك الى من هو فوقك فكفى بما قال الله
لنبيه ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا فان دخلك من ذلك شىء فاذكر عيش رسول الله
فانما كان قوته وحلواه التمر ووقوده السعف اذا وجد وقال الصادق عليه السلام
ان الله يقول يحزن عبدى المؤمن ان قترت عليه وذلك اقرب له منى ويفرح
عبدى المؤمن ان وسعت عليه وذلك ابعد له منى وقال عليه السلام كلما
ازداد العبد ايمانا ازداد ضيقا فى معيشته وقال فى مناجاة موسى يا موسى اذا
رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل

ذنب عجلت عقوبته **فصل** لا نجاة من غايلة المال الا بالمحافظة على امور
الاول ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا
يكتسب ولا يحفظ الا قدر حاجته والثانى ان يراعى جهة دخل المال فيجتنب
الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام ويجتنب الجهات المكروهة القادحة
فى المروة والثالث ان يراعى جهة الخرج ويقتصد فى الانفاق غير مبذر
ولا مقتر قال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين
ذلك قواما وفى الحديث النبوى ما عال من اقتصد والرابع ان يضع ما
اكتسبه من حله فى حقه ولا يضعه فى غير حقه فان الاثم فى الاخذ من
غير حقه والوضع فى غير حقه سواء والخامس ان يصلح نيته فى الاخذ
والترك والانفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة
ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره
وجود المال قال امير المؤمنين عليه السلام لو ان رجلا اخذ جميع ما فى
الارض واراد به وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد وجه الله
فليس بزاهد ان قيل ايهما افضل الغنى بنية الاستعانة على العبادة ام
الفقر بنية التفرغ لها قلنا الافضل منهما ما لا يشغل العبد عن الله فان كان
الفقر يشغله عن الله فالغنى اولى به وان كان الغنى يشغله عن الله فالفقر اولى
به وذلك لان فضل الفقر والغنى بحسب عدم تعلق القلب بالمال وفقده فان
تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة الاقدام وموضع الغرور فان
الغنى ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا فى باطنه وهو
لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه وهذا حال كل الاغنياء الا
الانبياء والاولياء واذا كان ذلك محالا او بعيدا فلنطلق القول بان الفقر

اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير وانسه بالدنيا اضعف غالبا
وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركات
اللسان والابدان ليست مرادة لاعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور ولا يكون
تاثيره في اثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور كتاثيره في قلب مشغول و
لهذا ورد في فضل الفقراء على الاغنياء على الاطلاق ما ورد ثم ليس معنى الفقر
ان لا يملك شيئا البتة قال الصادق عليه السلام في كلام له مع الصوفية ثم
علم الله نبيه كيف ينفق وذلك انه كانت عنده صلى الله عليه واله اوقية
من الذهب فكره ان يبيت عنده فتصدق بها فاصبح وليس عنده ما يعطيه
فلامه السائل واغتم هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان رحيما رفيقا
صلى الله عليه واله فادب الله عز وجل نبيه بامره فقال ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا يقول ان الناس
قد يسئلونك ولا يعذرونك فاذا اعطيت جميع ما عندك من المال كنت
قد حسرت من المال فهذه من علمتم بعده في فضله وزهده سلمان الفارسي رضي الله
عنه وابوذر رحمه الله فاما سلمان فكان اذا اخذ عطاءه رفع منه قوته لسنته
حتى يحضر عطاؤه من قابل فقيل له يا ابا عبد الله انت في زهدك تصنع هذا و
انت لا تدري لعلك تموت اليوم او غدا فكان جوابه ان قال ما لكم لا ترجون
لي البقاء كما خفتم على الفناء اما علمتم يا جهلة ان النفس قد تلتاث على
صاحبها اذا لم يكن لها من العيش ما يعتمد عليه فاذا هي احرزت معيشتها
اطمانت واما ابوذر فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها اذا
اذا اشتهى اهله اللحم او نزل به ضيف او رأى باهل الماء الذين معه خصاصة
نحر لهم الجزور او من الشاة على قدر ما يذهب عنهم بقرم اللحم فيقسمه بينهم



ويأخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضل عليهم ومن ازهد من
هؤلاء وقد قال فيهم رسول الله ما قال فيهم رسول الله ما قال ولم يبلغ
من امرهما ان صارا لا يملكان شيئا البتة كما تامرون الناس بالقاء امتعتهم
وشيئهم ويؤثرون به على انفسهم وعيالاتهم واعلموا ايها النفر اني سمعت
ابي يروي عن ابائه ان رسول الله صلى الله عليه واله قال يوما ما عجبت
من شيء كعجبي من المؤمن انه ان قرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان
خيرا له وان ملك ما بين مشارق الارض ومغاربها كان خيرا له وكل
ما يصنع الله به فهو خير له **فصل** قد ظهر مما ذكرناه لا خلاص من
تبعة الدنيا وغوائلها الا بالزهد فيها وهو ان لا يريدها بقلبه الا
بقدر ضرورة بدنه وهو مقام عال قال الله تعالى فخرج على قومه في
زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير نسب الزهد
الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال عز وجل من كان
يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال النبي صلى
الله عليه واله من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق
عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما
كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته و
جعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال اذا رأيتم العبد قد اعطى
صمتا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه فانه يلقى الحكمة وقال ازهد في الدنيا
يحبك الله وازهد فيما ايدي الناس يحبك الناس وقال من اراد ان يؤتيه
الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وللزهد ثلث
ثلث درجات السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار وساير عذاب

الاخرة وهذا زهد الخائفين والثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيم
الجنة وهذا زهد الراجين والثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا
في الله وفي لقائه وهذا زهد العارفين والزهد باعتبار احكامه ينقسم
الى فرض ونفل وسلامة فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد
في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وفي مصبلح الشريعة قال
الصادق عليه السلام الزهد مفتاح باب الاخرة والبراة من النار وهو ترك
كل شيء يشغلك عن الله من غير تاسف على فوتها ولا اعجاب في تركها ولا
انتظار فرج منها وطلب محمدة عليها ولا عوض لها بل ترى فوتها راحة وكونها
افة وتكون ابدا هاربا من الافة معتصما بالراحة والزاهد الذي يختار الاخرة
على الدنيا والذل على العز والجهد على الراحة والجوع على الشبع وعافية الاجل
على محبة العاجل والذكر على الغفلة ويكون نفسه في الدنيا وقلبه في الاخرة
وسئل الصادق عليه السلام عن الزاهد في الدنيا فقال الذي يترك حلالها
مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عذابه وقال ليس الزهد في الدنيا باضاعة
المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا ان لا تكون بما في يدك اوثق منك بما عند
الله وقال امير المومنين عليه السلام الزهد في الدنيا قصر الامل وشكر كل
نعمة والورع عن كل ما حرم الله عز وجل وقال عليه السلام الزهد كله بين كلمتين

من القران

قال الله سبحانه لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم ومن لم ياس على
الماضي ولم يفرح بالاتي فقد اخذ الزهد بطرفيه ولعمري انه تمام في معناه
فصل اعلم ان من ثمرة الزهد السخا ومن ثمرة الرغبة في الدنيا البخل فالمال ان
كان مفقودا ينبغي ان يكون حال العبد القناعة وان كان موجودا ينبغي ان
يكون حاله السخا واصطناع المعروف فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو

اصل من اصول النجاة وعن النبي صلى الله عليه واله حيث قال السخا شجرة
من شجر الجنة اغصانها متدلية على الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك
الغصن الى الجنة وقال قال جبرئيل قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي
ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وقال ما جبل الله
اولياءه الا على السخاء وحسن الخلق وقال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام
وافشاء السلام وحسن الكلام وقال تجافوا عن ذنب السخي فان الله اخذ بيده كلما
عثر اقاله وقال طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال ان السخي قريب من الله
قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد
من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد
بخيل وادوى الداء البخل وارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة
اليه قال الله تعالى في معرض الثناء ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
وقال النبي صلى الله عليه واله ايما امرء اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على
نفسه غفر له وينبغي للفقير ان لا يمتنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك
جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى قال النبي صلى
الله عليه واله درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم
قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف يتصدق
بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه فصار صاحب
الدرهم افضل من صاحب مائة الف واعلم ان الامساك حيث يجب البذل
بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي ان
يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يومر رسول الله صلى الله عليه واله الا بالسخا
وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى

والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط
بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذل الله وامساكه
بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن طيبا به غير
منازع له فيه بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد
المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه شرعا او مروة وعادة ووجب
المروة والعادة يختلف في الاحوال والاشخاص فيستقبح من الغني المضايقة
ما لا يستقبح من الفقير ومع الاهل والاقارب ما لا يستقبح مع الاجانب
ومع الجار ما لا يستقبح مع البعيد وفي الضيافة ما لا يستقبح اقل منه
في المبايعة والمعاملة الى غير ذلك وبالجملة حد البخل هو امساك المال
عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال وفي مقابلة السخاء والجود

الباب الرابع

في ذم حب الجاه اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت
والاشتهار وهو افة عظيمة وحبه مذموم بل المحمود هو الخمول الا من شهره
الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال الله تعالى تلك الدار
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وقال النبي صلى الله
عليه واله حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء
البقل وقال ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الجاه
والمال في دين الرجل المسلم وقال انما هلك الناس باتباع الهوى وحب الثناء
وعنه صلى الله عليه واله حسب امرء من الشر الا من عصمه الله ان يشير
الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه وعن امير المؤمنين عليه السلام
تبذل لا تشهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار
وتغيظ الفجار وقال الصادق عليه السلام اياكم وهؤلاء الرؤساء الذين
يترأسون فوالله ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك واهلك وقال
عليه السلام ملعون من ترأس ملعون من هم بها ملعون من حدث بها
نفسه وعن النبي صلى الله عليه واله رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم
على الله لابره لو قال اللهم اني اسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من
الدنيا شيئا وعنه صلى الله عليه واله ان اليسير من الرياء شرك وان الله
يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا
قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة واعلم ان الجاه والمال ركنا
الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها في التوصل الى الاغراض و
المقاصد وقضاء الشهوات ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها
وطاعتها ليتوصل باستعمال اربابها في الاغراض والمقاصد وكما انه يكتسب
الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب القلوب بانواع
من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات وكل
من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له
بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان
يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده
وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا
بحسب اعتقاده وذلك بحسب معتقده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلب تابعة
لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك
الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم
بملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك
العبد يملكه قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلي ورايه انسل عن الطاعة

وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبتغي ان يكون الاحرار له عبيدا
بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فيقصد ما يعتقدون
من كماله تذعن له قلوبهم ويعتقد ان القلب يكون قدرته على ارباب
القلوب ويعتقد قدرته يكون فرحه بسبب الجاه وللجاه ثمرات كالمدح والاطراء
فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة و
الاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده وكالايثار و
ترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل
والتقديم في جميع المقاصد وملك القلوب ترجيح على ملك المال من وجوه
الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم
او الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان
اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل
الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ
ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له والثاني ان المال معرض
للتوى والتلف لانه يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه
الى الحفظ والحراسة ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم
تتعرض لهذه الافات فان ذا الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة
فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغير الاعتقاد فيما
صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه والثالث ان ملك القلوب
يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة لان القلوب اذا اذعنت
لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيرهما افصحت الالسنة لا محالة بما
فيها فيصف ما يعتقده لغيره واستطار في الاقطار فاقتنصت القلوب



ودعتها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد
ليس له مرد معين واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه فقط ولا
يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة واما حب جمع المال وكنز الكنوز
وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات وحب اتساع الجاه
وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه قط لا يطأها ولا
يشاهد اصحابها ليعظموه او يعينوه على غرض من اغراضه فله سببان احدهما
جلي والاخر خفي دقيق عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده
من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليه الا
الغواصون اما الجلي فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع و
الانسان وان كان مكتفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال
الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف
من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال اخر يفزع اليه ان
اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحيوة يقدر طول
الحيوة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الافات الى الاموال و
يستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع الخوف وهو كثرة المال حتى ان اصيب
بطائفة من ماله استغنى بالاخرى وهذا خوف لا موقف له عند مقدار
مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا
ولذلك ورد منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل
هذه العلة تطرد في حب قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده
فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى
وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم واما السبب الخفي وهو الاقوى ان الروح امر

ربانى يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والعبودية قهر
على النفس ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم يسقط شهوتها
للكمال فهى محبة للكمال مشتهية له ملتذة به لذاته لا لمعنى اخر وراء الكمال
فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذى هو عدم
ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته فصار الاستيلاء على الاموال والقلوب
محبوبا بالطبع وان كان لا يحتاج اليها فى ملبسه ومطعمه وفى شهوات نفسه
ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة
فصل اعلم ان الكمال الحقيقى الذى يقرب من يتصف به من الله تعالى
ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ليس الا العلم بالله وبصفاته وافعاله وحكمته
فى ملكوت السماء والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق به ثم الحرية
اعنى الخلاص عن اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها
بالملائكة الذين لا يستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب واما ما له منفعة
فى الاعانة على معرفة الله كمعرفة لغة العرب وتفسير القران والفقه والاخبار
ومعرفة طريق تزكية النفس لقبول الهداية الى معرفة الله كما قال تعالى قد افلح
من زكيها وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فهو من حيث انه وسيلة
الى معرفة الله والى تحصيل الحرية فما لا بد منه بالعرض واما القدرة فليس فيها كمال
حقيقى للعبد اذ ليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما
يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته فهى حادثة باحداث
الله تعالى كما حقق فى موضعه نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال
وهى وسيلة الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشى
وحواسه للادراك فان هذه القوى الة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم

وقد

وقد يحتاج فى استبقاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به
الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى
معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التى تنقضى على القرب
ولا طريق للعبد الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد الموت اذ قدرته على
اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومن ظن ذلك
كمالا فقد جهل فالخلق كلهم فى غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على
الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة
الجاه والمال كمال فلما اعتقدوا الكمال ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما احبوه
شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقى الذى يوجب القرب من الله ومن
ملائكته وهو العلم والحرية وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك
فالعلم والحرية هى الباقيات الصالحات التى تبقى كمالا للنفس والمال والجاه
هو الذى ينقضى على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما الحيوة الدنيا
كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الاية وكل ما تذروه الرياح
بالموت فهو من الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال
والجاه كمال وهمى لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا
فهو جاهل الا قدرا يبلغه منها الى الكمال الحقيقى فصل اعلم انه كما لا بد
من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة
مع الخلق والانسان كما لا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام والمال
الذى يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق

الحاله

زهرة الحيوة الدنيا كما لا تقطعه الموت فهو

مثل به

يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب
خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس مذموما وكذا حبه لان يكون له في
قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته وكذا حبه لان يكون
له في قلب استاده من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به و
كذا حبه لان يكون له من المحل في قلب سلطان ما يحمله ذلك على دفع الشر
عنه فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في
هذا يفضي الى ان لا يكون المال والجاه في اعيانهما محبوبين بل ينزل ذلك منزلة
حب الانسان ان يكون في داره بيت ماء لانه يضطر اليه لقضاء حاجته
ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء الا انه لا يوصف
محبهما بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم
يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه
بعبادة فان التوصل الى المال والجاه بالعبادة جناية على الدين وهو حرام
واليه يرجع معنى الرياء المحظور فاما ان يطلبهما باخفاء عيب من عيوبه
ومعصية من معاصيه حتى لا يعلمه فلا يزول به منزلته فهو مباح ايضا
لان حفظ الستر على القبايح جايز بل لا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا
ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فايدة في العلم به كالذي يخفي
عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله انه ورع تلبيس
وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب **فصل**
واما حب المدح والثناء فله اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال
فان النفس مهما شعرت بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر
نفس الممدوح بكمالها وتعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير خبير

لا يجازف في القول ولهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكره لانه يشعر
بنقصان في نفسه والسبب الثاني ان المدح يدل على ان قلب المادح ملك
الممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب
محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر
ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ولهذه العلة
ايضا يكره الذم ويتالم به القلب والسبب الثالث ان ثناء المثني ومدح
المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت
الى قوله ويعتد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملاء والسبب الرابع
ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء
عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر و
القدرة وهذه الاسباب قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ
ويندفع استشعار الكمال بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه فان كان
يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه
على قلبه وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء
فصل اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة
الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراياة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله
ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد
ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراياة بها والى اقتحام المحظورات
للتوصل بها الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه
وآله حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه
ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن

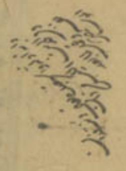
بالقول والفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق
معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق وعلاج
العلمي ان يعلم ان السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص
الناس وعلى قلوبهم ان صفى وسلم فآخره الموت فليست من الباقيات
الصالحات بل لو سجد له كل من على وجه الارض والى خمسين سنة لا يبقى
الساجد ولا المسجود له ويكون حاله كحال من مات قبله من ذوي الجاه مع
المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحيوة الابدية التي
لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه
في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها
ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده وابصار اكثر الخلق ضعيفة
مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب كما قال الله تعالى
بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال كلا بل تحبون العاجلة و
تذرون الآخرة الى غيرها من الآيات فمن هذا حاله فينبغي ان يعالج قلبه في
حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف
لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود مقصود بالايذاء وخائف
على الدوام على جاهه محترز من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد
تغيرا من القدر في غليانه وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على
قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة
القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء اشتغال عن الله و
تعرض لمقته في العاجل والآجل كل ذلك غموم عاجلة مكدرة للذة الجاه فلا يفي
في الدنيا ايضا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي ان

يعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلا
يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط
الجاه عن قلوب الخلق بالانس بالخمول والقناعة بالقبول من الخالق والاعتزال
عن الناس والهجرة الى مواضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلدة التي هو بها
مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه
ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت لانها ظفرت بمقصودها و
لو تغير الناس عما اعتقدوا فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت
نفسه وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار من ذلك واماطة ذلك الغبار
عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى الكذب والتلبيس ولا يبالي
به وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب
الناس ما دام يطمع في الناس ولا ينقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن
قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام
منزلته بالقلوب عنده وزن ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة
في ذم الجاه ومدح الخمول مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او علة او قلة الى غير ذلك
وحب المدح كحب الجاه حرمته واباحته ونفعا وضرا وعلاجه علاج حب الجاه
وعلته ان الصفة الممدوح بها ان فقدت فاستهزاء وان وجدت فالدنيوية
كمال وهمي والدينية موقوفة على الخاتمة وعلاج كراهة الذم العلم بان الصفة
المذموم بها ان وجدت فتبصير للعيوب وفيه الفرح والشغل بالازالة وان
فقدت فكفارة للذنوب وفيه الشكر لله تعالى والترحم عليه حيث اهلك
نفسه كما قال النبي صلى الله عليه وآله اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
لما ان كسروا رباعيته والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهو شخص عدو نفسه

فينبغي ان يفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكا
لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة
عنده اذ صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا
سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون جبر العيوب التي
هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة
وهي ان يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ
معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات
ولا يقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

الباب الخامس

في ذم الغرور وهو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن
شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في
الاجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وقال الله تعالى لا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور وقال عز وجل ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم
وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور وقال النبي
صلى الله عليه واله حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر
الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء
الارض من المغترين وقال صلى الله عليه واله الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله الاماني ولنمثل
للغرور مثالا لا ليتضح اما الغرور بالحيوة الدنيا فمثاله ما قال بعض الكفار
والعصاة النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والاخرة نسيئة فاذن هي خير
فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات
الاخرة شك فلا نترك اليقين بالشك فهذه اقيسته فاسدة تشبه قياس ابليس



حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة
بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان بان يصدق
الله في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقوله والاخرة خير وابقى و
قوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور واما البرهان وهو ان يعرف فساد
هذا القياس الذي نظمه في قلوبهم الشيطان فان فيه اصلين احدهما ان
الدنيا نقد والاخرة نسيئة وهذا صحيح والاخر ان النقد خير من النسيئة و
هذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار
المقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسيئة خير فان هذا المغرور يبذل
في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه
واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة تركها في الحال خوفا من الم المرض
في المستقبل وقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار
ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة في
ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى
مدة الاخرة واما قولهم ان اليقين خير من الشك والدنيا يقين والاخرة
شك فهو اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من
الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في سعيه على يقين وفي ربحه على شك
والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والمريض
من مرارة الدواء على يقين ومن الشفاء على شك والصياد في تردده في
المقتنص على يقين وفي اقتناصه الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم
داب العقلاء فمن شك في الاخرة فيجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر

ايام قلايل وهو منتهى العمر قليل بالاضافة الى ما يقال من امر الاخرة فان كان
ماقيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حيوتي وان كان صدقا فانا بقي في
النار ابد الاباد وهذا لا يطاق واما الاصل الثاني وهو ان الاخرة شك فهو
ايضا خطاء بل ذلك يقين عند المومنين وليقينه مدركان احدهما
الايمان والتصديق للانبياء والعلماء والثاني الوحي والالهام للانبياء و
الاولياء اذ كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها وشاهدوها بالبصيرة
الباطنة كما نشاهد انت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة
لا عن سماع وتقليد واما المغرور بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم
انه ان كان لله معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا وفيه اسعد حالا
كما اخبر الله من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن
رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وهذا قياس من اقيسة ابليس و
ذلك لانهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليه عذاب
الاخرة كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ومرة
ينظرون الى المومنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم
فيقولون اهولاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا
اليه وقياسهم انه قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب
وكل محب فانه يحسن في المستقبل ايضا والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن
محب بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ
يظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصاير يدل على
الهوان فان نعيم الدنيا ولذاتها مهلكات ومبعدات من الله تعالى وان الله
يحمي عبده الدنيا كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه كما

ورد في الخبر وهذا المغرور علاجه معرفة دلايل الكرامة والهوان اما بالبصيرة
واما بالتقليد قال الله تعالى ايحسبون ان ما نمدهم به من مال وبنين نسارع
لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال
فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون ومنشا هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يامن
مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك
الارض وكيف احسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا ومكروا ومكر الله و
الله خير الماكرين ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون فصل اعلم ان فرق
المغترين كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من راى المنكر معروفا كالذي
يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه
لنفسه وما يسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من
يترك الاهم ويشتغل بغيره كالذي يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم
من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي تكون همته في الصلوة مقصورة
على الوسواس في النية او تصحيح مخارج الحروف حتى تفوته الجماعة وتخرج الصلوة
عن الوقت ثم لا يحضر قلبه في صلوته ويزعم انه اذا اتعب نفسه في تصحيح النية
او الحروف تميز عن العامة بهذا الجهد ومنهم من اغتر بقراءة القران فيهذه
هذا وربما يختم في اليوم والليلة مرة ولسانه يجري به وقلبه متردد في اودية
الاماني ومنهم من اغتر بالصوم وربما صام الدهر ولا يحفظ لسانه عن الغيبة
ولا بطنه عن الحرام عند الافطار ثم يظن بنفسه الخير ومنهم من اغتر بالحج فيخرج الى
الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون وطلب الزاد الحلال ويضيع في
الطريق الصلوة ويعجز عن طهارة الثوب والبدن ويتعرض لمكس الظلمة ولد

بعد سقوط حجة الاسلام عنه ومنهم من يتقلد امامة مسجد او اذانه
ويظن انه على خير ولو امر غيره او اذن في وقت غيبته قامت عليه القيمة
ولو كان اورع منه واعلم ومنهم من يامر بالخير ويعني نفسه فاذا امر غيره و
طلب الرياسة والعز واذا رد عليه اذا باشر منكرا غضب وقال انا المحتسب
فكيف ينكر علي وانما غرضه الرياسة ومنهم من احكم العلوم الشرعية وتعمق
فيها واشتغل بها واهمل تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات
او اهمل تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات او اهمل تفقد
قلبه ليمحو عنه الصفات المذمومة والاخلاق الردية واغتر بعلمه وظن
انه عند الله بمكان وانه قد بلغ من العلم مبلغا لا يعذب الله مثله بل
يقبل في الخلق شفاعته وانه لا يطالبه بذنوبه لكرامته على الله ومنهم
من يعجب بنفسه ويظن انه منفك عن الاخلاق المذمومة وانه ارفع عند الله
من ان يبتليه بها وانما يبتلى بها العوام ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة
وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هو طلب عز الدين واظهار شرف
العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين ومهما اطلق اللسان بالحسد
في اقرانه او في من رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد و
لكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ثم لو طعن في
غيره من اهل العلم لم يكن غضبه مثل غضبه الآن بل ربما يفرح به وان
خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق
بي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتامل المغرور انه
ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح
الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان عد ما يكره هذا فلا يخليه الشيطان



ايضا بل يقول انما ذا السلام اذا اهتدوا بي كان الاجر والثواب لي فانما فرحي
بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع على سريرته
ومنهم من اشتغل بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين
واعتقد انه لا يكون للعبد عمل الا بالايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم
وما يسمونه ادلة عقايدهم وظن انه لا احد اعرف بالله وصفاته منهم
وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعا كل فرقة منهم الى
نفسه وفي الحديث النبوي ما ضل قوم قط بعد هدى الا اوتوا الجدل و
حرموا العمل ومنهم من اشتغل بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق
النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر ونظايرها و
يظن بنفسه انه اذا تكلم بهذه الصفات ودعا الخلق اليها صار موصوفا بها
وهو منفك عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين و
الاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا
يقنعون منها بالتزويق ومنهم من ظن ان حكم العبد بينه وبين الله تعالى
يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق واساؤا تاويل
الالفاظ واغتروا بالظواهر واخطاوا فيها وذلك مثل فتواهم بان المراة
مهما ابرات الزوج من الصداق بري الزوج بينه وبين الله وذلك خطا
بل الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث تضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر
الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه وهو ابراء من غير طيبة نفس
وقد قال الله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وطيبة النفس غير
طيبة القلب فالقلب قد يريد ما لا يطيب به النفس كالانسان يريد الحجامة
بقلبه ولكن يكره بها نفسه فانما طيبة النفس ان تسمح بالابراء لا عن ضرورة

تقابله وكذلك لوطلب من انسان ما لا على ملاء من الناس فاستحيى من الناس ان لا يعطيه وكان يود ان يكون سواله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف مذمة الناس والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله فان الباطن عند الله ظاهر وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه اولشر سعاته فهو حرام عليه **فصل**

ومن المغترين قوم قنعوا باهل الذكر والتصوف يدعون البراءة من التصنع والتكلف يلبسون خرقا ويجلسون حلقا يخترعون الاذكار ويتغنون بالاشعار يعلنون بالتهليل وليس لهم الى العلم والمعرفة سبيل ابتدعوا شهيقا ونهيقا واخترعوا رقصا وتصفيقا قد خاضوا الفتن واخذوا بالبدع دون السنن رفعوا اصواتهم بالنداء وصاحوا الصيحة الشنعاء ومنهم من يدعي علم المعرفة ومشاهدة المعبود ومجاوزة المقام المحمود والملازمة في عين الشهود ولا يعرف من هذه الامور الا الاسماء ولكنه تلقف من الطامات كلمات يرددها الدى الاغبياء كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن السماء ينظر الى اصناف العباد والعلماء بعين الازدراء يقول في العباد انهم اجراء متعبون وفي العلماء انهم بالحديث عن الله لمحجوبون ويدعي لنفسه من الكرامات ما لا يدعيه نبي مقرب لا علما احكم ولا عملا هذب ياتي اليه الرعاع الهمج من كل فج اكثر من اتيانهم مكة للحج يزدحم عليه الجمع يلقون اليه السمع وربما يخرون له سجودا كانهم اتخذوه معبودا يقبلون يديه ويتهافتون على قدميه ياذن لهم في الشهوات ويرخص لهم في الشبهات ياكل ويأكلون كما تاكل الانعام ولا يبالون من حلال اصابوا ام من حرام وهو لحلوانهم هاضم ولدينه و

ادبانهم

اديانهم حاطم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون **فصل** واما ارباب الاموال ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة باموال كسبوها من غير حلها ويكتبون اسماءهم بالاحجار عليها لتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم ويظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وانهم مخلصون فيه ولو كلف احد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولم يسمح به نفسه والله تعالى مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا انه يريد وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك وربما يكون في جواره احد او في بلده فقير وصرف المال اليه اهم من الصرف الى المساجد وتزيينها ومنهم من ينفق الاموال في الصدقات على الفقراء والمساكين و يطلب به المحافل الجامعة والفقراء الذين عادتهم الشكر والافشاء للمعروف ويكره التصدق في السر ويرى اخفاء الفقير لما اخذ منه جناية عليه و كفرانا ومنهم من يحفظ ماله ويمسكه بحكم البخل ثم يشتغل بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القران وهو يظن انه على خير ومنهم من لا تسمح نفسه الا باداء الزكوة فقط ثم يخرجها من المال الخبيث الردي الذي يرغب عنه ويطلب من الفقراء من يخدمه ويتردد في حاجاته ويظن انه اذا ها لله واصناف الغرور لا تحصى وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام المغرور في الدنيا مسكين وفي الاخرة مغبون لانه باع الافضل بالادنى ولا تعجب من نفسك حيث ربما اغتررت بمالك وصحة جسمك ان لعلك تبقى وربما

اغتررت بطول عمرك واولادك واصحابك لعلك تنجو بهم وربما اغتررت
بحالك ومنيتك واصابتك مامولك وهواك وظننت انك صادق ومصيب
وربما اغتررت بما ترى الخلق من الندم على تقصيرك في العبادة ولعل
الله تعالى يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما اقمت نفسك على العبادة
متكلفا والله يريد الاخلاص وربما افتخرت بعلمك ونسبك واشتغل
عن مضمرات ما في علم الله وربما توهمت انك تدعو الله وانت تدعو سواه
وربما حسبت انك ناصح للخلق وانت تريدهم لنفسك ان يميلوا اليك و
ربما ذممت نفسك وانت تمدحها في الحقيقة واعلم انك لن تخرج من
ظلمات الغرور والتمني الا بصدق الانابة الى الله والاخبات لله ومعرفة
عيوب احوالك من حيث لا توافق العقل والعلم ولا يحتمله الدين و
الشريعة وسنن القدوة وائمة الهدى وان كنت راضيا بما انت فيه فما
احد اشقى بعملك منك واضيع عمرا واورث حسرة يوم القيمة **المقالة
الرابعة** في مكارم الاخلاق وتحصيلها وفيها ستة ابواب **الباب الاول**
في الصبر وهو ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فعلى الشاق كالعبادة
والمكروه كالمصيبة صبر مطلقا وضده الجزع والهلع وهو الاسترسال في
رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وعن شهوة البطن والفرج عفة
وضده الشره وفي الغنى ضبط النفس وضده البطر وفي الحرب شجاعة وضده الجبن
وفي كظم الغيظ حلم وضده الغضب وفي النوايب سعة الصدر وضده ضيق
الصدر والضجر والتبرم وفي اخفاء الامر كتمان وضده الاذاعة وفي فضول
العيش زهد وضده الحرص ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب
الله ومدد باعث الهوى من الشياطين الناصرين لاعداء الله فان ثبت باعث

الدين بامداد الملائكة حتى قهر باعث الهوى واستمر على مخالفته التحق
بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلب الهوى ولم يصبر في دفعه التحق
باتباع الشياطين وهذا الثبات انما يكون بقوة المعرفة التي تسمى ايمانا
وهو اليقين بكون الهوى عدوا قاطعا لطريق الله وقد وصف الله سبحانه
الصابرين باوصاف وكرر ذكر الصبر في القران واضاف اكثر الخيرات و
الدرجات اليه وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا
وقال ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال اولئك
يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب فما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ووعد الصابرين
بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال
بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف
من الملائكة مسومين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون واستقصاء
الايات في مقام الصبر يطول وقال النبي صلى الله عليه واله الصبر نصف
الايمان وقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما
لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وقال الصبر كنز من كنوز الجنة
وسئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال الصبر من الايمان بمنزلة
الراس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وقال امير المؤمنين
عليه السلام بني الايمان على اربع دعايم اليقين والصبر والجهاد والعدل
وقال الباقر عليه السلام من لا يعد الصبر لنوايب الدهر يعجز وقال الجنة محفوفة

بالمكاره والصبر فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة وجهنم محفوفة
باللذات والشهوات فمن اعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار وقال
الصادق عليه السلام من ابتلي من المومنين ببلاء فصبر عليه كان له
مثل اجر الف شهيد وقال ان الله تعالى انعم على قوم فلم يشكروا فصارت
عليهم وبالا وابتلى قوما بالمصايب فصبروا فصارت عليهم نعمة والاخبار
في فضيلة الصبر اكثر من ان تحصى **فصل** اعلم ان ما يلقى العبد في هذه
الحيوة لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق هواه والاخر ما يكرهه وهو محتاج
الى الصبر في كل واحد منهما فهو اذن لا يستغني قط عن الصبر اما ما يوافق
هواه كالصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب
وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا فالصبر عليها اشد لانه ان لم يضبط
نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة لها
اخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان راه استغنى قال
بعض العارفين البلاء يصبر عليه المومن والعوافي لا يصبر عليها الا صديق
وذلك لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا تقدر والجايع عند غيبة
الطعام اقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها
واما ما لا يوافق الهوى والطبع فلا يخلو اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات
والمعاصي او لا يرتبط كالمصائب والنوائب او لا يرتبط اوله باختياره ولكن
له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهي ثلثة اقسام
الاول ما يرتبط باختياره وهو سائر افعاله التي توصف بكونها طاعة او
معصية اما الطاعة فالصبر عليها شديد لان النفس بطبعها تنفر عن
العبودية وتشتهي الربوبية كما سبق بيانه ثم من العبادات ما يكره بسبب

الكسل

الكسل كالصلوة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكوة ومنها ما يكره بسببهما
جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدايد ويحتاج المطيع الى
الصبر عليها في ثلثة احوال الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية و
الاخلاص عن شوايب الريا ودواعي الافات والثانية حالة العمل كيلا
يغفل عن الله في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق ادابه وسننه ويدوم
على ذلك الى الفراغ والثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن
افشائه والتظاهر به للسمعة والرياء وعن النظر اليه بعين العجب وعن كل
ما يبطل عمله ويحبط اجره واما المعاصي فاشد انواع الصبر عنها الصبر عما
كان مالوفا بالعادة فان العادة طبيعة ثانية فاذا انضافت الى الشهوة
تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله فلا يقوى باعث الدين على
قمعها ثم ان كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على
النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس
تعريضا وتصريحا الى غير ذلك وايسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج
الوساوس الا ان يغلب على القلب هم اخر في الدين مستغرق كمن اصبح وهمومه
هم واحد واكثر جولان الخاطر انما يكون في فايت لا تدارك له او في مستقبل
لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر وكيف ما كان فهو تضييع زمان و
الة العبد قلبه فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا
بالله او فكر يستفيد به معرفة بالله ويستفيد بالمعرفة محبة لله فهو مغبون
القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو اوذي
بفعل او قول او جنى عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافاة
قال الله تعالى ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون

وقال تعالى فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال لتسمعن من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقال النبي صلى الله عليه واله صل من
قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك **القسم** الثالث ما لا يدخل تحت
الاختيار اوله واخره كالمصايب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال و
زوال الصحة بالمرض ونحو ذلك وهذا صبر مستنده اليقين **قال** النبي صلى
الله عليه واله اسئلك من اليقين ما يهون به علي مصائب الدنيا وقال
صلى الله عليه واله ما من عبد مومن اصيب بمصيبة فقال كما امره
الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا
منها الا فعل الله ذلك **وقال** صلى الله عليه واله قال الله عز وجل اذا
وجهت الى عبدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك
بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له
ديوانا **وقال** صلى الله عليه واله الصبر ثلثة صبر عند المصيبة و
صبر على الطاعة وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن
عزائها كتب الله له ثلثمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء
والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة
الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى العرش ومن صبر عن المعصية كتب الله
له تسعمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى
العرش وعن الباقر عليه السلام الصبر صبران صبر على البلاء حسن جميل
وافضل الصبرين الورع عن محارم الله **فضل** ان قلت فبماذا ينال درجة
الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد

المكروه

ان لا يكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل تحت الاختيار
فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود
والمبالغة في الشكوى واظهار الكابة وتغيير العادة في الملبس والمفرش
والمطعم ونحوها وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها
ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك
كان وديعة فاسترجعت ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب و
لا فيضان العين بالدمع فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان
الى الموت **ولذلك** لما مات ابرهيم ولد النبي صلى الله عليه واله فاضت
عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من
عباده الرحماء وقال ايضا العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول ما يسخط
الرب بل ذلك ايضا لا يخرج من مقام الرضا فان المقدم على الفصد و
الحجامة راض به وهو متالم بسببه لا محالة ونعم من كمال الصبر كتمان المرض
والفقر وساير المصائب وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع
والصدقة **وعن** الباقر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه و
اله قال الله تعالى من مرض ثلثا فلم يشك الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه
ودما خيرا من دمه فان عافيته عافيته ولا ذنب له وان قبضته قبضته
الى رحمتي وفي معناه اخبار اخر وفي بعضها فسر التبديل بخبر بان يبدله لحما
ودما وبشرا لم يذنب فيها وفسر الشكاية بان يقول ابتليت بما لم يبتل
احد او اصابني ما لم يصب احدا قال وليس الشكوى ان يقول سهرت البارحة
وحممت اليوم ونحو هذا **وعن** الصادق عليه السلام من اشتكى ليلة فقبلها
بقبولها وادى الى الله شكرها كانت كعبادة ستين سنة سئل ما قبولها

قال يصبر عليها ولا يخبر بما كان فيها فاذا اصبح حمد الله على ما كان وسئل
الباقر عليه السلام عن الصبر الجميل فقال ذلك صبر ليس فيه شكوى
الى الناس وعن النبي صلى الله عليه وآله من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه
ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك واما الشكاية الى الله تعالى وسؤاله
الرفع فحسن قال يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله فصل الطريق
الى تحصيل الصبر تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الهوى بالمجاهدة
والرياضة وذكر قلة قدر الشدة ووقتها واضرار الجزع وقبحه وان يكثر
فكرته فيما ورد في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والاخرة و
ان يعلم ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط
بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحيوة الدنيا وحصل له ما يبقى
بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن
لفوات الخسيس في الحال وان يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى
تدريجا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها ويقوى منته في
مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر
منها تلك الاعمال ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد ثم ان كان
ذلك بتعب قوي فتصبر وان كان بيسير فصبر وان كان ذا جهد فرضا وان
كان يتلذذ فشكر وهو بالغيبة عن حظوظ النفس والشهود مع الله تعالى
وعدم التميز بين الالم واللذة الباب الثاني في الرضا والشكر اما الرضا فهو
ترك الاعتراض والسخط قال الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وعن
النبي صلى الله عليه وآله انه سال طايفة من اصحابه ما انتم فقالوا مومنون
فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء و

نرضى بمواقع القضاء فقال مومنون ورب الكعبة وفي خبر اخر قال
حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وعن السجاد عليه السلام
الصبر والرضا عن الله راس طاعة الله ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى
عليه فيما احب او كره لم يقض الله فيما احب او كره الا ما هو خير له
وعن الباقر عليه السلام احق خلق الله ان يسلم لما قضى الله من عرف الله
ومن رضي بالقضاء اتى عليه القضاء وعظم الله اجره ومن سخط
القضاء مضى عليه القضاء واحبط الله اجره وعن الصادق عليه السلام
ان اعلم الناس بالله ارضاهم بقضاء الله وعنه عليه السلام ان
فيما اوحى الله تعالى الى موسى بن عمران يا موسى بن عمران ما خلقت خلقا
احب الي من عبدي المومن واني انما ابتليه لما هو خير له وازوي عنه لما
هو خير له وانا اعلم بما يصلح عليه عبدي فليصبر على بلائي وليشكر
نعمائي وليرض بقضائي اكتبه في الصديقين عندي اذا عمل برضاي واطاع
امري وعن الكاظم عليه السلام ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يستبطئه
في رزقه ولا يتهمه في قضائه وفائدة الرضا في الحال فراغ القلب للعبادة
والراحة من الهموم وفي المال رضوان الله والنجاة من غضبه فقد قال
سبحانه من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب ربا سوائي
والطريق الى تحصيله ان يعلم ان ما قضى الله سبحانه له فهو الاصلح بحاله
وان لم يبلغ علمه سره ولا مدخل للهم فيه ولا يتبدل القضاء به فان
ما قدر يكون وما لم يقدر لم يكن وحسرة الماضي وتدبير الاتي يذهبان بركة
الوقت بلا فايدة وتبقى تبعة السخط عليه بل ينبغي ان يدهشه الحب عن
الاحساس بالالم كما للعاشق والحريص وان يهون عليه العلم بجزالة الثواب

الشدة كما للمريض والتاجر المتحملين شدة الحجامة والسفر فيفوض امره
الى الله ان الله بصير بالعباد قال الصادق عليه السلام لم يكن رسول الله
صلى الله عليه وآله يقول لشيء مضى لو كان غيره **فصل** اعلم ان من
قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور
فانما اتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق
الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من
وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا
يحس به وتصيبه جراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل المحارب فانه
في حال غضبه او حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها فاذا راى الدم
استدل به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة
في قدمه ولا يحس بالمه لشغل قلبه وذلك لان القلب اذا صار مستغرقا
بامر من الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه وكذلك العاشق المستغرق الهم
بمشاهدة معشوقه او بحبه قد يصيبه ما كان يتالم به او يغتم لولا عشقه
ثم لا يدرك غمه والمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير
حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وجمال الحضرة الربوبية وجلالها
لا يقاس به جمال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى
عليه ولا يحس بما يجري عليه واما الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك
المه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له بعقله وان كان كارها له
بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك المه الا انه راض
به وراغب فيه ومتقلد منه المنة فهذه حالة الرضا بما يجري عليه
من الالم ومهما اصابته بلية من الله عز وجل وكان له يقين بان ثوابه

الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه
هذا ان كان يلاحظ الثواب الذي يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب
بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه فيكون
مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات
في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم وقد روي
ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف
الصديق عليه السلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن
الاحساس بالم الجوع بل في القرآن ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة
ايديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك ويروى
ان عيسى على نبينا وعليه السلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب
الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني
مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا اي شيء من البلاء تراه مصروفا
عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من
معرفته فقال صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها
وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى وتعبد معه
فصل اعلم ان الدعاء غير مناقض للرضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت
اهلها وحسم اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وقد غلط في ذلك قوم من البطالين المغترين وزعموا ان المعاصي والفجور و
الكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتاويل وغفلة
عن اسرار الشرع فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرت ادعية الانبياء والائمة
عليهم السلام وكانوا في اعلى مقامات الرضا وقد اثنى الله عز وجل

على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وقال ادعوني استجب لكم
واما انكار المعاصي وكراهتها فقد تعبد الله عز وجل به عباده وذمهم
على الرضا بها فقال ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها وقال رضوا بان
يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكرا
ورضي به فكانه قد فعله وفي الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر
بالمغرب كان شريكه في قتله واما بغض الكفار والفجار ومقتهم والانكار عليهم
فما ورد فيه من شواهد القران والاخبار لا يحصى وقد ورد اوثق عرى
الايمان الحب في الله والبغض في الله فان قلت فقد وردت الايات والاخبار
بالرضا بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء فهو محال وهو قادح في
التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء
الله فكيف السبيل الى الجمع بينهما وهو متناقض على هذا الوجه وكيف الجمع
بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين
على الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى راوا السكوت
على المنكرات مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن الخلق وهو جهل محض
بل نقول الرضا والكراهة متضادان اذا وردا على شيء واحد على وجه واحد
وليس من التضاد في شيء واحد على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد
ان يكره من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو عدو بعض
اعدائك وساع في اهلاكه فتكره موته من حيث انه مات عدو عدوك و
ترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله
عز وجل من حيث انه فعله واختياره وارادته فترضى به من هذا الوجه تسليما
للملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث انه

كسبه

كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط
عليه اسباب البعد والمقت فهي من هذا الوجه منكر ومذموم وينبه
لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظاير ذلك لا تحصى وواجب
على كل عبد محب لله عز وجل ان يبغض من ابغضه الله ويمقت من مقته
وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته موافقة للمحبوب باظهار
الغضب على من اظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يجمع بين ما
ورد في الحب في الله والبغض في الله مع الرضا بقضاء الله وهذا يستمد من
سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الشر والخير داخلان في المشية و
الارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به وكشف الغطاء عنه غير
ماذون فيه فالاولى السكوت عنه والتادب بادب الشرع فقد ظهر الغرض
من غير حاجة الى كشف السر فيه **فصل** واما الشكر فهو عرفان النعمة من
المنعم والفرح به والعمل بموجب الفرح باضمار الخير والتحميد لله واستعمال النعمة
في طاعته اما المعرفة فبان تعرف ان النعم كلها من الله وانه هو المنعم والوسائط
مسخرون من جهته وانما الذي انعم عليك هو الذي سخرهم لك والقى في
قلوبهم من الاعتقادات والارادات ما صاروا به مضطرين الى الايصال
اليك فمن عرف ذلك فكانت معرفته شكر الله وهذا هو الشكر بالقلب واما
الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع فهو ايضا في نفسه شكر
فان كان فرحك بالمنعم خاصة لا بالنعمة ولا بالانعام ومن حيث انه تقدر
بها على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره فهو الرتبة العليا في الشكر
وامارته ان لا تفرح بالدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ومعينة عليها وتحزن
بكل نعمة تلهيك عن ذكر الله وتصدك عن سبيله وهذا ايضا شكر بالقلب و

علامة الرتبة العليا في الشكر

اما العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم فهو القيام بما هو مقصود
المنعم ومحبوبه ويتعلق بالقلب واللسان والجوارح اما بالقلب فقصد
الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميد الدال
عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها
على معصيته حتى ان من شكر العينين ان تستر كل عيب تراه بمسلم ومن
شكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه لمسلم فيدخل هذا وامثاله في جملة
شكر نعمة هذه الاعضاء بل نقول ومن كفر نعمة العين فقد كفر نعمة الشمس ايضا
اذ الابصار انما يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي
بهما ما يضره فيهما بل نقول المراد من خلق الارض والسماء وخلق الدنيا واسبابها
ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله ولا وصول اليه الا بمحبته و
الانس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة
الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا ببقاء
البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء ولا يتم ذلك الا بخلق الارض
والسماء وخلق ساير الاعضاء وكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس و
الراجع الى الله هي المطمئنة بطول العبادة والمعرفة فكل من استعمل شيئا في غير
طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها للاقدام على تلك
المعصية قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقال ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وامنتم وعن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله الطاعم
الشاكر له من الاجر كاجر الصائم المحتسب والمعافى الشاكر له من الاجر كاجر المبتلى
الصابر والمعطي الشاكر له من الاجر كاجر المحروم القانع وعنه عليه السلام
قال من أعطي الشكر اعطي الزيادة قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وعنه عليه السلام

قال

قال ما انعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهرا بلسانه فتم
كلامه حتى يؤمر له بالمزيد وعن الباقر عليه السلام قال كان رسول الله صلى
الله عليه وآله عند عايشة ليلتها فقالت يا رسول الله لم تتعب نفسك و
قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا عايشة الا اكون عبدا
شكورا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم على اصابع رجليه
فانزل الله سبحانه طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وعن الصادق عليه السلام
شكر النعم اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله رب العالمين و
وسئل هل للشكر حد اذا فعله العبد كان شاكرا قال نعم قيل ما هو قال يحمد الله
على كل نعمة عليه في اهل ومال وان كان فيما انعم عليه في ماله حق اداه ومنه
قوله سبحانه سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ومنه قوله
رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين وقوله رب ادخلني مدخل صدق
واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وعنه عليه السلام
قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا ورد عليه امر يسره قال الحمد لله على
هذه النعمة واذا ورد عليه امر يغتم به قال الحمد لله على كل حال وعن الباقر عليه
السلام قال اذا ذكر احدكم نعمة الله فليضع خده على التراب شكرا لله فان كان
راكبا فلينزل وليضع خده على التراب وان لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع
خده على قربوسه فان لم يقدر فليضع خده على كفه ثم ليحمد الله على ما انعم عليه
فصل اعلم انه لا يبلغ احد حقيقة الشكر الا بان يعلم ان النعم كلها من
الله وان الشكر عليها ايضا نعمة من الله يحتاج الى شكر آخر وهكذا قال الصادق
عليه السلام اوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام يا موسى اشكرني حق
شكري فقال يا رب وكيف اشكرك حق شكرك وليس من شكر اشكرك به الا وانت

انعمت به علی قال یاموسی الان شکرتنی حیث علمت ان ذلک منی و
عن السجاد علیه السلام قال کان اذا قرأ هذه الایة وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها یقول سبحان من لم یجعل فی احد من معرفة نعمه الا المعرفة
بالتقصیر عن معرفتها کما لم یجعل فی احد من معرفة ادراکه اکثر من العلم
بانه لا یدرکه فشکر تعالی معرفة العارفین بالتقصیر عن معرفة شکره فجعل
معرفتهم بالتقصیر شکرا کما علم علم العالمین بانهم لا یدرکونه فجعله ایمانا علما
منه انه قد وسع العباد فلا یتجاوز ذلک فان شیئا من خلقه لا یبلغ مدی
عبادته من لا مدی له ولا کیف تعالی الله عن ذلک علوا کبیرا وعن الصادق
علیه السلام قال اذا اصبحت وامسیت فقل عشر مرات اللهم ما اصبحت
بی من نعمة او عافیة فی دین او دنیا فمنک وحدک لا شریک لک لک الحمد ولک
الشکر بها علی یا رب حتی ترضی وبعد الرضا فانک اذا قلت ذلک کنت قد ادیت
شکر ما انعم الله به علیک فی ذلک الیوم وفی تلک اللیلة وفی روایة کان
نوح یقول ذلک اذا اصبح فسمی بذلک عبدا شکورا وعنه علیه السلام مکتوب
فی التوریة اشکر من انعم علیک وانعم علی من شکرک فانه لا زوال للنعماء اذا
شکرت ولا بقاء لها اذا کفرت الشکر زیادة فی النعم وامان من الغیر یعنی
من تغیر الحال وانتقالها من الصلاح الی الفساد وعن السجاد علیه السلام
قال ان الله تعالی یحب کل قلب حزین ویحب کل عبد شکور یقول الله تبارک
وتعالی لعبد من عبیده یوم القیمة اشکرت فلانا فیقول بل شکرتک یا
رب فیقول لم تشکرنی اذ لم تشکره ثم قال اشکرکم لله اشکرکم للناس
فصل اعلم ان النعم اما دنیویة کالخلقة السویة والملاذ الشهیة
وصرف المفاسد والمضار واما دینیة کالاسلام ومعرفة الائمة المعصومین

علیهم السلام والتوفیق علی الطاعة والعصمة عن المعصیة والدینیة
اعظم لایصالها الی السعادة الابدیة والانجاء من الشقاوة السرمدیة
واشتراک الکفار فی الدنیویة واغتنام الابرار زوال ما لا یهم منها قال
الکاظم علیه السلام من حمد الله علی النعمة فقد شکره والحمد افضل من
تلک النعمة والطریق الی تحصیل الشکر المعرفة والتفکر فی صنایعه تعالی
والنظر الی الادنی فی الدنیا والی الاعلی فی الدین ویشکر فی المصایب علی
ان لا یصیبه اکبر منها وان لا یکون فی الدین وان تعجل عقوبته ولا تدخر
للاخرة وانها کانت اتیة ففرغ منها وان ثوابها خیر له وانها تنقص من
القلب حب الدنیا فهی فی التحقیق نعم اذ لا تخلو عن تکفیر الخطیئة او ریاضة
النفس او رفع الدرجة ومع ذلک کله فالعافیة خیر من البلاء فعن النبی
صلی الله علیه واله انه کان یستعیذ فی دعائه من بلاء الدنیا وبلاء الاخرة
وکان یقول هو والانبیاء والاوصیاء علیهم السلام ربنا اتنا فی الدنیا حسنة
وفی الاخرة حسنة وکانوا یستعیذون من شماتة الاعداء وقال رسول الله
صلی الله علیه واله سلوا الله العافیة فما اعطی عبد افضل من العافیة
الا الیقین واشار بالیقین الی عافیة القلب من مرض الجهل والشک
فان عافیة القلب اعلی من عافیة البدن **الباب الثالث** فی الرجاء والخوف اما
الرجاء فهو ارتیاح القلب لانتظار محبوب فان حصل اکثر اسبابه فالاصدق
اسم الرجاء کتوقع الحصاد ممن القی بذرا جیدا فی ارض صالحة یصلها الماء و
ان فقد فالغرور والحماقة کالملقی فی ارض صالحة لا یصلها الماء وان شک فیها
فالتمنی کما اذا صلحت الارض ولا ماء وذلک لان الدنیا مزرعة الاخرة والقلب
کالارض والایمان کالبذر فیه والطاعات جاریة مجری تقلیب الارض و

تطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا
المستغرق بها كالارض السبخة التي لاينمى فيها البذر ويوم القيمه يوم
الحصاد ولايحصد احد الاما زرع ولاينمى زرع الامن بذر الايمان وقلما ينفع
ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لاينمى بذر في ارض سبخة فينبغي
ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة
والقى فيها بذرا جيدا ثم امده بما يحتاج اليه من تنقيه الارض مما يمنع نبات
البذر او يفسده وسوق الماء اليه في اوقاته ثم جلس منتظرا من فضل الله دفع
الافات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمى انتظاره رجاء وان بث
البذر في ارض سبخة مرتفعة لاينصب اليها ماء ولم يشتغل بتعهد البذر
اصلا ثم انتظر الحصاد منه سمى انتظاره حمقا وغرورا لارجاء وان بث البذر
في ارض طيبة ولكن لاماء لها ولكن ينتظر مياه الامطار حيث لاتغلب الامطار
ولاتمتنع ايضا سمى انتظاره تمنيا لارجاء فاذن اسم الرجاء انما يصدق على
انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم
يبق الاما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع و
المفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان بماء الطاعات وطهر القلب من
شوك الاخلاق الرديه وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك الى الموت وحسن
الخاتمه المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه
باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في اتمام اسباب المغفرة الى
الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا
برذايل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق
وغرور قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله

اولئك



اولئك يرجون رحمة الله وقال عز وجل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب
ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وقال النبي صلى الله عليه
واله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله وقيل للصادق عليه السلام ان قوما من مواليك يلمون بالمعاصي
ويقولون نرجو فقال كذبوا ليسوا لنا بموالين اولئك قوم ترجحت بهم الاماني
من رجا شيا عمل له ومن خاف شيا هرب منه وقال عليه السلام لا
يكون المومن مومنا حتى يكون خايفا راجيا ولايكون خايفا راجيا حتى يكون
عاملا لما يخاف ويرجو فان العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي
حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الابدخول الجنة
واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو
قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئه وتسره الحسنة وهو
يذم نفسه ويلومها ومن يشتهي التوبة ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو من
الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية وحرصه على الطاعة يجري
مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة وانما الرجا بعد تاكد الاسباب فصل
واما الخوف فهو عبارة عن تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في
الاستقبال وبحسب تظاهر اسباب المكروه يكون قوة الخوف وشدة تالم
القلب وبحسب ضعف الاسباب يضعف الخوف والخوف من الله تارة
يكون بمعرفة الله ومعرفة صفاته وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة
المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بجلال الله تعالى وتعاليه و
استغنائه وبعيوب نفسه وجناياته يكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه
اعرفهم بربه وبنفسه ولذلك قال النبي صلى الله عليه واله انا اخوفكم لله

وقال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء ثم بعد كمال المعرفة
يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في
البدن فبالنحول والصفار والبكاء واما في الجوارح فبكفها عن المعاصي و
تقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس
الخائف من بكى ومسح عينيه بل من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال
حكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه واما في الصفات
فهو ان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة
كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات
بالخوف وتتادب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة و
الاستكانة ويفارقها الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه و
النظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة
والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومواخذة النفس في الخطرات
والكلمات فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه
لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه واقل درجات الخوف مما يظهر
اثره في الاعمال ان يمنع من المحظورات ويسمى الكف الحاصل من المحظورات
ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم ويسمى ذلك تقوى
وقد يحمله على ان يترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق في التقوى
فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله
ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من انفاسه
فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى
وفي التقوى الورع وفي الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى

الشهوات خاصة فاذن الخوف يوثر في الجوارح بالكف والاقدام **فصل**
اعلم ان العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم
والحب يغلب بالرجاء ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغايب لا سيما وقت
الموت قال الله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فحرم اصل الياس
وقال ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وعير الله قوما فقال وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم اردىكم وقال وظننتم ظن السوء وكنتم قوما
بورا وقال النبي صلى الله عليه واله يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي
بي فليظن بي ما شاء وقال لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله ودخل
عليه السلام على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك قال اجدني اخاف
ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال عليه السلام ما اجتمعا في قلب عبد في
هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجا وامنه مما يخاف وقال امير المومنين
عليه السلام لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا ياسك
من رحمة الله اعظم من ذنوبك وفي اخبار يعقوب ان الله تعالى اوحى اليه
اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اني اخاف ان ياكله الذئب
وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب لم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته
ولم تنظر الى حفظي له وعن الباقر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم قال الله تعالى لا يتكل العاملون على اعمالهم التي يعملونها
لثوابي فانهم لو اجتهدوا واتعبوا انفسهم اعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين
غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في
جناتي ورفيع الدرجات العلى في جواري ولكن برحمتي فليثقوا وفضلي فليرجوا

والى حسن الظن بي فليطمئنوا فان رحمتي عند ذلك تدركهم ومنّي يبلغهم
رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي فاني انا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت
وعنه عليه السلام قال وجدنا في كتاب علي عليه السلام ان رسول الله
صلى الله عليه واله قال وهو على منبره والذي لا اله الا هو ما اعطي مؤمن
قط خير الدنيا والاخرة الا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه و
الكف عن اغتياب المؤمنين والذي لا اله الا هو لا يعذب الله مؤمنا بعد
التوبة والاستغفار الا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه
واغتيابه للمؤمنين والذي لا اله الا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله الا كان
الله عند ظن عبده المؤمن لان الله كريم بيده الخيرات يستحيي ان يكون
عبده المؤمن قد احسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فاحسنوا بالله الظن
وارغبوا اليه وقال الصادق عليه السلام حسن الظن بالله ان لا ترجو الا
الله ولا تخاف الا ذنبك والطريق الى تحصيل الرجاء ذكر سوابق فضل الله سبحانه
من دون شفيع وما وعد من جزيل ثوابه من دون استحقاق وما انعم
بما يمد في الدارين من دون سؤال وسعة الرحمة وسبقها الغضب والاخبار
الواردة في سعة رحمته سبحانه اكثر من ان تحصى ولا حاجة بنا الى ذكرها لان
المحتاج الى تحصيل الرجاء من غلب عليه الخوف او الياس وقليل ما هم و
اما المنهمكون في طغيان الذنوب والمغترون بما هم فيه من الفساد و
الحوب كاكثر ابناء زماننا فلا يزداد سماعهم لها الا في طغيانهم تماديا وفي
فسادهم فسادا **فصل** اعلم ان الرجاء محمود الى حد فان جاوز الى الامن فهو
خسر ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وكذا الخوف محمود الى حد فان
جاوز الى القنوط فهو ضلال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون والى

الياس فهو كفر ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والاصلح
ان يعتدلا قال امير المؤمنين عليه السلام لبعض ولده يا بني خف الله
خوفا ترى انك ان اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله
رجاء كانك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك وعن الباقر عليه السلام
ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا
لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا وقد جمع الله سبحانه بينهما في
وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال يدعوننا
رغبا ورهبا واما غلبة الرجاء في غالب الناس فمستنده الاغترار وقلة المعرفة
بل الاصلح لهم قبل الاشراف على الموت غلبة الخوف واما عند الموت
فالاصلح لهم غلبة الرجاء وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث
على العمل وقد انقضى وقت العمل وهو لا يطيق هناك اسباب الخوف لانها تقطع
نياط قلبه وتعين على تعجيل موته واما روح الرجاء فانه يقوي قلبه ويحبب اليه
ربه الذي اليه رجاؤه وينبغي ان لا يفارق احد الدنيا الا محبا لله تعالى ليكون
محبا للقائه فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن قدم على محبوبه عظم
سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه ومهما كان
الغالب على القلب عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والرفقاء
والاصحاب كانت محابه كلها في الدنيا فكانت الدنيا جنته فكان موته خروجا
من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه فاما اذا لم يكن له محبوب سوى
الله وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب
فالدنيا اذن سجنه وموته قدوم على محبوبه وخلاص له من السجن فاذن غاية
السعادة ان يموت العبد محبا لله **فصل** اعلم ان الخوف من الله تعالى على

مقامين احدهما الخوف من عذابه وهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل
الايمان بالجنة والنار وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية وضعفه
بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما يزول الغفلة بالتذكير والوعظ
وملازمة الفكر في اهوال القيمة واصناف العذاب في الاخرة ويزيد ايضا
بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم فان فاتت المشاهدة
فالسماع لا يخلو من تاثير واما الثاني وهو الاعلى ان يكون الله هو المخوف اعني
ان يخاف البعد والحجاب عنه ويرجو القرب منه وهو خوف العلماء وارباب
القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين
على سر قوله ويحذركم الله نفسه وقوله واتقوا الله حق تقاته قال الله سبحانه
انما يخشى الله من عباده العلماء وقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي
ربه وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم راس الحكمة مخافة الله وفي الدعا
المنسوب الى السجاد عليه السلام سبحانك عجبا لمن عرفك كيف لا يخافك و
قال الصادق عليه السلام من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه
عن الدنيا وقال ان من العبادة شدة الخوف من الله يقول الله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء وقال تعالى فلا تخشوا الناس واخشوني وقال ومن يتق الله
يجعل له مخرجا وقال ان حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب وقال
للمؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا
يدري ما يكتسب فيه من المهالك فهو لا يصبح الا خائفا ولا يصلحه الا الخوف
وقال لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتى
يكون عاملا لما يخاف ويرجو وقال لاسحق بن عمار يا اسحق خف الله كانك تراه
وان كنت لا تراه فانه يراك وان كنت ترى انه لا يراك فقد كفرت وان كنت تعلم

انه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من اهون الناظرين اليك
وقال من خاف الله اخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله اخافه الله من
كل شيء وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم ما من مؤمن يخرج من عينيه
دمعة وان كانت مثل راس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيئا من
حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله
تحاتت عنه خطاياه كما تحات من الشجر ورقها وروى الصدوق في عرض
المجالس عن ليث بن ابي سليم قال سمعت رجلا من الانصار يقول بينما رسول
الله صلى الله عليه واله مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر اذ جاء رجل
فنزع ثيابه ثم جعل يتمرغ في الرمضاء يكوي ظهره مرة وبطنه مرة وجبهته
مرة ويقول يا نفس ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك ورسول الله ينظر
اليه ما يصنع ثم ان الرجل لبس ثيابه ثم اقبل فاومى اليه النبي صلى الله عليه
واله بيده ودعاه فقال له يا عبد الله لقد رايتك صنعت شيئا ما رايت احدا
من الناس صنعه فما حملك على ما صنعت فقال الرجل حملني على ذلك مخافة
الله وقلت لنفسي يا نفس ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك فقال النبي
صلى الله عليه واله لقد خفت ربك حق مخافته وان ربك ليباهي بك اهل
السماء ثم قال لاصحابه يا معشر من حضر ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم
فدنوا منه فدعا لهم وقال اللهم اجمع امرنا على الهدى واجعل التقوى
زادنا والجنة مابنا وحديث بهلول النباش مشهور وفي الكتاب المذكور مذكور
وعن الباقر عليه السلام قال صلى امير المؤمنين عليه السلام بالناس الصبح
بالعراق فلما انصرف وعظهم فبكى وابكاهم من خوف الله ثم قال اما والله لقد
عهدت اقواما على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه واله وانهم ليصبحون

ويمسون شعثا غبرا خمصا بين اعينهم كركب البعير يبيتون لربهم سجدا وقياما
يراوحون بين اقدامهم وجباههم يناجون ربهم في فكاك رقابهم من
النار والله لقد رايتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون وفي رواية
اخرى كان زفير النار في اذانهم اذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر كانما
القوم باتوا غافلين قال ثم قام فما رئي ضاحكا حتى قبض عليه السلام و
اما خوف الملائكة والانبياء والاولياء وائمة الهدى كخوف ميكائيل و
جبرئيل ونبينا وابرهيم الخليل وداود ويحيى والسجاد وغيرهم صلوات
الله عليهم فقد ذكره المحدثون في كتبهم فليرجع اليها من اراد فان
هذا الكتاب لا يحتمل التطويل بذكره **فصل** اعلم ان الخوف لا يتحقق الا
بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في ذاته كالنار واما ان
يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما تكره المعاصي لادائها الى المكروه
في الاخرة ولا بد لكل خائف من ان يتمثل في نفسه مكروه من احد القسمين
ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه
ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة
اما الخائفون مما يغلب على قلوبهم من المكروه لغيره لا لذاته فمنهم من يغلب عليه
خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة او خوف ضعف القوة عن الوفاء
بتمام حقوق الله او خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة او خوف
الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المالوفة
او خوف ان يكله الله الى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله
او خوف البطر بكثرة نعم الله عليه او خوف الاشتغال عن الله بغير الله
او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف غوائل طاعته حتى يبدو له

من الله ما لم يكن يحتسب او خوف تبعات الناس عنده في الغيبة و
الخيانة والغش واضمار السوء او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره
او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف الاغترار
بزخارف الدنيا او خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه او
خوف الختم عند الموت بخاتمة السوء او خوف السابقة التي سبقت له في
الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل منها خصوص فايدة وهو سلوك
سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب
على الفطام عن العادة والذي يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل
بتطهير قلبه من الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه
المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام
وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة فرع السابقة يتفرع
عنها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق في القضاء في ام
الكتاب واليه الاشارة بما رواه الصادق عليه السلام قال خطب رسول
الله صلى الله عليه واله الناس ثم رفع يده اليمنى قابضا على كفه ثم قال
اتدرون ايها الناس ما في كفي قالوا الله ورسوله اعلم قال اسماء اهل الجنة
واسماء ابائهم وقبائلهم الى يوم القيمة ثم رفع يده الشمال فقال
ايها الناس اتدرون ما في كفي قالوا الله ورسوله اعلم فقال اسماء اهل النار
واسماء ابائهم وقبائلهم الى يوم القيمة ثم قال حكم الله وعدل حكم الله وعدل
حكم الله وعدل فريق في الجنة وفريق في السعير وعنه عليه السلام قال
يسلك بالسعيد في طريق الاشقياء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم
ثم تتداركه السعادة وقد يسلك بالشقي طريق السعداء حتى يقول الناس ما اشبهه

بهم بل هو منهم ثم يبدا وكذا الشقاء ان من كتبه الله سعيدا وان لم
يبق من الدنيا الا فواق ناقة ختم له بالسعادة واما الخائفون مما يغلب على
نفوسهم من المكروه لذاته فمنهم من يغلب عليه خوف سكرات
الموت وشدته او سوال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة
الموقف بين يدي الله والحياء من كشف الستر والسوال عن النقير والقطمير
او الخوف من الصراط وحدته وكيفيه العبور عليه او الخوف من النار و
اغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنه دار النعيم والملك المقيم
ومن نقصان الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله وهو اعلاها رتبة
وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والزاهدين وكافة
العاملين ولا يخفى ان فضيلة الشيء بقدر اعانته على السعادة ولا سعادة
كسعادة لقاء الله ولا وصول اليها الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا
ولا يحصل المحبة الا بالمعرفة ولا يحصل المعرفة الا بدوام الفكر و لا
يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على الذكر و
الفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات
الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا ينقمع
الشهوة كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المنقمع للشهوات فاذن
فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث
على الطاعات ويختلف ذلك بحسب اختلاف درجات الخوف كما بيناه

فصل اعلم ان لسوء الخاتمة اسبابا مختلفة وترجع الى ثلثه اما السبب
الاول وهو الاعظم فهو ان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور
اهواله اما الشك واما الجحود فيقبض الروح في تلك الحاله فيصير حجابا بينه

وبين الله تعالى ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد وسبب
ذلك ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وافعاله خلاف الحق اما
برايه ومعقوله واما بالتقليد فينكشف له عند سكرات الموت بطلان
ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء فيكون انكشاف بعض
اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقيه اعتقاداته او الشك فيها
فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يتنبه ويعود الى اصل
الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك قال الله تعالى وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقال تعالى هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا
الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا و
البله بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر
ايمانا مجملا ولذلك ورد ان اكثر اهل الجنة البله وورد المنع من البحث و
النظر والخوض في الكلام والاكتفاء بظواهر الشرع مع اعتقاد نفي التشبيه
وذلك لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤدة ومسالكه
وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن
القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة
عقولهم المزجاة مضطرب ومتعارض والقلوب لما القي اليها في مبدا النشو
الفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير موكدة للعقائد
الموروثة او الماخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب
الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها اخذة وعن
تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالراي والعقول
مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل

منهم على ان يدعي الكمال والاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما
يقع لكل منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتاكد ذلك بطول
الالف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عنهم فكانت سلامة
الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم
الا من فقهه الله في الدين وعلمه التاويل واشرق نور الحكمة في قلبه فذلك
هو الكبريت الاحمر واما السبب الثاني فهو ضعف الايمان في الاصل ثم
استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله
وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا من حيث
حديث نفس لا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان
فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود
ويتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفي ما فيه من نور الايمان
حتى يصير طبعا ورينا فاذا جاء سكرات الموت ازداد حب الله ضعفا لما
يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوبة الغالبة على القلب فيتالم
القلب باستشعار فراقها الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما
قدر الله من الموت فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل الحب فان اتفق
زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطر فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء
فمن وجد في قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا
فهو ابعد عن هذا الخطر ولا يحب الله الا من عرفه قال الله تعالى قل ان كان اباوكم
وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى ياتي الله بامره واما السبب الثالث فكثرة المعاصي وان قوي الايمان في

ذلك

ذلك لان مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في
القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره
الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر ما يحضره
عند الموت طاعة الله وان كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب على قلبه
عند الموت ذكر المعاصي فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات
الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله فالذي
لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر وذلك
لانه كما ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره
والف بها حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته في اليقظة فكذلك حاله
عند سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية فانه شبيه بالنوم وقريب
منه فيقتضي ذلك تذكر المالوفات وعودها الى القلب فربما يكون غلبة
الالف سببا لان تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل نفسه اليها فربما
يقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان باقيا
ومن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له
الا المجاهدة طول العمر في فطام نفسه عنها وفي قمع الشهوات من القلب
فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير و
تخلية الفكر عن الشواغل عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فان المرء يموت
على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه كما ورد في الخبر ولذلك نقل
عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة
وكان مشغول القلب بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت واما المخوف
عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله

ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة
الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب
الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف فلهذا عظم
خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا احوال
الصالحين واحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كان كثرة
الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل
بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب
في اليقظة وقد عرفت بهذا ان اعمال المرء كلها ضايعة ان لم يسلم في النفس
الاخير الذي عليه خروج الروح وان السلامة مع اضطراب امواج الخواطر
مشكل جدا ومن هنا قيل لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكني اعجب ممن
نجا كيف نجا ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وموت
الفجاة مكروها اما موت الفجاة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء
واستيلائه على القلب واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة
لم يبق في القلب سوى حب الله وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد
اذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا محبا لله وطالبا لمرضاته
وبايعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله به اذ قال تعالى ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية

الباب الرابع

في المحبة والانس اعلم ان المحبة هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا
من الدرجات فما بعدها مقام الا وهو ثمرة من ثمراتها كالشوق والانس
ولا قبلها مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالصبر والزهد وساير المقامات
وان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها فاما محبة الله عز وجل

فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض اهل العلم امكانها وقال لا معنى لها الا
المواظبة على طاعة الله عز وجل واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل
ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وساير لوازم الحب
وتوابعه مع ان ما في القران والحديث وحكايات المحبين ما هو ناص على ثبوت
حقيقة المحبة ولوازمها لله عز وجل من غير قبول للتاويل فمن شواهد القران
في حب الله عز وجل قوله يحبهم ويحبونه وقوله والذين امنوا اشد حبا لله وقوله
قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الاية
وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون الله و
رسوله احب اليه مما سواهما وقال في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب
ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد وفي الخبر المشهور
ان ابرهيم عليه السلام قال لملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رايت خليلا
يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك
الموت الان فاقبض وفي مناجاة موسى يا ابن عمران كذب من زعم انه يحبني فاذا
جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب خلوة حبيبه ها انا ذا يا ابن عمران مطلع
على احبائي اذا جنهم الليل حولت ابصارهم الي من قلوبهم ومثلت عقوبتي بين
اعينهم يخاطبوني عن المشاهدة ويكلموني عن الحضور يا ابن عمران هب لي من
قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينيك الدموع في ظلم الليل فانك
تجدني قريبا وروينا ان عيسى عليه السلام مر بثلثة نفر قد نحلت ابدانهم
وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار
فقال حق على الله ان يؤمن الخايف ثم جاوزهم الى ثلثة اخرى فاذا هم اشد نحولا
وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله ان

يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلثه اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان
على وجوههم المرايا من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا احب الله
عز وجل فقال انتم المقربون انتم المقربون وفي علل الشرايع عن نبينا صلى الله
عليه واله ان شعيبا عليه السلام بكى من حب الله عز وجل حتى عمى فرد
الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه
بصره فلما كانت الرابعة اوحى الله اليه يا شعيب الى متى يكون هذا ابدا منك
ان يكن هذا خوفا من النار فقد اجرتك وان يكن شوقا الى الجنة فقد ابحتك
فقال الهي وسيدي انت تعلم اني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا الى جنتك و
لكن عقد حبك على قلبي فلست اصبر او اراك فاوحى الله جل جلاله اما اذا كان
هذا هكذا فمن اجل هذا ساخدمك كليمي موسى بن عمران وقال امير المؤمنين عليه
السلام في بعض ادعيته فهبني يا الهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على
عذابك فكيف اصبر على فراقك وعن ابنه الحسين سيد الشهداء في دعاء يوم
عرفة انت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم
يلجاوا الى غيرك وقال يا من اذاق احباءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين
وفي المناجاة الانجيلية المنسوبة الى السجاد عليه السلام وعزتك لقد
احببتك محبة استقرت في قلبي حلاوتها وانست نفسي ببشارتها ومحال في
عدل اقضيتك ان تسد اسباب رحمتك عن معتقدي محبتك وفي مناجاة
الاخرى الهي فاجعلنا من الذين ترسخت اشجار الشوق اليك في حدائق صدورهم
واخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم قال والحقنا بعبادك الذين هم بالبدار
اليك يسارعون وبابك على الدوام يطرقون واياك في الليل والنهار يعبدون
وهم من هيبتك مشفقون الذين صفيت لهم المشارب وبلغتهم الرغائب

قال وملأت ضمائرهم من حبك ورويتهم من صافي شرابك وبك فبك الى
لذيذ مناجاتك وصلوا ومنك على اقصى مقاصدهم حصلوا ثم قال فقد انقطعت
اليك همتي وانصرفت نحوك رغبتي فانت لا غيرك مرادي ولك لا لسواك سهري
وسهادي ولقاؤك قرة عيني ووصلك منى نفسي واليك شوقي وفي محبتك
ولهي والى هواك صبابتي ورضاك بغيتي ورؤيتك حاجتي وجوارك طلبتي
وقربك غاية سؤلي وفي مناجاتك روحي وراحتي وعندك دواء علتي و
شفاء غلتي وبرد لوعتي وكشف كربتي ثم قال ولا تقطعني عنك ولا تباعدني
منك يا نعيمي وجنتي ويا دنياي واخرتي وقال ايضا الهي من ذا الذي ذاق حلاوة
محبتك فرام منك بدلا ومن ذا الذي انس بقربك فابتغى عنك حولا الهي فاجعلني
ممن اصطفيته لقربك وولايتك واخلصته لودك ومحبتك وشوقته الى
لقائك وارضيته بقضائك ومنحته بالنظر الى وجهك وحبوته برضاك
واعذته من هجرك وقلاك ثم قال وهيمت قلبه لارادتك واجتبيته
لمشاهدتك واخليت وجهه لك وفرغت فؤاده لحبك ثم قال اللهم
اجعلنا ممن دأبهم الارتياح اليك والحنين ودهرهم الزفرة والانين و
جباههم ساجدة لعظمتك ودموعهم سائلة من خشيتك وقلوبهم
معلقة بمحبتك وافئدتهم منخلعة من هيبتك يا من انوار قدسه لابصار
محبيه رائقة وسبحات نور وجهه لقلوب عارفيه شائقة يا منتهى
قلوب المشتاقين ويا غاية امال المحبين اسئلك حبك وحب من يحبك و
حب كل عمل يوصل الى قربك وان تجعلك احب الى مما سواك وقال ايضا الهي
ما الذ خواطر الالهام بذكرك على القلوب وما احلى المسير اليك في مسالك الغيوب
وما اطيب طعم حبك وما اعذب شرب قربك قال وغلتي لا يبردها الا وصلك

ولوعتي لا يطفئها الا لقاؤك وشوقي اليك لا يبله الا النظر الى وجهك
وقراري لا يقر دون دنوي منك ولهفتي لا يردها الا روحك وسقمي لا
تشفيه الا طبك وغمي لا يزيله الا قربك وجرحي لا يبرئه الا صفحك وصدأ
قلبي لا يجلوه الا عفوك ووسواس صدري لا يزيحه الا امرك وامثال هذا في
ادعيتهم اكثر من ان يحصى وعن امير المؤمنين عليه السلام ان لله تعالى
شرابا لاوليائه اذا شربوا سكروا واذا سكروا طربوا واذا طربوا طابوا واذا طابوا
ذابوا واذا ذابوا خلصوا واذا خلصوا طلبوا واذا طلبوا وجدوا واذا وجدوا
وصلوا واذا وصلوا اتصلوا واذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم

فصل

اعلم ان الحب عبارة عن الميل الى الشيء الملذ وانما يحصل بعد المعرفة بذلك
الشيء وادراكه اما بالحواس او بالقلب وكلما كان المعرفة به اقوى واللذة
اشد واكثر كان الحب اقوى والبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر و
القلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال
الصور الظاهرة للابصار فيكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور
الشريفة الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل
الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى فلا ينكر اذن حب الله تعالى
الا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز ادراك الحواس وكما ان
الانسان يحب نفسه وكمال نفسه وبقاء نفسه ويحب غيره لاجل نفسه
وكمال نفسه وبقاء نفسه فكذلك قد يحب غيره لذاته لا لحظ ينال منه وراء
ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه
كحب الجمال والحسن فان كل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين
الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها و

لا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة ولذة
اخرى قد يحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز
ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوبان
لا ليشرب الماء او يؤكل الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وكان
رسول الله صلى الله عليه وآله تعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع
السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة
الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لتنفرج عنه
الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر ثم الحسن والجمال ليس مقصورا
على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة اذ يقال هذا صوت حسن و
هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وليس شيء من
هذه الصفات تدرك بالبصر بل وليس الحسن والجمال مقصورا على مدركات
الحواس بل كثير من خلال الخير مدرك بنور البصيرة الباطنة وآية ذلك ان
الطباع السليمة مجبولة على حب الانبياء والائمة عليهم السلام مع انهم لم
يشاهدوهم حتى ان الرجل قد يجاوز حب لصاحب مذهب حد العشق فيحمله
ذلك على ان ينفق جميع امواله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر
بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه وجملة خلال الخير ترجع الى العلم
والقدرة وهما محبوبان بالطبع وغير مدركين بالحواس بل لما وصف الناس حاتما
بالسخاء وعليا عليه السلام بالشجاعة احبهما القلوب حبا ضروريا وليس ذلك
عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ ينال المحب منهما ومن كانت البصيرة
الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه
للمعاني الظاهرة ثم كل محب اما ان يحب نفسه او يحب غيره ومحبة الغير

فان قضاء الشهوة خ

اما لحسنه وجماله او لاحسانه وكماله او لمجانسة بينه وبين المحب اما محبة النفس فهي اشد واقوى لان المحبة انما تكون بقدر الملايمة والمعرفة ولا شيء اشد ملايمة لاحد من نفسه ولا هو لشيء اقوى معرفة منه بنفسه ولهذا جعل معرفة نفسه مفتاح المعرفة ربه ووجود كل احد فرع لوجود ربه وظل له فمحبة نفسه ترجع الى محبة ربه وان لم يشعر المحب به واما محبة الغير لحسنه وجماله او لقربه من الله وكماله فذلك لان الجمال محبوب لذاته سواء الجمال الظاهر الصوري او الباطن المعنوي وكذا الكمال والله هو الجميل لذاته والكامل بذاته وكل مليح حسنه من جماله وكل كامل فكماله فرع كماله فما احب احد غير خالقه ولكنه احتجب عنه تحت وجوه الاحباب واستار الاسباب وكذا الكلام في محبة الغير للاحسان فان الاحسان ايضا محبوب لذاته سواء كان متعديا الى المحب ام لا ولا احسان الا من الله ولا محسن سوى الله جل شانه فانه خالق الاحسان وذويه وجاعل اسبابه ودواعيه وكل محسن فهو حسنة من حسنات قدرته وحسن فعاله وقطرة من بحار كماله وافضاله واما محبة الغير للمجانسة فذلك لان الجنس يميل الى الجنس سواء كانت المجانسة لمعنى ظاهر كما ان الصبي يميل الى الصبي لصباه او لمعنى خفي كما يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال ولا طمع في جاه او مال فان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف وهذه المحبة فرع لمحبة النفس فترجع الى محبة الله كما عرفت فعلى كل وجه ما متعلق المحبة الا الله الا انه لا يعرف ذلك الا اولياؤه واحباؤه كما اشار اليه سيد الشهداء عليه السلام في دعاء عرفة بقوله وانت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلتجاوا الى غيرك فسبحان من احتجب عن ابصار العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى الذين عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون

فصل اعلم ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يوثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة وذلك لان اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرايز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها مقتضى طبعها التي خلقت له فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام وغريزة شهوة الطعام خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل الغذاء وهكذا ساير الغرايز وفي القلب غريزة تسمى بالبصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين يعلم بها حقايق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم والعلم من اخص صفات الربوبية وهو منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وجمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء

اجل واعلى واشرف واكمل من خالق الاشياء كلها ومكملها ومربيها
ومبديها ومعيدها ومدبرها ومرتبها فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة
بالله اقوى من ساير اللذات لمن له غريزة المعرفة ثم من عرف الله عرف
ان اللذات المقرونة بالشهوات المختلفة كانها منطوية تحت هذه اللذة
كما قيل كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائي فصار
يحسدني من كنت احسده فصرت مولى الورى اذ صرت مولائي تركت للناس دنياهم
ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي فصل اعلم انه لا فرق في
الرؤية بين الدنيا والاخرة فكما انه لا يجوز رؤية الله سبحانه في الدنيا
بالعين والبصر فكذلك لا يجوز رؤيته في الاخرة بالعين والبصر وكما انه يجوز
رؤيته في الاخرة بالقلب والبصيرة لاهل البصائر اعني غاية الانكشاف و
الوضوح بحيث يتأدى الى المشاهدة واللقاء كذلك يجوز رؤيته في الدنيا بهذا
المعنى والحجاب بينه وبين خلقه ليس الا الجهل وقلة المعرفة لعين الجسد
فان اولياء الله يشاهدونه في الدنيا في جميع احوالهم ومتصرفاتهم ليلهم و
نهارهم كما قال الله تعالى والشهداء عند ربهم وقال شهد الله انه لا اله الا
هو والملائكة واولوا العلم وقال الا من شهد بالحق وهم يعلمون فهم
شهداء المشاهدون له في جميع احوالهم كما ذكر بقوله عز وجل واينما
تولوا فثم وجه الله وقال هو الاول والاخر والظاهر والباطن فوصفه بالظاهر
وقال ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى
من ذلك ولا اكثر الا هو معهم فلما تحقق اولياء الله بمعاني هذه الايات
شاهدوه باعين قلوبهم سئل امير المؤمنين عليه السلام هل رأيت ربك
حين عبدته فقال ويلك ما كنت اعبد ربا لم اره قيل وكيف رأيته قال

ويلك

ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ولكن راته القلوب بحقايق
الايمان وقال ابنه الحسين سيد الشهداء كيف يستدل عليك بما هو
في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو
المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون
الاثار هي التي توصل اليك عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيبا وخسرت
صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا وقال ايضا تعرفت لكل شيء
فما جهلك شيء وقال تعرفت الي في كل شيء فرايتك ظاهرا في كل شيء فانت
الظاهر لكل شيء الى غير ذلك مما ورد عنهم عليهم السلام في هذا المعنى نعم
يمكن ان يزيد الانكشاف في الاخرة بقدر زيادة صفاء القلوب وذكائها
وتجردها عن العلايق الدنيوية وروى شيخنا الصدوق طاب ثراه باسناده
عن ابي بصير عن الصادق عليه السلام قال قلت له اخبرني عن الله عز
وجل هل يراه المؤمنون يوم القيمة قال نعم وقد راوه قبل يوم القيمة فقلت
متى قال حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم سكت ساعة ثم قال وان
المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيمة الست تراه في وقتك هذا قال
ابو بصير فقلت له جعلت فداك فاحدث بهذا عنك فقال لا فانك اذا
حدثت به فانكره منكر جاهل بمعنى ما تقول ثم قدر ان ذلك تشبيه كفر
وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون
اراد عليه السلام بالمشبهين والملحدين اصحاب التيمي والعدوي فانهم زعموا
ان الله سبحانه يجوز رؤيته بهذه العين في الاخرة وان لم تجز في الدنيا
وان المؤمنين يرونه يوم القيمة بالبصر كما يرون القمر ليلة البدر وقد
سئل الصادق عليه السلام عما يروون من الرؤية فقال الشمس جزء من سبعين جزءا

من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش والعرش جزء
من سبعين جزء من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر
فان كانوا صادقين فليملئوا اعينهم من الشمس ليس دونها سحاب **فصل**
اعلم ان الطريق الى تحصيل المحبة وتقويتها ثم استعداد الرؤية واللقاء
تحصيل المعرفة وتقويتها وذلك بتطهير القلب من شواغل الدنيا وعلايقها
والتبتل الى الله بالذكر والفكر ثم اخراج حب غير الله منه فان القلب مثل
الاناء الذي لا يسع الخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من
قلبين في جوفه وكمال الحب في ان يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره
فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه
حب الله الا ان يكون التفاته الى الغير من حيث انه صنع الله وفعل الله
ومظهر من مظاهر اسماء الله والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى
قل الله ثم ذرهم وذلك انما يكون بغلبة الشوق وهو استكمال الوضوح فيما
اتضح اتضاحا ما والتشوف الى ما بقي من المطلوب مما لم يحصل فان الشوق انما
يتعلق بما ادرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو انما يكون باحد الامرين و
لا نهاية له لان الاتضاح فيما حصل لا نهاية لدرجاته وكذا الازدياد فيما بقي
من جمال الله وجلاله لا ساحل له بل مع حصول اصل الوصال يجد ايضا شوقا
لذيذا لا يظهر فيه الم فالشوق لا يسكن قط ولا سيما من يرى فوقه درجات
كثيرة يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وفي مصباح
الشريعة قال الصادق عليه السلام المشتاق لا يشتهي طعاما ولا يلتذ شرابا
ولا يستطيب رقادا ولا يانس حميما ولا ياوي دارا ولا يسكن عمرانا ولا يلبس لينا
ولا يقر قرارا ويعبد الله ليلا ونهارا راجيا بان يصل الى ما يشتاق اليه ويناجيه

بلسان شوقه معبرا عما في سريرته كما اخبر الله عن موسى بن عمران في ميعاد
ربه بقوله وعجلت اليك رب لترضى وفسر النبي صلى الله عليه واله عن حاله
انه ما اكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئا من ذلك في ذهابه ومجيئه
اربعين يوما شوقا الى ربه فاذا دخلت ميدان الشوق فكبر على نفسك و
مرادك من الدنيا ودع المالوفات واحرم عن سوى مشوقك ولب بين حياتك
وموتك لبيك اللهم لبيك عظم الله تعالى اجرك ومثل المشتاق مثل الغريق
ليس له همة الا خلاصه وقد نسي كل شيء دونه والاخبار الواردة في شوق لقاء
الله تعالى اكثر من ان تحصى وقد مرت الاشارة الى بعضها في ادعية المعصومين ع
فصل اعلم ان الانسان اذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى
منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى
الطلب وانزعج له وهاج اليه فسميت هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو
بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو
حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف
غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره
انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان
الزوال والبعد تالم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تالمه خوفا وهذه الاحوال
تابعة لهذه الملاحظات فان غلب الانس وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما
يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن غلب عليه الانس بالله لم
يكن شهوته الا في الانفراد والخلوة وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش من
غير الله بل كل ما يعوق من الخلوة يكون اثقل الاشياء على القلب كما روي ان
موسى على نبينا وعليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من

الخلق لا تاخذه الغشيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة
ذكره فيخرج من القلوب عذوبة ما سواه فان خالط الناس كان كمنفرد في
جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة و
غائب في حضور ومخالط بالجسد منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر
قال امير المؤمنين عليه السلام في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على
حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون
وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة
بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه فصل
اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم تشوشه قلق الشوق ولم
ينغصه خوف البعد والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال و
الافعال والمناجاة مع الله سبحانه وقد يكون منكر الحجب الصورة لما فيه من
من الجراة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم مقام الانس ومن لم يقم في
ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل والكلام هلك واشرف على الكفر و
مثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى ان يساله ليستسقي
لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى في سبعين الفا واوحى
الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم
خبيثة يدعونني على غير يقين ويامنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال
له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى فلم يعرف فبينا موسى
ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من
اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله تعالى فسلم
عليه فقال ما اسمك قال اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين فاستسق لنا

فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي
بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد
ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق
الخطائين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت
فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالمطر وانبت الله
عز وجل العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله
موسى فقال كيف رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم موسى به
فاوحى الله عز وجل اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلث مرات واعلم ان
الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون البعض فمن انبساط الانس
قول موسى ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في
التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون انه طغى فقال ولهم علي ذنب
فاخاف ان يقتلون وقوله ويضيق صدري وقوله انا نخاف ان يفرط علينا
او ان يطغى وهذا من غير موسى من سوء الادب لان الذي اقيم مقام الانس
يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس ما دون هذا لما ان اقيم مقام القبض والهيبة
فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلث فنودي عليه الى يوم الحشر لولا
ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ونهى نبينا صلى الله عليه
واله ان يقتدي به فقيل له واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ
نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال و
المقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة
بين العباد قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من
كلم الله ورفع بعضهم درجات وكان عيسى على نبينا وعليه السلام من المفضلين

ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت
ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهده من اللطف في مقام
الانس واما يحيى بن زكريا فانه اقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى
سلم عليه خالقه فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم
يبعث حيا وانظر كيف احتمل الاخوة يوسف ما فعلوا بيوسف وقد قال
بعض العلماء قد عددت من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب
الى ابينا منا الى راس العشرين اية من اخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا و
اربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلث
والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العزير مسئلة واحدة سال عنها
في القدر حتى قيل لئن عاد محي اسمه عن ديوان النبوة وهذه القصص
اوردت في القران ليعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل فليس في
القران شيء الا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى الى خلقه فصل
واما محبة الله سبحانه لعبده فيرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى
يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب اليه والى ارادته ذلك به في الازل
والى تطهير باطنه من حلول الغير به وتخليته عن عوايق تحول بينه وبين
مولاه حتى لا يسمع الا بالحق ومن الحق ولا يبصر الا به ولا ينطق الا به كما ورد في
الحديث القدسي ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به فيكون
تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله
في درجة القرب من ربه وكل ذلك من فضل الله ولطفه به قال الله
تعالى يحبهم ويحبونه وقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا

الحكاية

وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله
صلى الله عليه واله ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي
الايمان الا من يحب وقال اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه و
ان رضي اصطفاه وقال اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه
وزاجرا من قلبه يامره وينهاه واخص علامات حبه لله فان ذلك يدل
على حب الله عز وجل له واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله
تعالى امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر
لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل
لهمومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمونس له
بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فصل
اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله سبحانه وذلك لانه هو الموجود
بذاته وما سواه موجود به قال الله سبحانه الله نور السموات والارض و
النور هو الظاهر لنفسه المظهر لغيره وسبب الادراك من المدرك والمدرك
انما هو الوجود فكلما ادركته فانما تدركه او لا وجوده وان لم تشعر بذلك وانما
خفي عليك ذلك لغاية وضوحه ولا تعجب من اختفاء شيء بسبب ظهوره فان
الاشياء انما تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر ادراكه
فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها على الله تعالى دون بعض ادركت التفرقة
على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر ومثاله نور الشمس
المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند
غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن ان لا
هيئة في الاجسام الا الوانها فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت

الشمس واظلمت المواضع ادركت تفرقة بين الحالتين فعلمنا ان الاجسام
قد استضائت بضوء فارقها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما
كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام
متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات
اذ به يدرك ساير المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر
كيف استبهم امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فاذن الحق سبحانه هو
اظهر الاشياء وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او
تغير لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادركت
التفرقة بين الحالتين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا
بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في
الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم
اورثت شدة الظهور خفاء . خفي لافراط الظهور تعرضت . لادراكه ابصار
قوم اخافش . وحظ عيون الزرق من نور وجهه . لشدته حظ العيون العوامش
قال امير المؤمنين عليه السلام لم تحط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع
منها وقال ظاهر في غيب وغايب في ظهور وقال لا تجنه البطون عن الظهور
ولا يقطعه الظهور عن البطون قرب فنأى وعلا فدنى وظهر فبطن و
بطن فعلن ودان ولم يدن اي ظهر وغلب ولم يغلب ومن هنا قيل عرفت
الله بجمعه بين الاضداد **الباب الخامس** في اليقين والتوكل قال الله تعالى
وبالاخرة هم يوقنون وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اقل ما
اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اوتي حظه منهما لم يبال ما فاته من
صيام النهار وقيام الليل وقال لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب

ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما ادمي الا وله ذنوب
ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه
كلما اذنب ذنبا تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل
به الجنة وقال اليقين الايمان كله وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع
العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص
يقينه وعن الصادق عليه السلام قال ليس شيء الا وله حد قيل فما حد التوكل
قال اليقين قيل فما حد اليقين قال ان لا تخاف مع الله شيئا وقال عليه السلام
من صحة يقين المرء المسلم ان لا يرضي الناس بسخط الله ولا يلومهم بما لم يوته
الله فان الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره ولو ان احدكم
فر من رزقه كما يفر من الموت لادركه رزقه كما يدركه الموت ثم قال ان الله
تعالى بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا وجعل الهم
والحزن في الشك والسخط اراد عليه السلام بقوله ولا يلومهم على ما لم يوتهم الله
ان لا تشكوهم على ترك صلتهم اياه بالمال ونحوه فان ذلك شيء لم يقدر الله
له ولم يرزقه اياه ومن كان من اهل اليقين عرف ان ذلك كذلك فلا يلوم
احدا بذلك وعرف ان ذلك مما اقتضته ذاته بحسب استحقاقه وما اوجبته
حكمة الله في امره وعنه عليه السلام ان العمل الدائم القليل على اليقين افضل
عند الله تعالى من العمل الكثير على غير يقين وعنه عليه السلام قال كان امير
المؤمنين صلوات الله عليه يقول لا يجد عبد طعم الايمان حتى يعلم ان ما
اصابه لم يكن ليخطئه وان ما اخطأه لم يكن ليصيبه وان الضار النافع هو الله
تعالى وعنه عليه السلام جلس الى حايط مايل يقضي بين الناس فقال
بعضهم لا تقعد تحت هذا الحايط فانه معور فقال امير المؤمنين عليه السلام

حرس امرء اجله فلما قام سقط الحايط قال وكان امير المؤمنين صلوات
الله عليه مما يفعل هذا واشباهه وهذا اليقين وعنه عليه السلام
قال كان قنبر غلام علي يحب عليا حبا شديدا فاذا خرج علي صلوات الله
عليه خرج على اثره بالسيف فراه ذات ليلة فقال يا قنبر ما لك قال
جئت لامشي خلفك يا امير المؤمنين قال ويحك امن اهل السماء تحرسني
او من اهل الارض قال لا بل من اهل الارض فقال ان اهل الارض لا يستطيعون
لي شيئا الا باذن الله من السماء فارجع فرجع وقيل للرضا عليه السلام انك
تتكلم بهذا الكلام والسيف يقطر دما فقال ان لله تعالى واديا من ذهب
حماه باضعف خلقه النمل فلو رامه البخاتي لم تصل اليه يعني بالسيف
سيف السلطان وعنه عليه السلام كان في الكنز الذي قال الله تعالى
وكان تحته كنز لهما كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالموت
كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن راى الدنيا وتقلبها
باهلها كيف ركن اليها **فصل** اليقين ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب
ولا يلتفت الى الوسايط بل يرى الوسايط كلها مسخرة لا حكم لها ثم الثقة
بضمان الله سبحانه للرزق وان ما قدر له سيساق اليه ثم ان يغلب على
قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم العلم
بان الله مطلع عليه في كل حال ومشاهد لهواجس ضميره وخفايا خواطره
فيكون متادبا في جميع احواله واعماله مع الله سبحانه فيكون مبالغته
في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالية اشد من مبالغته
في تزيين ظاهره لساير الناس وفي مصباح الشريعة قال الصادق
عليه السلام اليقين يوصل العبد الى كل حال سني ومقام عجيب كذلك



اخبر رسول الله صلى الله عليه واله عن عظم شان اليقين حين ذكر
عنده ان عيسى بن مريم كان يمشي على الماء فقال لو زاد يقينه لمشى في الهواء
فدل بهذا ان الانبياء مع جلالة محلهم من الله كانت تتفاضل على حقيقة
اليقين لا غير ولا نهاية لزيادة اليقين على الابد والمؤمنون ايضا متفاوتون
في قوة اليقين وضعفه فمن قوي منهم يقينه فعلامته التبري من الحول
والقوة الا بالله والاستقامة على امر الله وعبادته ظاهرا وباطنا قد استوت
عنده حالتا العدم والوجود والزيادة والنقصان والمدح والذم والعز
والذل لانه يرى كلها من عين واحدة ومن ضعف يقينه تعلق بالاسباب
ورخص لنفسه بذلك واتبع العادات واقاويل الناس بغير حقيقة والسعي
في امور الدنيا وجمعها وامساكها مقرا باللسان انه لا مانع ولا معطي الا الله
وان العبد لا يصيب الا ما رزق وقسم له والجهد لا يزيد في الرزق و
ينكر ذلك بفعله وقلبه قال الله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
والله اعلم بما يكتمون وانما عطف الله لعباده حيث اذن لهم في الكسب
والحركات في باب العيش ما لم يتعدوا حدوده ولا يتركوا من فرايضه و
سنن نبيه في جميع حركاتهم ولا يعدلوا عن محجة التوكل ولا يقفوا في ميدان
الحرص واما اذا ابوا ذلك وارتبطوا بخلاف ما حد لهم كانوا من الهالكين
الذين ليس معهم في الحاصل الا الدعاوي الكاذبة وكل مكتسب لا يكون متوكلا
فلا يستجلب من كسبه الى نفسه الا حراما وشبهة وعلامته ان يوثر ما
يحصل من كسبه ويجوع وينفق في سبيل الدين ولا يمسك والماذون بالكسب
من كان بنفسه مكتسبا وبقلبه متوكلا وان كثر المال عنده قام فيه كالامين عالما
بان كون ذلك وفوته سواء وان امسك امسك لله وان انفق انفق فيما امره الله عز وجل

ويكون منعه وعطاؤه في الله فصل التوكل منزل من منازل الدين و
مقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه
غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث
العلم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتباعد
عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب انغماس
في غمرة الجهل قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال وعلى الله
فليتوكل المتوكلون وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال ان الله يحب
المتوكلين فاعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه ومضمون بكفاية الله
لابسه فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد قال الله اليس الله بكاف
عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الاية
وقال رسول الله صلى الله عليه واله لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال من انقطع الى الله كفاه الله
كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها و
قال من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه مما في يده و
عن الصادق عليه السلام اوحى الله تعالى الى داود ما اعتصم بي عبد من عبادي
دون احد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم تكيده السموات والارض ومن فيهن
الا جعلت له المخرج من بينهن وما اعتصم عبد من عبادي باحد من خلقي عرفت
ذلك من نيته الا قطعت اسباب السموات من يديه واسخت الارض من تحته
ولم ابال باي واد هلك وعنه عليه السلام ان الغنى والعز يجولان فاذا ظفرا
بموضع التوكل اوطنا وعنه عليه السلام انه قرا في بعض الكتب ان الله تعالى
يقول وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لاقطعن امل كل مؤمل غيري

باليأس ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه من قربي ولابعدنه
من وصلي ايؤمل غيري في الشدايد والشدايد بيدي ويرجو غيري ويقرع
بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح
لمن دعاني فمن ذا الذي املني لنوائبه فقطعته دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني جعلت امال
عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي وملات سمواتي ممن لا يمل من
تسبيحي وامرتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي
الم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي انه لا يملك كشفها احد غيري الا من بعدي فما لي اراه
ابدا ابا العطاء قبل المسألة ثم اسال فلا اجيب سائلي ابخيل انا فيبخلني عبدي
اوليس الجود والكرم لي اوليس العفو والرحمة بيدي اوليس انا محل الامال فمن
يقطعها دوني افلا يخشى المؤملون ان يؤملوا غيري فلو ان اهل سمواتي و
اهل ارضي املوا جميعا ثم اعطيت كل واحد منهم مثل ما امل الجميع ما انتقص
من ملكي مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك انا قيمه فيا بؤسا للقانطين
من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني فصل اعلم ان من اعتقد اعتقادا
جازما بانه لا فاعل الا الله وانه لا حول ولا قوة الا بالله وان له تمام العلم
والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد
والاحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء
منتهى عنايته عناية اتكل لا محالة قلبه على الله وحده ولم يلتفت الى غيره
بوجه ولا الى نفسه ومن لم يجد ذلك من نفسه فسببه احد امرين اما ضعف
اليقين واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب
الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان
في اليقين كانزعاجه ان يبيت مع ميت في قبر او فراش مع علمه نفرته عن سائر

الجمادات فالتوكل لا يتم الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل
سكون القلب وطمانينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء اخر فكم
من يقين لا طمانينة معه كما قال تعالى لخليله اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي وكم من مطمئن لا يقين له كسائر ارباب الملل والمذاهب
فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهما اصلا
وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب
اليقين الا انهم معرضون عنه وعن الكاظم عليه السلام في قول الله عز وجل
ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال التوكل على الله درجات منها ان تتوكل
على الله في امورك كلها فما فعل بك كنت عنه راضيا تعلم انه لا يالوك خيرا
وفضلا وتعلم ان الحكم في ذلك له فتوكل على الله بتفويض ذلك عليه وثق
به فيها وفي غيرها ولعل سائر درجات التوكل ان يتوكل على الله في بعض اموره
دون بعض وتعددها بحسب كثرة الامور المتوكل فيها وقلتها **فصل**
اعلم ان من الناس من يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير
بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة واللحم على الوضم وهذا ظن
الجهال فان ذلك حرام في الشرع فان الانسان مكلف بطلب الرزق بالاسباب
التي هداه الله اليها من زراعة او تجارة او صناعة او غير ذلك مما احله الله
وكما ان الصلوة والحج عبادات كلف الله بها عباده يتقربون بها اليه كذلك
طلب الرزق الحلال عبادة كلفهم الله به ليتقربوا به اليه بل هو افضل
العبادات كما مر بيانه في الباب الاول من المقالة الثالثة ولكنه سبحانه
كلفهم ايضا بان لا يثقوا الا به جل وعز ولا يثقوا بالاسباب كما انه سبحانه
كلفهم بان لا يتكلوا على اعمالهم الحسنة بل بفضل الله تعالى فمعنى التوكل الذي

في الشرع الاقدس هو اعتماد القلب على الله تعالى في الامور كلها و
انقطاعه عما سواه ولا ينافيه تحصيل الاسباب اذا لم يكن يسكن اليها وكان
سكونه الى الله تعالى دونها مجوزا ان يوتيه الله مطلوبه من حيث لا يحتسب
دون هذه الاسباب التي حصلها وان يقطع الله هذه الاسباب عن
مسبباتها سواء كانت لجلب نفع متوقع او لدفع ضرر منتظر او لازالة
افة واقعة وسواء كانت مقطوعا بها كمد اليد الى الطعام ليصل الى فمه او
مظنونة كحمل الزاد للسفر واخذ السلاح للعدو واتخاذ البضاعة للتجارة
والادخار لتجدد الاضطرار والتداوي لازالة المرض والتحرز عن النوم في
مكمن السباع وممر السيل وتحت الحائط المائل وغلق الباب وعقل البعير و
نحو ذلك اما الموهومة كالرقية والطيرة والاستقصاء في دقائق التدبير
فيبطل بها التوكل لان امثال ذلك ليست باسباب عند العقلاء الالباء وليست
مما امر الله بها بل ورد النهي عنها على ان المامور به الاجمال في الطلب وعدم
الاستقصاء وترك الاستبطاء قال النبي صلى الله عليه واله الا ان روح
الامين نفث في روعي انه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله عز
وجل واجملوا في الطلب وقال ما اجمل في الطلب من ركب البحر وقال الصادق
عليه السلام ليكن طلبك المعيشة فوق كسب المضيع ودون طلب الحريص
الراضي بدنياه المطمئن اليها ولكن انزل نفسك من ذلك بمنزلة المنصف المتعفف
ترفع نفسك عن منزلة الواهن الضعيف وتكتسب ما لا بد منه ان الذين
اعطوا المال ثم لم يشكروا لا مال لهم وقال اذا فتحت بابك وبسطت
بساطك فقد قضيت ما عليك وانما لا يبطل التوكل بالاسباب المقطوعة
والمظنونة مع ان الله تعالى قادر على اعطاء المطلوب بدون ذلك لان الله

سبحانه ابى ان يجري الاشياء الا بالاسباب كما قال الصادق عليه السلام
واحب الله لعباده ان يطلبوا منه مقاصدهم بالاسباب التي سببها لذلك
وامرهم بذلك قال الله تعالى خذوا حذركم وقال في كيفية صلوة الخوف
وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة و
من رباط الخيل وقال لموسى فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل اختفاء
عن اعين الاعداء دفعا للضرر وقال النبي صلى الله عليه وآله للاعرابي
لما اهمل البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل الى غير ذلك روى ان زاهدا
من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل وقال لا اسئل احدا شيئا حتى
ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم ياته رزق فقال يا رب ان
احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله اليه و
عزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر
واقام فجاء هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب واوجس في نفسه ذلك
فاوحى الله اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني
ان ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي وفي الاسرائيليات
ان موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته
فقالوا لو تداويت بكذا لبرأت فقال لا اتداوى حتى يعافيني الله من غير دواء
فطالت علته فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكروه
لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ فاوجس في نفسه من ذلك
فاوحى الله اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي فمن اودع العقاقير منافع
الاشياء غيري فصل ومن الناس من يزعم ان حق التوكل ان
يكتفي بالاسباب الخفية عن الاسباب الجلية كان يسافر بالبوادي التي لا

يطرقها الناس بغير زاد بعد ان راض نفسه على الجوع الاسبوع فما يقاربه
بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله و
ان يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق له وان يوطن نفسه
على انه ان مات جوعا كان خيرا له في الآخرة او يقعد في بيته او في مسجد
ويتفرغ بترك الكسب للفكر والذكر والاخلاص والاستغراق وقت بالعبادة بحيث
لا يستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل فيحمل اليه شيئا بل يكون
قوي القلب في الصبر والاتكال على الله وهذا خطأ لان من جاهد نفسه وسواها
بحيث يصبر على الجوع الاسبوع ويمكنه التقوت بالحشيش صارت الاسباب
له جلية فان عدم الحاجة احد الغنائين ثم ان كان اعتماده حينئذ على صبره
وتمكنه من التقوت بالحشيش فاين التوكل وان كان انما يثق بالله وحده فليتم
في بلده مع الاسباب الجلية وليثق بالله دون الاسباب كما امر الله به الزاهد
الذي مرت قصته واما توطين نفسه باختياره على الموت جوعا فممنوع
شرعا قال الله عز وجل ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واما القاعد في بيته يعبد
ربه من غير كسب فهو ايضا قد ترك اتباع امر الله تعالى بالطلب قال الصادق
عليه السلام ان من يقوته اشد عبادة منه وربما يكون مثله كلا على الناس
فان حاله ينادي بالبؤس والباس بل هو ضرب على بواطن الناس وتعرض للذل
الا اذا خرج من بين الناس فرجع الى الاول من تعريه بالنفس وتعرضه للهلاك
وليت شعري اي مدخل في خفاء الاسباب وجلائها في التوكل بعدما تعرفت ان
معناه الثقة بالله وحده لا بالاسباب سواء وجود الاسباب وفقدها جلاؤها
وخفاؤها نعم تتفاوت درجات الناس فيه بحسب تفاوت مراتبهم في قوة اليقين
وضعفه وفي قصر الامل وطوله وفي مقدار الادخار بحسب الامل وللمنفرد

والعمل فمنهم من هو من المقربين ومنهم من هو اصحاب اليمين ومنهم
من لا توكل له اصلا وذلك بحسب عدم الوثوق بالاسباب اصلا وقلته وكثرته
ومن كمل ايمانه سقط وثوقه بالاسباب بالكلية فيرزقه الله من حيث لا يحتسب
كسب ام لم يكتسب الا انه لا يترك الكسب لتبع امر الله فيه وليس وثوقه الا بالله
وحده دون كسبه قال الصادق عليه السلام ابى الله عز وجل ان يجعل ارزاق
المؤمنين الا من حيث لا يحتسبون وانما خصه بالمؤمنين لان كمال الايمان
يقتضي ان لا يثق صاحبه بالاسباب وان يتوكل على الله عز وجل وحده وكمال
الايمان انما يكون لصاحب العلم المكنون من الانبياء والاولياء ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء قال السجاد عليه السلام رايت الخير كله في قطع الطمع
عما في ايدي الناس ومن لم يرج الناس في شيء ورد امره الى الله تعالى في جميع
اموره استجاب الله تعالى له في كل شيء وقال الباقر عليه السلام بئس العبد
عبد له طمع يقوده وبئس العبد عبد له رغبة تذله وقال الصادق عليه السلام
شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس **الباب السادس** في
الصدق واداء الامانة وادنى الصدق الصدق في القول في كل حال وكماله
بترك المعاريض من غير ضرورة حذرا عن تفهيم الخلاف وكسب القلب صورة
كاذبة ورعايته مع الله تعالى فمن قال وجهت وجهي لله وفي قلبه سواه او اياك
نعبد وهو يعبد الدنيا فهو كاذب ثم في النية بتمحيضها لله تعالى فالشوب
يفوته كمال صادق الخلاق اي محضها فالصادق في النية لا بد ان يكون مخلصا
ثم في العزم وهو الجزم القوي على الخير فان الانسان قد يقدم العزم على العمل
فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او شطره واذا لقيت
عدوا في سبيل الله قاتلته ولم ابال وان قتلت وقد يكون في عزمه نوع ميل

وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة ثم في الوفاء بالعزم فالنفس قد
تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد فاذا حقت الحقايق وحصل التمكن
وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال
الله سبحانه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم في الاعمال وهو ان
يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان
يترك العمل ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا غير الرياء لان
المرائي هو الذي يقصد ذلك لاجل الخلق ورب واقف على هيئة الخشوع في
صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلوة فمن
نظر اليه راه قائما بين يدي الله عز وجل وهو بالباطن قايم في السوق بين يدي
شهوة من شهواته وكذلك قد يمشي على هيئة السكون والوقار وليس باطنه
موصوفا بذلك فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا
اياهم ولا ينجو من هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه
مثل ظاهره او خيرا من ظاهره وهذا قال امير المؤمنين عليه السلام اني والله
ما احثكم على طاعة الا واسبقكم اليها ولا انهاكم عن معصية الا واتناهى
قبلكم عنها ثم في مقامات الدين وهو اعلى الدرجات واعزها كالصدق في
الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والحب والتوكل وسائر المكارم فان هذه الامور
لها مبادي ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقايق والصادق المحقق
من نال حقيقتها قال الله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
الى قوله اولئك هم الصادقون وقال عز وجل ولكن البر من امن بالله واليوم
الاخر ثم قال والصابرين في البأساء والضراء الى قوله اولئك الذين صدقوا
وسئل ابو ذر رضي الله عنه عن الايمان فقرا هذه الاية فقيل له سألناك عن

الايمان فقال سالت رسول الله صلى الله عليه واله عن الايمان فقرا
هذه الاية ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله الا وهو خائف
من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة
الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف يصفر
لونه ويرتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه
وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيتبدل
بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك
خوفا من درك المحذور ثم انه لا يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك
عند جريان معصية عليه ولذلك قال النبي صلى الله عليه واله لم ار
مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها والتحقق لهذه الامور
عزيز جدا ولكن لكل عبد منها حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي ثم درجات
الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون
بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا **فصل** في مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام اذا اردت ان تعلم اصادق انت ام كاذب فانظر
في قصد معناك وغور دعواك وعيرها بقسطاس من الله عز وجل كانك في القيمة
قال الله عز وجل والوزن يومئذ الحق فاذا اعتدل معناك بدعواك ثبت
لك الصدق وادنى حد الصدق ان لا يخالف اللسان القلب ولا القلب
اللسان ومثل الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع روحه ان لم ينزع
فماذا يصنع وعنه عليه السلام ان الصادق اول من يصدقه الله تعالى
يعلم انه صادق فتصدقه نفسه تعلم انه صادق وعنه عليه السلام
قال ان العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين ويكذب حتى يكتب

عند الله من الكاذبين فاذا صدق قال الله تعالى صدق وبر واذا كذب
قال الله تعالى كذب وفجر وفي رواية ليصدق حتى يكتبه الله صديقا وعنه
عليه السلام قال كونوا دعاة الناس بالخير بغير السنتكم ليروا منكم
الاجتهاد والصدق والورع وقال لبعض اصحابه انظر ما بلغ علي عليه
السلام عند رسول الله صلى الله عليه واله فالزمه فان عليا انما بلغ عند
رسول الله بصدق الحديث واداء الامانة وقال عليه السلام لا تنظروا
الى طول ركوع الرجل وسجوده فان ذلك شيء اعتاده ولو تركه لاستوحش
لذلك ولكن انظروا الى صدق حديثه واداء امانته وقال عليه السلام
ان الله تعالى لم يبعث نبيا الا بصدق الحديث واداء الامانة الى البر والفاجر
وعن النبي صلى الله عليه واله اداء الامانة يجلب الرزق والخيانة تجلب
الفقر وعن امير المومنين عليه السلام ادوا الامانات ولو الى قاتل ولد الانبياء
وعن الصادق عليه السلام من ائتمنك بامانة فادها اليه ومن خانك فلا تخنه
المقالة الخامسة في العبادات واسرارها وفيها سبعة ابواب **الباب الاول**
في النية والاخلاص قال النبي صلى الله عليه واله انما الاعمال بالنيات وانما
لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا
يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وانما قال ذلك حين قال له
بعض الصحابة ان بعض المهاجرين الى الجهاد ليست نيته من تلك الهجرة
الا اخذ الغنائم من الاموال والسبايا او نيل الصيت عند الاستيلاء فبين
صلى الله عليه واله ان كل احد ينال في عمله ما يبغيه ويصل الى ما ينويه كائنا
ما كان دنيويا او اخرويا وهذا الخبر مما يعده اصحاب الحديث من المتواترات وهو
اول ما يعلمونه اولادهم ويقولون انه نصف العلم واعلم انه لا يحسب من عباد الله

ولا يعد من طاعته بحيث يترتب عليه الاجر في الاخرة الا ما يراد به التقرب
الى الله تعالى والدار الاخرة اعني به وجه الله او التوصل الى ثوابه او الخلاص
من عقابه وبالجملة امتثال امر الله تعالى فيما ندب عباده اليه بقوله عز
وجل ادعوه خوفا وطمعا وقوله ويدعوننا رغبا ورهبا وكل ما وعد به الجنة
واوعد عليه النار في الايات التي لا تحصى فرغب ورهب ووعد واوعد
وانما يثيبهم على حسب اقدارهم ومنازلهم ونياتهم فمن عرف الله بجماله
وجلاله ولطف فعاله واحبه واشتاق اليه واخلص عبادته لله لكونه
اهلا للعبادة ولمحبته له احبه الله واخلصه واجتباه وقربه الى نفسه
وادناه قربا معنويا ودنوا روحانيا كما قال في حق بعض من هذه صفته
وان له عندنا لزلفى وحسن مآب قال امير المؤمنين وسيد الموحدين
صلوات الله عليه الهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك لكن
وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك ومن لم يعرف من الله سوى كونه الها صانعا
للعالم قادرا قاهرا عالما وان له جنة ينعم بها المطيعين ونارا يعذب بها
العاصين فعبده ليفوز بجنته او يكون له النجاة من ناره ادخله الله بعبادته
وطاعته الجنة وانجاه من النار لا محالة كما اخبر عنه في غير موضع من كتابه
فانما لكل امرئ ما نوى فلا تصغ الى قول من ذهب الى بطلان العبادة اذا
قصد بفعلها تحصيل الثواب او الخلاص من العقاب زعما منه ان هذا
القصد مناف للاخلاص الذي هو ارادة وجه الله سبحانه وحده وان من
قصد ذلك فانما قصد جلب النفع الى نفسه ودفع الضرر عنها لا وجه الله
سبحانه فان هذا قول من لا معرفة له بحقايق التكاليف ومراتب الناس فيها
بل ولا معرفة له بمعنى النية وحقيقتها وانما عبارة عن انبعاث النفس و

ميلها وتوجهها الى ما فيه غرضها ومطلبها اما عاجلا واما اجلا لا
مجرد قول الناوي عند العبادة افعل كذا قربة الى الله وتصور معنى هذا
القول بخاطره وملاحظته بقلبه وان لم يكن لنفسه انبعاث الى التقرب هيهات
انما هذا تحريك لسان وحديث نفس وما ذلك الا كقول الشبعان اشتهى
هذا الطعام قاصدا حصول الاشتهاء وهذا الانبعاث اذا لم يكن حاصلا
لها لا يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرد القول والتصور واكثر الناس تعذر
منهم العبادة ابتغاء وجه الله والتقرب اليه لانهم لا يعرفون من
الله سبحانه الا المرجو والمخوف فغايتهم ان يتذكروا النار ويحذروا
انفسهم عقابها ويتذكروا الجنة ويرغبوا انفسهم ثوابها وخصوصا من
كان الغالب على قلبه الميل الى الدنيا فانه قلما ينبعث له داعية الى فعل
الخيرات لينال بها ثواب الاخرة فضلا عن عبادته على نية اجلال الله عز و
جل لاستحقاقه الطاعة والعبودية فانه قل من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها
فلو كلف بها لكان تكليفا بما لا يطاق وليس معنى الاخلاص في العبادة الا
ان لا تكون مشوبة بشوائب الدنيا والحظوظ العاجلة للنفس كمدح الناس
والخلاص من النفقة بعتق العبد ونحو ذلك كما ياتي بيانه وظاهر انه لا
ينافيه ارادة الجنة والخلاص من النار مما وعد في الاخرة وان كان من جنس
المالوف في الدنيا ولو كان مثل هذه النيات مفسدا للعبادات لكان
الترغيب والترهيب والوعد والوعيد عبثا بل مخلا بالمقصود ثم ليت شعري
كيف يمكن العبد الضعيف المهين الذليل الذي لا يملك لنفسه نفعا و
لا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ان يستغني عن جلب النفع من مولاه
لنفسه او دفع الضرر عنها ومن امعن حق الامعان فلا يجد اكثر القايلين

ببطلان العبادة باحدى النيتين الاولى نياتهم الصحيحة في عباداتهم ترجع
الى احدهما وهم لا يشعرون وعن الصادق عليه السلام العباد ثلثة قوم
عبدوا الله عز وجل خوفا فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله عز وجل
طلب الثواب فتلك عبادة الاجراء وقوم عبدوا الله عز وجل حبا له فتلك
عبادة الاحرار وقوم عبدوا الله عز وجل وهي افضل العبادة قوله عليه السلم
وهي افضل العبادة يعطي ان العبادة على الوجهين الاولين لا يخلو من
فضل ايضا فضلا عن ان تكون صحيحة فصل قد ورد في الحديث
المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال نية المومن خير من عمله
ونية الكافر شر من عمله وكل عامل يعمل على نيته وقد اختلف الفقهاء
في معنى الحديث على اقوال شتى والذي ظهر لي ان ذلك لان المومن ينوي
خيرات كثيرة لا يساعده الوقت على عملها فكان الثواب المترتب على نياته
اكثر من الثواب المترتب على اعماله وايضا ان المومن ينوي ان تقع عباداته
على احسن الوجوه لان ايمانه يقتضي ذلك ثم اذا كان يشتغل بها لا
يتيسر له ذلك ولا يأتي كما يريد فلا يأتي بها كما ينبغي فالذي ينوي دائما خير
من الذي يعمل به في كل عبادة والى هذا اشار الباقر عليه السلام حيث كان
يقول نية المؤمن خير من عمله وذلك لانه ينوي من الخير ما لا يدركه ونية
الكافر شر من عمله وذلك لان الكافر ينوي الشر ويامل من الشر ما لا يدركه
وعن الصادق عليه السلام انه قيل له سمعتك تقول نية المومن خير من عمله
فكيف يكون النية خيرا من العمل قال لان العمل ربما كان رياء للمخلوقين والنية
خالصة لرب العالمين فيعطي عز وجل على النية ما لا يعطي على العمل ثم قال ان
العبد لينوي من نهاره ان يصلي بالليل فيغلبه عينه فينام فيثبت الله

له صلوته ويكتب نفسه تسبيحا ويجعل نومه صدقة وعنه عليه السلام
ان العبد المؤمن الفقير ليقول يا رب ارزقني حتى افعل كذا وكذا من البر و
وجوه الخير فاذا علم الله عز وجل ذلك منه بصدق نية كتب الله له من الاجر
مثل ما يكتب له لو عمله ان الله واسع كريم وعنه عليه السلام انه سئل عن
حد العبادة التي اذا فعلها فاعلها كان مؤديا فقال حسن النية بالطاعة
يعني ان يكون له في طاعته نية حسنة فان تيسر له الاتيان بما وافق
نيته والا فقد ادى ما عليه من العبادة بحسن نيته وعنه عليه السلام
انما خلد اهل النار في النار لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو خلدوا فيها
ان يعصوا الله فيها ابدا وانما خلد اهل الجنة في الجنة لان نياتهم كانت
في الدنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوا الله ابدا فبالنيات خلد هولاء وهولاء
ثم تلا قوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته قال على نيته وعنه عليه السلام من
سمع شيئا من الثواب على شيء فصنعه كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه
ومما قيل في معنى الحديث المشهور ان النية انما تكون خيرا من العمل لتوقف
نفع العمل عليها دون العكس ولكون الغرض الاصلي من العمل تاثر القلب
بالميل الى الله تعالى عن الغير كما قال الله عز وجل لن ينال الله لحومها ولا
دماؤها ولكن يناله التقوى منكم الا ترى الى اثم المجامع امرأته على قصد انها
غيرها بخلاف المجامع غيرها على انها امرأته والتاثر صفة القلب وبهذا يعرف
معنى قوله عليه السلام من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان
هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهو غاية
الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تاكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان
الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله عز وجل

وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهم وان عاق عن العمل عائق فلن
ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى في القلب و
لذلك قال النبي صلى الله عليه واله وسلم لما خرج في غزوة تبوك ان بالمدينة
قوما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا
اصابتنا مخمصة الا شاركونا في ذلك وهم في المدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول
الله وليسوا معنا فقال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية **فصل** النية
اما واحدة كالقيام للاكرام واما متعددة كالتصدق للفقر والقرابة فاما ان لا
يستقل شيء منها ويعرف بالامتناع عند الانفراد او يستقل متساويا او متفاوتا
ويتعدد الجزاء بتعددها ايا كان كالدخول في المسجد لزيارة الله عز وجل فان
المسجد بيت الله وفي الحديث النبوي من دخل المسجد فقد زار الله عز وجل
وحق على المزور اكرام زايره ولانتظار الصلوة والاعتكاف والانزواء و
التجرد للذكر وترك الذنوب او شركا كالقعود فيه للتحدث بالباطل وملاحظة
النساء والمناظرة للمباهاة والمراياة وغيرها يجعل المباح عبادة كالتطيب
يوم الجمعة لاقامة السنه وتعظيم المسجد واليوم ودفع الاذى بالنتن و
ادخال السرور بالعرف وسد باب الغيبة وربما يفضله على محضها فالترفه
بنومة او دعابة مباحة لرد نشاط الصلوة افضل منها في الملال وشرها
يجعله معصية كالتطيب للتفاخر باظهار الثروة والتزين للزنا ولا تؤثر
في الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة الاخوان **فصل** النية غير داخلة تحت الاختيار
وذلك لما عرفت انها انبعاث النفس وتوجهها الى ما يظهر لها ان فيه غرضها
اما عاجلا او اجلا وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا
يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما

يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه
وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة
بها يجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص والاحوال والاعمال فاذا غلبت شهوة
النكاح ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد لم يمكنه ان يتزوج على نية الولد
بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا
الشهوة فكيف ينوي الولد نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوي
اولا ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلى الله
عليه واله ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول
التعب وغيرهم واذا فعل ذلك فربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد
للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك الاعضاء لمباشرة العقد واذا انتهضت القدرة
المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان
ناويا واذا لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد
الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنعت جماعة من جملة من الطاعات اذ لم تحضرهم
النية وكانوا يقولون ليس تحضرني نية وذلك لعلمهم بان النية روح الاعمال
وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعن
الصادق عليه السلام انه اتاه مولى له فسلم عليه وجلس فلما انصرف عليه السلام
انصرف معه الرجل فلما انتهى الى باب داره دخل وترك الرجل فقال له ابنه
اسمعيل يا ابه الا كنت عرضت عليه الدخول فقال لم يكن من شاني ادخاله قال
فهو لم يكن يدخل قال يا بني اني اكره ان يكتبني الله عراضا وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم لان
سلامة القلب من هواجس المحذورات تخلص النية لله في الامور كلها قال الله تعالى

يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقال النبي صلى الله عليه
واله نية المؤمن خير من عمله وقال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما
نوى ولا بد للعبد من خالص النية في كل حركة وسكون لانه اذا لم يكن بهذا
المعنى يكون غافلا والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال ان هم الا كالانعام بل هم
اضل سبيلا وقال اولئك هم الغافلون ثم النية تبدو من القلب على قدر صفاء
المعرفة وتختلف على حسب اختلاف الاوقات في معنى قوته وضعفه وصاحب
النية الخالصة نفسه وهواه معه مقهوران تحت سلطان تعظيم الله
والحياء منه وهو من طبعه وشهوته ومنيته نفسه منه في تعب والناس
منه في راحة **فصل** واما الاخلاص فهو تجريد النية عن الشوب فالاعلى
ارادة وجهه تعالى ويعرف بالتفكر في صفاته وافعاله والمناجاة ثم ارادة
نفع الاخرة فهو حظ النفس وورد في حقيقته ان تقول ربي الله ثم تستقيم
كما امرت تعمل لله لا تحب ان تحمد عليه قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال الا الذين تابوا
واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وعن امير المؤمنين عليه السلام
قال طوبى لمن اخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم
ينس ذكر الله بما تسمع اذناه ولم يحزن صدره بما اعطى غيره وعن الباقر عليه
السلام قال ما اخلص عبد الايمان بالله اربعين يوما او قال ما اجمل عبد
ذكر الله اربعين يوما الا زهده الله في الدنيا وبصره داءها ودواءها و
اثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن الصادق عليه السلام في قول
الله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا قال ليس يعني اكثركم عملا ولكن اصوبكم
عملا وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة ثم قال الابقاء على العمل

حتى يخلص اشد من العمل والعمل الخالص الذي لا تريد ان يحمدك عليه
احد الا الله عز وجل والنية افضل من العمل الا وان النية هو العمل ثم
تلا قوله عز وجل قل كل يعمل على شاكلته يعني على نيته والطريق الى الاخلاص
كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للاخرة بحيث يغلب ذلك
على القلب وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله
تعالى ويكون فيها مغرورا لانه لا يدري وجه الافة فيه كما حكي عن بعضهم
انه قال قضيت صلوة ثلثين سنة كنت صليتها في المسجد جماعة في الصف
الاول لاني تاخرت يوما لعذر فصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة
من الناس حيث راوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في
الصف الاول كان يسرني وكان استراحة قلبي من ذلك من حيث لا اشعر
وهذا دقيق غامض وقلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له والغافلون
عنه يرون حسناتهم في الاخرة كلها سيات ويبدو لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون ويبدو لهم سيات ما عملوا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد
مضت الاشارة الى امثال ذلك في باب ذم الغرور **فصل** اعلم انه قد ثبت
اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه مع
ان سفره ليس خالصا للحج والوجه فيه ان التجارة تعرض للرزق وهو ايضا
عبادة كما مضى بيانه وقد عرفت ان نية الخيرات المتعددة موجبة لتضاعف
الثواب بحسبها وليس الامر كما ظن ان التاجر انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه
الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا
ثواب فيه مهما قصد تجارة ولا كما ظن انه مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان
غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب نعم اذا كان

التجارة للجمع والادخار من غير حاجة فلا يبعد ان يقال ذلك وكذا اذا انضم
الى قصد الحج قصد التفرج والتوحش عن الاهل انضماما غير مستقل و
نحوه اذا انضم الى نية الصوم قصد الحمية والى نية الوضوء التبرد والى نية
العتق سوء الخلق والخلاص عن المؤنة الى غير ذلك اذا لم تكن المنضمات
مستقلة واما ما لا يضر بالاخلاص من انواع الرئاء وغيره فقد مر الكلام
فيه في باب الرئاء والكبر فلا وجه لاعادته **فصل** في مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام الاخلاص يجمع حواصل الاعمال وهو معنى مفتاحه
القبول وتوقيعه الرضا فمن يتقبل الله منه ورضي عنه فهو المخلص وان قل
عمله ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وان كثر عمله اعتبارا بآدم عليه السلام
وابليس وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحاب مع اصابة علم
كل حركة وسكون والمخلص ذائب روحه وباذل مهجته في تقويم ما به العلم
والاعمال والعامل والمعمول بالعمل لانه اذا ادرك ذلك فقد ادرك الكل واذا
فاته ذلك فاته الكل وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد كما قال الاول
هلك العاملون الا العابدون وهلك العابدون الا العالمون وهلك
العالمون الا الصادقون وهلك الصادقون الا المخلصون وهلك المخلصون
الا المتقون وهلك المتقون الا الموقنون وان الموقنين لعلى خطر عظيم
قال الله تعالى لنبيه واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وادنى حد الاخلاص
بذل العبد طاقته ثم لا يجعل لعمله عند الله قدرا فيوجب به على ربه مكافاة
بعمله لعلمه انه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز وادنى مقام المخلص في
الدنيا السلامة من جميع الآثام وفي الاخرة النجاة من النار والفوز بالجنة
الباب الثاني في الطهارة والنظافة قال الله سبحانه فيه رجال يحبون

فواصل

ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج ولكن يريد ليطهركم وقال النبي صلى الله عليه وآله الطهور
نصف الايمان وقال مفتاح الصلوة الطهور وقال بني الدين على النظافة
وقال صلى الله عليه وآله ان الله يبغض العبد القاذورة وقال من اتخذ ثوبا فلينظفه
وقال امير المؤمنين عليه السلام النظيف من الثياب يذهب الهم والحزن و
هو طهور للصلوة فيتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر ان الايمان اهم
بعمارة القلوب والسرائر وان المراد بقوله صلى الله عليه وآله الطهور
نصف الايمان والنصف الآخر عمارة الباطن بالاعمال الصالحة والاخلاق
الحميدة فالطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر من الاحداث و
الاخباث والفضلات والثانية تطهير الجوارح من الجرائم والآثام والتبعات
والثالثة تطهير القلب من مساوي الاخلاق ورذائلها والرابعة تطهير
السر عما سوى الله جل وعلا وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة
في كل رتبة نصف العمل الذي فيها وهذه مقامات الايمان ولكل مقام
طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة
فلا يصل الى طهارة السر عما سوى الله وعمارته بمعرفة الله وانكشاف جلاله
وعظمته سبحانه ما لم يفرغ عن طهارة القلب من الخلق المذموم وعمارته
بالمحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح من المناهي وعمارتها
بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت
عقباته ولا تظن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت
بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة
الاولى التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيه

ويستقصي في مجاريه والباطن خراب مشحون بخبايث الكبر والعجب و
الجهل والرياء والنفاق ينبغي للعاقل ان يتذكر بتخليه لقضاء الحاجة نقصه
وحاجته وما يشتمل عليه من الاقذار وباستراحة نفسه عند اخراجها و
سكون قلبه من دنسها وصلاحيته للوقوف على بساط الخدمة والتاهل
للمناجاة هوان الدنيا ومصير عواقب شهواتها ولذاتها ونعيمها وفي
مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام سمي المستراح مستراحا لاستراحة
النفوس من اثقال النجاسات واستفراغ الكثافات والقذر فيها والمؤمن
يعتبر عندها ان الخالص من حطام الدنيا كذلك يصير عاقبته فيستريح
بالعدول عنها وتركها ويفرغ نفسه وقلبه عن شغلها ويستنكف عن
جمعها واخذها استنكافه عن النجاسة والغائط والقذر ويتفكر في
نفسه المكرمة في حال كيف تصير ذليلة في حال ويعلم ان التمسك بالقناعة
والتقوى يورث له راحة الدارين فان الراحة في هوان الدنيا والفراغ من
التمتع بها وفي ازالة النجاسة من الحرام والشبهة فيغلق عن نفسه باب
الكبر بعد معرفته اياها ويفر من الذنوب ويفتح باب التواضع والندم والحياء
ويجتهد في اداء اوامره واجتناب نواهيه طلبا لحسن المآب وطيب الزلف
ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات الى ان يتصل
بامان الله في دار القرار ويذوق طعم رضاه فان المعول ذلك وما عداه لا شيء
فصل عن النبي صلى الله عليه واله انه قال ان افواهكم طرق القران
فطيبوها بالسواك وقال صلى الله عليه واله صلوة على اثر السواك افضل من
خمس وسبعين صلوة بغير سواك وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
قال النبي صلى الله عليه واله السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وجعلها

من سننه المؤكدة وفيها منافع للظاهر والباطن ما لا يحصى لمن عقل و
كما تزيل ما تلوث من اسنانك من مطعمك ومأكلك بالسواك كذلك فازل
نجاسة ذنوبك بالتضرع والخشوع والتهجد والاستغفار بالاسحار وطهر
باطنك وظاهرك من كدورات المخالفات وركوب المناهي كلها خالصا لله
فان النبي صلى الله عليه واله اراد باستعماله مثلا لاهل اليقظة وهو ان
السواك نبات لطيف نظيف وغصن شجر عذب مبارك والاسنان خلق خلقه
الله تعالى في الفم الة واداة للمضغ وسببا لاشتهاء الطعام واصلاح المعدة
وهي جوهرة صافية تتلوث بصحبة تمضيغ الطعام وتتغير بها رائحة الفم
ويتولد منها الفساد في الدماغ فاذا استاك المؤمن الفطن بالنبات اللطيف
ومسحها على الجوهرة الصافية ازال عنها الفساد والتغير وعادت الى اصلها
كذلك خلق الله القلب طاهرا صافيا وجعل غذاءه الذكر والفكر والهيبة
والتعظيم واذا شيب القلب الصافي في معدته بالغفلة والكدر صقل بمصقلة
التوبة ونظف بماء الانابة ليعود الى حالته الاولى وجوهريته الاصلية الصافية
قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وان النبي صلى الله
عليه واله امرنا بالسواك لظاهر الاسنان واراد به هذا المعنى المثل ومن اناخ
تفكره على باب العبرة في استخراج مثل هذه الامثال في الاصل والفرع
فتح الله له عيون الحكمة والمزيد من فضل الله والله لا يضيع اجر المحسنين
فصل قال النبي صلى الله عليه واله من توضأ فذكر اسم الله طهر جميع جسده
وكان الوضوء الى الوضوء كفارة لما بينهما من الذنوب ومن لم يسم لم يطهر من
جسده الا ما اصابه الماء وقال الصادق عليه السلام من ذكر اسم الله على
وضوئه فكانما اغتسل وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اذا اردت

الطهارة والوضوء متقدم الى الماء تقدمك الى رحمة الله فان الله تعالى
قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ودليلا الى بساط خدمته وكما ان
رحمته تطهر ذنوب العباد كذلك نجاسات الظاهر يطهرها الماء لا غيره
قال الله تعالى وهو الذي ارسل الرياح بشرى بين يدي رحمته وانزلنا من
السماء ماء طهورا وقال عز وجل وجعلنا من الماء كل شيء حي فكما احيى به
كل شيء من نعيم الدنيا كذلك بفضله ورحمته حياة القلوب بالطاعة و
تفكر في صفاء الماء ورقته وطهوره وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء
وفي كل شيء واستعمله في تطهير الاعضاء التي امرك الله بتطهيرها وآت
بادابها وفرايضه وسننه فان تحت كل واحدة منها فوايد كثيرة اذا استعملتها
بالحرمة انفجرت لك عين فوايده عن قريب ثم عاشر خلق الله تعالى كامتزاج الماء
بالاشياء تؤدي كل شيء حقه ولا تتغير عن معناه معتبرا لقول رسول الله
صلى الله عليه وآله مثل المؤمن الخاص كمثل الماء ولتكن صفوتك مع الله
تعالى في جميع طاعاتك كصفوة الماء حين انزله من السماء وسماه طهورا و
طهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء وقال الرضا
عليه السلام انما امر بالوضوء ليكون العبد طاهرا اذا قام بين يدي الجبار
عند مناجاته اياه مطيعا له فيما امره نقيا من الادناس والنجاسة مع ما فيه
من ذهاب الكسل وطرد النعاس وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار ولما
وجب على الوجه واليدين والراس والرجلين لان العبد اذا قام بين يدي
الجبار فانما ينكشف من جوارحه ويظهر ما يوجب فيه الوضوء وذلك انه بوجهه
يسجد ويخضع وبيده يسال ويرغب ويرهب ويتبتل وبراسه يستقبله في
ركوعه وسجوده وبرجليه يقوم ويقعد وامر بالغسل من الجنابة دون الخلاء

لان الجنابة من نفس الانسان وهو شيء يخرج من جميع جسده والخلاء ليس
هو من نفس الانسان انما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب وفي رواية
اخرى عنه عليه السلام قال وعلة التخفيف في البول والغايط انه اكثر و
ادوم من الجنابة فرضي فيه بالوضوء لكثرته ومشقته ومجيئه بغير ارادة
منه ولا شهوة والجنابة لا يكون الا بالاستلذاذ منهم والاكراه لانفسهم

فصل قال بعض اصحابنا ما ملخصه ان الدنيا والاخرة ضرتان كلما
قربت من احديهما بعدت عن الاخرى فلذلك امر العبد بتطهير الاعضاء
الظاهرة الدنيوية عند الاشتغال بعبادة الله تعالى والاقبال عليه فامر
في الوضوء بغسل الوجه الذي فيه اكثر الحواس الظاهرة التي هي اعظم الاسباب
الباعثة على مطالب الدنيا ليتوجه ويقبل بوجه القلب على الله وهو خال
من تلك الادناس ثم امر بغسل اليدين لمباشرتهما اكثر الامور الدنيوية و
المشتهيات الطبيعية المانعة من الاقبال على الاخرة ثم بمسح الرجلين لان
بهما يتوصل الى مطالبه ويتوسل الى تحصيل مآربه فيطهرها جميعا ليسوغ
له الدخول بها في العبادة والاقبال عليها وامر في الغسل بغسل جميع البشرة لان
ادنى حالات الانسان واشدها تعلقا بالملكات الشهوية حالة الوقاع و
موجبات الغسل ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة ولهذا قال رسول الله
صلى الله عليه وآله تحت كل شعرة جنابة فحيث كان جميع بدنه بعيدا عن
المرتبة العلية منغمسا في اللذات الدنية كان غسله اجمع من اهم المطالب
الشرعية ليتاهل لمقابلة الجهة الشريفة والدخول في العبادة المنيفة و
امر في التيمم بمسح الاعضاء بالتراب عند تعذر غسلها بالماء وضعا لتلك
الاعضاء الرئيسة وهضما لها بتلقيها باثر التربة الخسيسة قال ولما كان

للقلب من ذلك الحظ الاوفر والنصيب الاكمل كان الاشتغال بتطهيره من
الرذايل والتوجهات المانعة من درك الفضايل اولى من تطهير الاعضا
الظاهرة عندنا للبيب العاقل واذا لم يمكن تطهيره من الاخلاق الرذيلة و
تحليته بالاوصاف الجميلة فليقمه مقام الهضم والازدراء ويقفه ببساط
الذل والاغضاء عسى ان يطلع عليه مولاه الرحيم وسيده الكريم وهو
منكسر متواضع فيهبه نفحة من نفحات نوره اللامع فانه عند المنكسرة
قلوبهم كما ورد في الاثر فرق من هذه الاشارات الى ما يوجب لك الاقبال
ولا في سالف الاهمال **فصل** قال امير المؤمنين عليه السلام نعم
البيت الحمام يذكر فيه النار ويذهب بالدرن وفيه اشارة الى انه ينبغي
للعاقل ان لا يغفل عن ذكر الاخرة في لحظاته فانها مصيره ومستقره فيكون
له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة وموعظة فان نظر الى ظلمة
تذكر ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر افاعي جهنم وان سمع صوتا هايلا
تذكر نفخة الصور وان راى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد
او قبول تذكر ما ينكشف له في اخر امره بعد الحساب من الرد والقبول الى غير
ذلك والحمام اشبه شيء بجهنم النار من تحت والظلام من فوق فينبغي ان
يتذكر حر النار بحرارته ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة وينقيه
الى جهنم ويستعيذ بالله منها قال الصادق عليه السلام فاذا دخلت البيت
الثالث فقل نعوذ بالله من النار ونسأله الجنة ترددها الى وقت خروجك
من البيت الحار **الباب الثالث** في الصلوة والذكر قال الله عز وجل والذين هم
في صلوتهم خاشعون وقال فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون
ذمهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلين لا لانهم سهوا عنها وتركوها

وقال سبحانه اقم الصلوة لذكري وقال ولا تكن من الغافلين وقال
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فيه تنبيه على سكر
الدنيا اذ بين فيه العلة وقال النبي صلى الله عليه واله من صلى ركعتين
لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال
انما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع وتباؤس وتندم وتقنع تمد يديك و
تقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وقال اذا صليت صلوة فرض
فصل لوقتها صلوة مودع تخاف ان لا تعود فيها وقال صلى الله عليه واله لا
ينظر الله الى صلوة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وعن الصادق عليه السلام
من قبل الله منه صلوة واحدة لم يعذبه ومن قبل منه حسنة لم يعذبه
وروى ان ابرهيم الخليل كان يسمع تاوهه على حد ميل وكان في صلوته
يسمع له ازيز كازيز المرجل وكذلك كان يسمع من صدر سيدنا رسول الله صلى
الله عليه واله مثل ذلك وقال بعض ازواجه كان النبي صلى الله عليه واله
يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وكان امير
المؤمنين عليه السلام اذا اخذ في الوضوء يتغير وجهه من خيفة الله وكان
عليه السلام اذا حضر وقت الصلوة يتزلزل ويتلون فقيل له ما لك يا امير
المؤمنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها وكانت فاطمة عليها السلام تنهج في الصلوة
من خيفة الله وكان الحسن عليه السلام اذا فرغ من وضوئه تغير لونه فقيل
له في ذلك فقال حق على من اراد ان يدخل على ذي العرش ان يتغير لونه وروى
مثل هذا عن السجاد عليه السلام وعنه عليه السلام انه كان اذا توضأ
اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون

بين يدي من اريد ان اقوم قيل ورايته عليه السلام يصلي فسقط رداؤه
عن منكبه فلم يسوه حتى فرغ من صلوته فسالته عن ذلك فقال ويحك
اتدري بين يدي من كنت ان العبد لا يقبل منه صلوة الا ما اقبل منها
فقلت جعلت فداك هلكنا قال كلا ان الله يتم ذلك بالنوافل وعن الصادق
عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليهما السلام اذا قام الى الصلوة تغير
لونه واذا سجد لم يرفع راسه حتى يرفض عرقا وعنه عليه السلام قال كان
ابي يقول كان علي بن الحسين اذا قام الى الصلوة كانه ساق شجرة لا يتحرك منه
الا ما حركت الريح منه وعنه عليه السلام انه سئل عن حالة لحقته في
الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد
هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة
قدرته قيل وكان لسان الامام عليه السلام في تلك الحال كشجرة طور
حين قالت اني انا الله وعنه عليه السلام قال لا يجتمع الرغبة والرهبة
في قلب الا وجبت له الجنة فاذا صليت فاقبل بوجهك على الله عز وجل فانه
ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله في صلوته ودعائه الا اقبل الله عليه
بقلوب المؤمنين وايده مع مودتهم اياه بالجنة وعن الباقر عليه السلام
قال ان العبد ليرفع له من صلوته نصفها وثلثها وربعها وخمسها فما يرفع
له الا ما اقبل عليها بقلبه وانما امروا بالنوافل ليتم لهم ما نقصوا من الفريضة

فصل ان قيل المستفاد من هذه الايات والاخبار ان صلوة من يغفل
عما يقول فيها ويفعل ليست مقبولة الا بقدر ما اقبل عليه منها والفقهاء
لم يشترطوا الا حضور القلب عند التكبير والتوجه فكيف التوفيق وايضا
فان المصلي في صلوته ودعائه مناج ربه كما هو معلوم وقد ورد في الخبر

ايضا ولا شك ان الكلام مع الغفلة ليس بمناجاة والكلام اعراب عما في
الضمير ولا يصح الاعراب عما في الضمير الا بحضور القلب فاي سؤال في قوله
اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا ولا شك ان المقصود من
القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى
وقلب العبد بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن
المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلوة
التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان بها
هذا حكم القراءة والذكر واما الركوع والسجود فالمقصود التعظيم بهما قطعا
والتعظيم كيف يجتمع مع الغفلة واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا
مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم
يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على ساير العبادات
ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص فاعلم ان بين القبول والاجزاء فرقا
فان المقبول من العبادة ما يترتب عليه الثواب في الاخرة ويقرب الى الله
زلفى والاجزاء ما يسقط التكليف عن العبد وان لم يثب عليه والناس
مختلفون في تحمل التكليف فالتكليف انما هو بقدر وصلة الخلق وطاقتهم
في سعتهم وقصورهم فلا يمكن ان يشترط عليهم جميعا احضار القلب
في جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط
الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم
ولو في اللحظة الواحدة واولى اللحظات به لحظة التكبير والتوجه فاقتصر
على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته
مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب

لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلوته باطلة عند الله
ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره وقد ذكرنا في باب العقائد
في الفرق بين العلم الباطن والظاهر ان قصور الخلق احد الاسباب المانعة
عن التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع وحاصل الكلام ان حضور
القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به الروح الحضور عند التكبير
فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في اجزاء الصلوة
وكم من حي لا حراك به قريب من الميت فصلوة الغافل في جميعها الا عند
التكبير حي لا حراك به **فصل** اعلم ان المعاني الباطنة التي بها تتم حيوة
الصلوة يجمعها ستة جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة
والرجاء والحياء فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ القلب عن غير ما هو
ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا
يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في
قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عنه فقد حصل حضور القلب ثم التفهم
لمعنى الكلام وهو امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ و
لا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو
الذي اردنا بالتفهم وهذا مقام يتفاوت فيه الناس اذ ليس يشترك الناس
في تفهم المعاني للقران والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها
المصلي في اثناء الصلوة ولم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك ومن هذا الوجه
كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع
من الفحشاء والمنكر لا محالة ثم التعظيم وهو امر وراء حضور القلب والتفهم
اذ الرجل ربما يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا

يكون

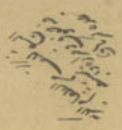
يكون معظما له ثم الهيبة وهي زايدة على التعظيم اذ هي عبارة عن خوف
منشاؤه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا ثم كل خوف لا يسمى مهابة بل
الهيبة خوف مصدره الاجلال ثم الرجاء فالعبد ينبغي ان يكون راجيا
بصلوته ثواب الله كما انه خائف بتقصيره عقاب الله ثم الحياء ومستنده
استشعار تقصير وتوهم ذنب ولنذكر اسباب هذه المعاني الستة
فاعلم ان حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمك فلا يحضر الا فيما
يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شاء ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر فيه و
القلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة
مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف
الهمة الى الصلوة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب
بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الاخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة
اليه فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهانتها حصل
من مجموعهما حضور القلب في الصلوة واما التفهم فسببه بعد حضور
القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج
احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لرفع الخواطر الشاغلة وعلاج
دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تجذب الخواطر
اليها وما لم ينقطع تلك المواد لا ينصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر ذكره
فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ولذلك ترى من احب غير الله لا يصفو
له صلوة عن الخواطر واما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين احديهما
معرفة جلال الله وعظمته وهي من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا
تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا

مستمرا امر يوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم يمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا ينتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الامن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليه واما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والاخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء من المصائب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع وبالجملة كلما ازداد العلم بالله ازدادت الخشية والهيبة واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطايف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة واما الحياء فباستشعار التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وافاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع افعاله مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع على السريرة وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء

فصل اعلم ان المومن لا بد ان يكون معظما لله وخائفا منه وراجيا ومستحيا من تقصيره فلا ينفك من هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا يلهي

عن الصلوة الا الخواطر الردية الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تجر منه الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافكار ثم يصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن الضعيف لا بد ان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره ويحترز من الصلوة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزونه موضع السجود كما ورد الامر به ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم واما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تشعبت الهموم به في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرؤه ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الاخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله تعالى وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن افكاره بهذا الدواء فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب

لا شك في انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمة بشهواته فليعاقب
نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن
صلوته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه
فيتخلص عنه باخراجه ولا يغني غير ذلك فان ما ذكرناه من التلطف بالتسكين
والرد الى فهم الذكر انما ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل
الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين
بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وينقضي جميع صلوتك في شغل
المجاذبة ومثاله مثال رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات
العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود الى فكره
فيعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني
ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت
وتفرعت اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار
وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب
اب ولاجله سمي ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو
العبد عنها ويجمعها اصل واحد هو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة
واساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى
مال الى شيء منها لا ليتزود منها ويستعين بها على الاخرة فلا يطمعن في
ان يصفو له لذة المناجاة في الصلوة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله ومناجاته
وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة اليها
همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة و
تقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدواء ولمرارته استبشعه الطباع وبقيت



العلة

العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين
لا يحدثون انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا عنه فاذن لا مطمع فيه
لامثالنا وليته سلم لنا من الصلوة شطرها او ثلثها عن الوسواس لنكون
ممن خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الاخرة في
القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملو بخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء
يخرج الخل لا محالة ولا يجتمعان **فصل** اذا سمعت نداء المؤذن فاحضر
في قلبك هول النداء يوم القيمة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة و
المسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم
العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح و
الاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه ياتيك النداء بالبشرى و
الفوز يوم القضاء ولذلك قال النبي صلى الله عليه واله ارحنا يا بلال اي
ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كانت قرة عينه فيها واعتبر بفصول الاذان و
كلماته كيف افتتحت بالله واختتمت بالله واعتبر بذلك ان الله جل جلاله هو
الاول والاخر والظاهر والباطن ووطن قلبك بتعظيمه عند سماع التكبير و
استحقر الدنيا وما فيها لئلا تكون كاذبا في تكبيرك وانف عن خاطرك كل
معبود سواه بسماع التهليل واحضر النبي صلى الله عليه واله وتادب بين
يديه واشهد له بالرسالة مخلصا وصل عليه واله وحرك نفسك واسع بقلبك
وقالبك عند الدعاء الى الصلوة وما يوجب الفلاح وما هو خير الاعمال وجدد
عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه واختم بذكره كما افتتحت به واجعل
مبداك منه وعودك اليه وقوامك به واعتمادك على حوله وقوته فانه لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم **فصل** اذا اتيت بالطهارة في مكانك

وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهو غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهي
قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو فؤادك وهو قلبك فاجتهد له
تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل
فطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك قال الصادق عليه السلام
وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء وقد مضى تمام
الخبر في باب الطهارة ثم اذا استرت مقابح بدنك عن ابصار الخلق باللباس
فاخطر ببالك فضائح سرك التي لا يطلع عليها الا ربك وطالب نفسك بسترها
وتحقق انه لا يسترها عن عين الله ساتر وانما يكفرها الندم والحياء والخوف
فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما
فتذل بهما نفسك وتستكين تحت الخجلة وتقوم بين يدي الله تعالى قيام
العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الحياء و
الخوف وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام ازين اللباس للمؤمنين
لباس التقوى وانعمه الايمان قال الله عز وجل ولباس التقوى ذلك خير واما
اللباس الظاهر فنعمة من الله يستر بها عورات بني ادم وهي كرامة اكرم الله بها
عباده ذرية ادم ما لم يكرم بها غيرهم وهي للمؤمنين آلة لاداء ما افترض
الله عليهم وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله بل يقربك من شكره و
ذكره وطاعته ولا يحملك الى العجب والرياء والتزين والمفاخرة والخيلاء فانها
من آفات الدين ومورثة القسوة في القلب واذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله
عليك ذنوبك برحمته والبس باطنك بالصدق كما البست ظاهرك بثوبك
وليكن باطنك في ستر الرهبة وظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل الله
عز وجل حيث خلق اسباب اللباس لستر العورات الظاهرة وفتح ابواب التوبة

والانابة لتستر بها عورات الباطن من الذنوب واخلاق السوء ولا
تفضح احدا حيث ستر الله عليك اعظم منه واشتغل بعيب نفسك
فان نسيان الذنوب من اعظم عقوبة الله تعالى في العاجل واوفر اسباب
العقوبة في الآجل وما دام العبد مشتغلا بطاعة الله ومعرفة عيوب
نفسه وترك ما يشين في دين الله فهو بمعزل من الآفات خائض في بحر رحمة الله
يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان وما دام ناسيا لذنوبه جاهلا بعيوبه
راجعا الى حوله وقوته لا يفلح اذا ابدا **فصل** وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام اذا بلغت باب المسجد فاعلم انك قصدت ملكا
عظيما لا يطأ بساطه الا المطهرون ولا يؤذن لمجالسته الا الصديقون وهب
القدوم الى بساط خدمته هيبة الملك فانك على خطر عظيم ان غفلت واعلم
انه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك فان عطف عليك بفضله
ورحمته قبل منك يسير الطاعة واجزل لك عليها ثوابا كثيرا وان طالبك باستحقاقه
الصدق والاخلاص عدلا بك حجبك ورد طاعتك وان كثرت وهو فعال
لما يريد واعترف بعجزك وتقصيرك وفقرك بين يديه فانك قد توجهت للعبادة
له والموانسة به واعرض اسرارك عليه ولتعلم انه لا يخفى عليه اسرار الخلائق
اجمعين وعلانيتهم وكن كافقر عباده بين يديه واخل قلبك من كل شاغل يحجبك
عن ربك فانه لا يقبل الا الاطهر والاخلص فانظر من اي ديوان يخرج اسمك فان
ذقت من حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطباته وشربت بكاس رحمته وكراماته من
حسن اقباله عليك واجابته فقد صلحت لخدمته فادخل فلك الاذن والامان
والا فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل وقصر عنه الامل وقضي الاجل
واذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء اليه نظر اليك بعين الرأفة والرحمة و

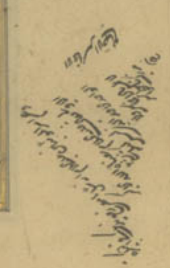
واصفح عما لا يعنيك حاله وامره واحذر ان يفني عمرك بعمل غيرك ويتجر براس مالك غيرك وتهلك نفسك

والعطف ووفقك لما يحبه ويرضى فانه كريم يحب الكرامة لعباده المضطرين
اليه المحترقين على بابه لطلب مرضاته قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه
فصل واما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن ساير الجهات الى
جهة بيت الله افترى ان صرف القلب من ساير الامور الى امر الله ليس مطلوبا
منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن و
ضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها
اذا بغت وظلمت في حركاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن
وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى
جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله تعالى الا بالتفرغ
عما سوى الله تعالى وقد قال النبي صلى الله عليه واله اذا قام العبد الى الصلوة
وكان هواه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته امه وقال صلى الله عليه واله
اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وهذا نهي
عن الالتفات عن الله وملاحظة عظمته في حال الصلوة فان الملتفت يمينا
وشمالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة انواره ومن كان كذلك فيوشك
ان يدوم تلك الغفلة عليه فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلة عقله
للامور العلوية وعدم فهمه للعلوم الطاهرة وفي مصباح الشريعة قال الصادق
عليه السلام اذا استقبلت القبلة فآيس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم
فيه واستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله تعالى وعاين بسرك عظمة
الله واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله
مولاهم الحق وقف على قدم الخوف والرجاء فصل واما القيام فهو مثول
بالشخص والقلب بين يدي الله فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا

متطا

متطاطا متنكسا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع
والتذلل والتبري عن الترأس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر المقام
بين يدي الله في هول المطلع عند العرض للسؤال واعلم في الحال انك قائم
بين يدي الله وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك
الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلوتك
انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب ان
يعرفك بالصلاح فانه تهدا عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع
اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست
من نفسك التماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها
انك تدعين معرفة الله وحبه افلا تستحيين من اجترائك عليه مع توقيرك
عبدا من عباده او تخشين الناس ولا تخشينه وهو احق ان تخشي سئل النبي
صلى الله عليه واله كيف الحياء من الله فقال تستحيي منه كما تستحيي من الرجل
الصالح من اهلك فصل اذا توجهت التكبيرات فاستحضر عظمة الله سبحانه
وصغر نفسك وخسة عباداتك في جنب عظمته وانحطاط همتك عن القيام
بوظايف خدمته واستتمام حقايق عبادته وتفكر عند قولك اللهم انت الملك
الحق في عظيم ملكه وعموم قدرته واستيلائه على جميع العوالم ثم ارجع الى
نفسك بالذل والانكسار والاعتراف بالذنوب والاستغفار عند قولك عملت سوءا
وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت واحضر دعوته لك بالقيام بهذه
الخدمة ومثل نفسك بين يديه وانه قريب منك يجيب دعوة الداعي اذا دعاه ويسمع ندائك
وان بيده خير الدنيا والاخرة لا بيد غيره عند قولك لبيك وسعديك والخير في يديك
ونزهه من الظلم والشر وابلغ بها محض الهداية والارشاد عند قولك والشر ليس

اليك والمهدي من هديت واعترف لله بالعبودية وان قوام وجودك وبدؤه
ومعاده منه بقولك عبدك وابن عبديك منك وبك ولك واليك اي
منك وجوده وبك قوامه ولك ملكه واليك معاده وهو الذي يبدأ الخلق
ثم يعيده فاحضر في ذهنك هذه الحقايق وترق منها الى ما يفتح عليك من
الاسرار والدقايق وتلق الفيض من العالم الاعلى **فصل** واما النية فاعزم
على اجابة الله تعالى في امتثال امره بالصلوة واتمامها والكف عن نواقضها و
مفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفا من عقابه و
طلبا للقربة منه متقلدا المنة باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك وكثرة
عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي
وعند هذا ينبغي ان تعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرايصك من الهيبة
ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فمعناه ان الله سبحانه اكبر من كل شيء
او اكبر من ان يوصف او ان يدرك بالحواس او يقاس بالناس فاذا نطق به لسانك
فينبغي ان لا يكذبه قلبك وان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد
انك كاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم ان النبي
صلى الله عليه واله رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله وانت
اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون الله اكبر كلاما
باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا
التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله وعفوه وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام اذا كبرت فاستصغر ما بين العلى والثرى دون كبريائه
فان الله تعالى اذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة
تكبيره قال يا كاذب اتخدعني وعزتي وجلالي لاحرمنك حلاوة ذكري ولاحجبنك



عن قربي والمسارة بمناجاتي فاعتبر انت قلبك حين صلوتك فان كنت تجد حلاوتها
وفي نفسك سرورها وبهجتها وقلبك مسرور بمناجاته ملتذا بخطاباته فاعلم
انه قد صدقك في تكبيرك له والا فقد عرفت من سلب لذة المناجاة وحرمان حلاوة
العبادة انه دليل على تكذيب الله لك وطردك عن بابه **فصل** واما دعاء
الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفا مسلما وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة
القبلة والله سبحانه مقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك
عليه وانما وجه القلب هو الذي يتوجه به الى فاطر السموات والارض فانظر
اليه امتوجه هو الى امانيه وهمه في البيت والسوق ويتبع الشهوات ام
مقبل على فاطر السموات والارض واياك ان يكون اول مفاتحتك للمناجاة
بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله الا بانصرافه عما سواه فاجتهد
في الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام ليكون قولك في الحال صدقا
واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون
من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال
وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك
الشرك الخفي فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه احدا نزل فيمن قصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن مشفقا من
هذا الشرك واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من
المشركين من غير براءة من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير
منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود
بسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحيوة

وهيبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملايا للحال فصل واذا قلت
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك
عن الله حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة
واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبدله
بما يحب الله لا بمجرد قولك وان من قصده سبع او عدو ليفترسه او يقتله
فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ان ذلك لا
ينفعه بل لا يعيذه الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب
الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على
التعوذ بحصن الله عز وجل من شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال تعالى
لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود له سوى الله فاما من اتخذ الهه
هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله واعلم ان من مكايده ان
يشغلك في الصلوة بفكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات لتمتنع عن فهم ما تقرا فاعلم
ان كل ما يشغلك عن معاني القران فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة
بل المقصود المعاني واما القراءة فالناس فيها ثلثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل
ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه
من غيره وهو درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني ولا ثم يخدم
اللسان قلبه فيترجمه ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب ويكون معلم
القلب والمقربون السنتهم ترجمان تتبع القلب فصل واذا قلت بسم الله
الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة بكلام الله وافهم ان معناه
ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الامور
بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى

من غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكره لا من حيث انه مسخر من الله ففي
تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم
فاحضر في قلبك انواع لطفه ليتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم
استشعر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين اما العظمة
فلانه لا ملك الا له واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه
ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من
الحول والقوة بقولك اياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا
باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته وخدمك لعبادته وجعلك اهلا
لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا
فرغت عن التعويض بقولك بسم الله وعن التحميد وعن اظهار الحاجة الى الاعانة
مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم
الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا
واستشهادا بالذين انعم عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود
والنصارى والصابئين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه ان تكون ممن قال
الله تعالى فيهم بما اخبر عنه النبي صلى الله عليه واله قسمت الصلوة بيني
وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب
فيقول الله حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى
اخره فان لم يكن من صلوتك حظ سوى ذكر الله في جلاله وعظمته فناهيك به
غنيمة فكيف ما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقراه من السورة
كما ياتي في باب تلاوة القران فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده ووعيده و

مواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه فلكل واحد حق فالرجاء حق
الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة
والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء ويكون هذه المعاني بحسب
درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات
ذلك لا تنحصر والصلوة مفتاح القلوب فيها ينكشف اسرار الكلمات فهذا
حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم تراعي الهيئة في القراءة
فترتل ولا تسرد ولا تعجل فان ذلك ايسر للتامل وتفرق بين نغماتك في اية
الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتمجيد والتعظيم كان بعضهم اذا مر
بمثل قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يغض صوته
كالمستحيي عن ان يذكره بكل شيء ويقال لصاحب القران اقرأ وارق فكلما قرأ
اية صعد درجة فصل واما دوام القيام فهو تنبيه على اقامة القلب
مع الله على نعت واحد من الحضور قال النبي صلى الله عليه واله ان الله مقبل
على المصلي ما لم يلتفت وكما يجب حراسة الراس والعين عن الالتفات الى
الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلوة فان التفت
الى غيرها فذكره باطلاع الله عليك وقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي
ليعود اليه والزم الخشوع القلب فان الخلاص عن الالتفات ظاهرا وباطنا
ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه واله وقد
راى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية
بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب و
الجوارح وكل ذلك تقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من ابناء الدنيا فكيف
لا تتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن يطمئن بين

يدي غير الله خاشعا او يضطرب اطرافه بين يدي الله فذلك لقصور
معرفته عن جلال الله وعن اطلاعه على سره وضميره وتدبر قوله تعالى الذي
يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين فصل واما الركوع فينبغي ان
تجدد عنده ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيرا بعفو الله من عقابه و
متبعا سنة نبيه ثم تستانف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في
ترقيق قلبك وتجدد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك و
علو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد
له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار
ثم ترفع عن ركوعك راجيا انه راحم ذلك وتؤكد الرجاء في نفسك بقولك
سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي
للمزيد فيقول الحمد لله رب العالمين ثم تزيد في الخشوع والتذلل فيقول اهل
الكبرياء والعظمة والجود والجبروت وعن امير المومنين عليه السلام انه سئل
عن معنى مد العنق في الركوع فقال تاويله امنت بك ولو ضربت عنقي وفي
مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام لا يركع عبد لله ركوعا على الحقيقة
الا زينه الله بنور بهائه واظله في ظلال كبريائه وكساه كسوة اصفيائه والركوع
اول والسجود ثان فمن اتى بمعنى الاول صلح للثاني وفي الركوع ادب وفي السجود
قرب ومن لا يحسن الادب لا يصلح للقرب فاركع ركوع خاضع لله بقلبه متذلل
وجل تحت سلطانه خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة
الراكعين وحكي ان ربيع بن خثيم كان يسهر بالليل الى الفجر في ركعة واحدة فاذا
هو اصبح تزفر وقال اه سبق المخلصون وقطع بنا واستوف ركوعك باستواء
ظهرك وانحط عن همتك في القيام بخدمته الا بعونه وفر بالقلب من وساوس

الشيطان وخدايعه ومكايده فان الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له
ويهديهم الى اصول التواضع والخشوع والخضوع بقدر اطلاع عظمته
على سرايرهم **فصل** ثم تهوي الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة
فمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك ان
لا تجعل بينهما حاجزا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخضوع وادل على
الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها موضعها و
رددت الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا
جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى واكثر بالتكرار فان المرة
الواحدة ضعيفة الاثار فان رق قلبك وظهر لك فليصدق رجاؤك في
رحمة ربك فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر
فارفع راسك مكبرا او سائلا الى حاجتك ومستغفرا من ذنوبك ثم اكد
التواضع بالتكرار وعد الى السجود ثانيا كذلك وعن امير المؤمنين عليه السلام
انه سئل ما معنى السجدة الاولى قال تاويلها اللهم انك منها خلقتنا يعني
من الارض وتاويل رفع راسك ومنها اخرجتنا والسجدة الثانية واليها تعيدنا
ورفع راسك ومنها تخرجنا تارة اخرى وفي مصباح الشريعة قال الصادق
عليه السلام ما خسر والله من اتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرة واحدة
وما افلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال شبيها بمخادع نفسه غافلا لاهيا عما اعد
الله للساجدين من انس العاجل وراحة الاجل ولا بعد عن الله ابدا من احسن تقربه
في السجود ولا قرب اليه ابدا من اساء ادبه وضيع حرمته بتعلق قلبه بسواه
في حال سجوده فاسجد سجود متواضع لله ذليل علم انه خلق من تراب تطاه الخلق و
انه ركب من نطفة يستقذرها كل احد وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب

اليه بالقلب والسر والروح فمن قرب منه بعد من غيره الا ترى في الظاهر
انه لا يستوي حال السجود الا بالتواري من جميع الاشياء والاحتجاب عن
كل ما تراه العيون كذلك امر الباطن فمن كان قلبه متعلقا في صلوته بشيء دون
الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه في صلوته
قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقال رسول الله صلى
الله عليه واله قال الله تعالى لا اطلع على قلب عبد فاعلم فيه حب الاخلاص
لطاعتي وجهي وابتغاء مرضاتي الا توليت تقويمه وسياسته ومن اشتغل في
صلوته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين
فصل واذا جلست للتشهد بعد هذه الافعال الدقيقة والاسرار العميقة
المشتملة على الاخطار الجسيمة فاستشعر الخوف التام والرهبة والحياء
والوجل ان يكون جميع ما سلف منك غير واقع على وجهه فاجعل يديك
صفرا من فوائدهما الا ان يتداركك الله برحمته ويقبل عملك الناقص بفضله
وارجع الى مبدا الامر واصل الدين واستمسك بكلمة التوحيد وحصن الله
الذي من دخله كان امنا ان لم يكن حصل في يدك غيره واشهد له بالوحدانية
واحضر رسوله الكريم ونبيه العظيم صلى الله عليه واله ببالك واشهد
له بالعبودية والرسالة وصل عليه وعلى اله مجددا عهد الله باعادة كلمتي
الشهادة متعرضا بها لتاسيس مراتب العبادة فانهما اول الوسايل واساس
الفواضل مترقبا لاجابته صلى الله عليه واله بصلوتك عشرا من صلوته اذا
تمت بحقيقة صلوتك عليه التي لو وصل اليك منها واحدة افلحت ابدا
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام التشهد ثناء على الله فكن
عبدا له في السر خاضعا له في الفعل كما انك له عبد في القول والدعوى

وصل صدق لسانك بصفاء سرك فانه خلقك عبدا وامرك ان تعبده
بقلبك ولسانك وجوارحك وان تحقق عبوديتك له بربوبيته لك وتعلم
ان نواصي الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظة الا بقدرته ومشيته و
هم عاجزون عن اتيان اقل شيء في مملكته الا باذنه وارادته قال فاستعمل
العبودية في الرضا بحكمته وبالعبادة في اداء اوامره وقد امرك بالصلوة على
نبيه محمد صلى الله عليه وآله فاوصل صلوته بصلوته وطاعته بطاعته
وشهادته بشهادته وانظر ان لا تفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة
صلوته **فصل** واذا فرغت من التشهد فاحضر نفسك بحضرة سيد المرسلين
والملائكة المقربين وبقية انبياء الله وائمته عليهم السلام والحفظة لك
من الملائكة المحصين لاعمالك واحضرهم جميعا في بالك وقل السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته ولا تطلق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور المخاطب
في ذهنك فتكون من العابثين واللاعبين وكيف تسمع الخطاب بل لا تقصد
لولا فضل الله تعالى ورحمته الشاملة ورافته الكاملة في اجترائه بذلك
عن اصل الواجب ولكان بعيدا عن درجات القبول منحطا عن اوج القرب
والوصول وان كنت اماما لقوم فاقصدهم بالسلام مع من تقدم من المقصودين
وليقصدوا هم الرد عليك ايضا ثم يقصدوا مقصدك بسلام ثان فاذا
فعلتم ذلك فقد اديتم وظيفة السلام واستحققتم من الله مزيد الاكرام
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام معنى السلام في دبر كل صلوة
الامان من ادى امر الله وسنة نبيه خالصا لله خاشعا قلبه الامان من
بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الآخرة والسلام اسم من اسماء الله تعالى اودعه خلقه
ليستعملوا معناه في المعاملات والامانات والانصافات وتصديق مصاحبتهم

فيما بينهم وصحة معاشرتهم وان اردت ان تضع السلام موضعه و
تؤدي معناه فاتق الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ان لا تدنسها
بظلمة المعاصي وليسلم حفظتك ان لا تبرمهم وتملهم وتوحشهم
منك بسوء معاملتك معهم ثم صديقك ثم عدوك فان لم يسلم منه
من هو الاقرب اليه فالابعد اولى ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا
سلام ولا اسلام ولا تسليم وكان كاذبا في سلامه وان افشاه في الخلق
فصل اعلم ان تخليص الصلوة عن الآفات واخلاصها لوجه الله واداءها
بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول
انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح للعلوم الباطنة قال الله تعالى قد
افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلوة
مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلوة فقال
في اخرها والذين هم على صلوتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات
اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فوصفهم
بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس اخرا وقال النبي صلى الله عليه وآله اذا قام
العبد المؤمن في صلوته نظر الله اليه او قال اقبل الله عليه حتى ينصرف و
اظلته الرحمة من فوق راسه الى افق السماء ووكل الله به ملكا قائما على راسه
يقول ايها المصلي لو تعلم من ينظر اليك ومن تناجي ما التفت ولا زلت من
موضعك ابدا **فصل** وتختص صلوة الجمعة باستحضار ان يومها يوم عظيم
وعيد شريف خص الله به هذه الامة وجعله وقتا شريفا للعبادة ليقربهم
فيه من جواره ويبعدهم من طرده وناره وحثهم فيه على الاقبال بصالح
الاعمال وتلافي ما فرط منهم في بقية الاسبوع من الاهمال وجعل الله

مايقع فيه من طاعته ومايوجب الزلفى لديه صلوة الجمعة وعبر عنها
في محكم كتابه الكريم بذكر الله وخصها من بين ساير الصلوات التي هي افضل
القربات بالذكر فقال سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم
الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفي
هذه الاية الشريفة من التنبيهات والتاكيدات ماينبه له من له حظ من
المعاني ومن اهم رموزها التعبير عن الصلوة بذكر الله فانه منبه بهذا على ان
الغرض الاقصى من الصلوة ذكر الله بالقلب واحضار عظمته بالبال فان هذا
واشباهه هو السر في كون الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر وهذا انما
يتم مع التوجه التام الى الله وملاحظة جلاله الذي هو الذكر الاكبر والكثير
على ماورد في بعض التفسير فضلا عن ان يكون ذكرا مطلقا فلا جرم وجب
الاهتمام به زيادة على غيرها من الصلوات والتهيوء والاستعداد للقاء
الله والوقوف بين يديه والمثول في حضرته والفوز بمخاطبته بعد الاتيان
بمقدمات الصلوة من وظايف اليوم من التنظيف والتطيب والتعمم
وحلق الراس وقص الشارب والاظفار وغير ذلك من السنن بقلب مقبل صاف
وعمل مخلص ونية خالصة كما تعمل ذلك في لقاء ملك الدنيا ولا يقصد بهذه
الوظايف حظك من الرفاهية فتحسن صفقتك ويظهر بعد ذلك حسرتك وكلما
امكنك تكثير المطالب التي يترتب عليه الثواب بعملك فاقصدها بضاعف
ثواب عملك ان يقصدها ان امكنك ذلك **فصل** واما صلوة العيدين
فاحضر في قلبك انها في يوم قسمة الجواير وتفرقة الرحمة وافاضة المواهب
على من قبل صومه وقربانه وقام بوظايفهما فاكثر من الخشوع في صلوتك و
الابتهال الى الله تعالى فيها وقبلها وبعدها في قبول اعمالك والعفو عن

تقصيرك

تقصيرك واستشعر الحياء والخجلة من حيرة الرد وخذلان الطرد فليس ذلك
اليوم بعيد من لبس الجديد وانما هو عيد من امن الوعيد وسلم من النقاش
والتهديد واستحق بصالح اعماله المزيد فاستقبله بما استقبلت به يوم
الجمعة من الوظايف واسباب التهيوء للاقبال بالقلب على ربك والوقوف
بين يديه عسى ان تصلح للمناجاة والخضوع لديه ولا تجعل فرحك فيه بما لم
تخلق لاجله من متاع الدنيا بل بكثرة عوايد الله فيه على من عامله بمتاجر الاخرة
فصل واما الايات فاستحضر عندها اهوال الاخرة وزلازلها وتكوير
الشمس والقمر وظلمة القيامة ووجل الخلايق وخوفهم من الاخذ والنكال
والعقوبة والاستيصال فاكثر من الدعاء والابتهال بمزيد الخضوع والخشوع و
الخوف والوجل في النجاة من تلك الشدايد وعود النور بعد الظلمة والمسامحة
على الهفوة والزلة وتب الى الله من ذنوبك واحسن التوبة عسى ان ينظر
اليك وانت منكسر النفس مطرق الراس مستحيي من التقصير فيقبل توبتك و
يسامح هفوتك قال السجاد عليه السلام لا يفزع للايتين ولا يرهب الا من كان
من شيعتنا فاذا كان ذلك منهما فافزعوا الى الله وراجعوه وقال الرضا عليه السلام
انما جعلت للكسوف صلوة لانه من ايات الله تعالى لا يدرى الرحمة ظهرت ام
لعذاب فاحب النبي صلى الله عليه واله ان يفزع امته الى خالقها وراحمها
عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويقيهم مكروهها كما صرف عن قوم يونس حين
تضرعوا الى الله عز وجل **فصل** ينبغي للمصلي ان يعقب فرايضه بالذكر والدعاء
فقد ورد في فضايلهما ولا سيما عقيب الصلوات ما لا يحصى اما الذكر فالنافع
منه هو الذكر على الدوام او في اكثر الاوقات مع حضور القلب وهو غاية ثمرة
العبادات وللذكر اول واخر فاوله يوجب الانس والحب واخره يوجبه الانس والحب

والمطلوب منه ذلك الانس فان العبد في بداية الامر يكون متكلفا بصرف
قلبه ولسانه عن الوساوس الى ذكر الله تعالى فان وفق للمداومة انس به و
انغرس في قلبه حب المذكور ومن احب شيئا اكثر ذكره ومن اكثر ذكر شي و
ان كان متكلفا احبه ثم اذا احصل الانس بذكر الله انقطع عن غير الله و
ماسوى الله يفارقه عند الموت ولا يبقى الا ذكر الله فان كان قد انس به تمتع
به وتلذذ بانقطاع العوايق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحيوة
تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت عايق فكانه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت
غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه وهذا الانس
يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقا
واما الدعا فهو مخ العبادة كما ورد في الحديث النبوي وعن الباقر عليه السلم
في قوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين قال
هو الدعا وافضل العبادة الدعا وقال في قوله سبحانه ان ابرهيم لاواه
حليم قال الاواه هو الدعا وسئل عليه السلام اي العبادة افضل فقال
ما من شي افضل عند الله من ان يسال ويطلب ما عنده وما من احد ابغض
الى الله ممن يستكبر عن عبادته ولا يسئل ما عنده وقال امير المومنين عليه السلام
احب الاعمال الى الله تعالى في الارض الدعا وكان عليه السلام رجلا دعاء و
قال عليه السلام الدعا مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح وخير الدعا ما صدر
عن صدر نقي وقلب تقي وفي المناجات سبب النجاة وبالاخلاص يكون الخلاص
فاذا اشتد الفزع فالى الله المفزع وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم
احفظ ادب الدعا وانظر من تدعو وكيف تدعو ولماذا تدعو وحقق عظمة الله
وكبرياء وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرك وما يكن فيه من

الحق والباطل واعرف طريق نجاتك وهلاكك كيلا تدعو الله بشي منه هلاكك
وانت تظن ان فيه نجاتك قال الله تعالى ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان
الانسان عجولا وتفكر ماذا تسال ولماذا تسال والدعاء استجابة الكل منك
للحق وتذويب المهجة في مشاهدة الرب وترك الاختيار جميعا وتسليم الامور
كلها ظاهرها وباطنها الى الله فان لم تات بشرط الدعا فلا تنتظر الاجابة فانه
يعلم السر واخفى فلعلك تدعوه بشي قد علم من نيتك بخلاف ذلك واعلم
انه لو لم يكن امرنا الله بالدعاء لكنه اذا اخلصنا الدعا تفضل علينا بالاجابة
فكيف وقد ضمن ذلك لمن اتى بشرايط الدعاء قال فاذا اتيت بما ذكرت لك من
شرايط الدعا واخلصت سرك لوجهه فابشر باحدى ثلثة اما ان يعجل لك بما
سالته واما يدخر لك ما هو اعظم منه واما ان يصرف عنك من البلاء ما ان لو
ارسله عليك لهلكت وروى عن الصادق عليه السلام انه قرا امن يجيب المضطر
اذا دعاه فسئل ما لنا ندعو ولا يستجيب لنا فقال لانكم تدعون من لا تعرفونه و
تسئلون ما لا تفهمونه فالاضطرار عين الدين وكثرة الدعا مع العمى عن الله
من علامة الخذلان من لا يعرف ذلة نفسه وقلبه وسره تحت قدرة الله
حكم على الله بالسؤال وظن ان سؤاله دعاء والحكم على الله من الجراة على الله م

الباب الرابع في تلاوة القران قال النبي صلى الله عليه واله القران هدى
من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء
من الاحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ
من الدنيا الى الاخرة وفيه كمال دينكم وما عدل احد عن القران الا الى النار و
قال صلى الله عليه واله انا اول وافد على العزيز الجبار يوم القيمة وكتابه و
اهل بيتي ثم امتي ثم اسالهم ما فعلتم بكتاب الله واهل بيتي وقال امير المومنين

صلوات الله عليه في وصاياه لابنه محمد بن الحنفية وعليك بتلاوة
القرآن والعمل به ولزوم فرايضه وشرايعه وحلاله وحرامه وامره ونهيه
والتهجد به وتلاوته في ليلك ونهارك فانه عهد من الله تبارك وتعالى الى
خلقه فهو واجب على كل مسلم ان ينظر كل يوم في عهده ولو خمسين اية
واعلم ان درجات الجنة على قدر ايات القرآن فاذا كان يوم القيمة يقال
لقارئ القرآن اقرا وارق فلا يكون في الجنة بعد النبيين والصديقين ارفع
درجة منه وعن الباقر عليه السلام يجيء القرآن في احسن منظور اليه صورة
فيمر بالمسلمين فيقولون هذا رجل منا فيجاوزهم الى الملائكة المقربين فيقولون
هو منا حتى ينتهي الى رب العزة جل وعز فيقول يا رب فلان بن فلان اظمات
هواجره واسهرت ليله في دار الدنيا وفلان بن فلان لم اظما هواجره ولم
اسهر ليله فيقول الله تعالى ادخلهم الجنة على منازلهم فيقوم فيتبعونه
فيقول للمؤمن اقرا وارقه قال فيقرا ويرقى حتى يبلغ كل رجل منهم منزلته
التي هي له فينزلها وعن النبي صلى الله عليه واله ما يقرب منه معرباته
وعن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله اقرأوا القرآن
بالحان العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق والكباير فانه سيجيء بعدي
اقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم
مقلوبة وقلوب من يعجبه شانهم وعنه عليه السلام انه سئل عن قول الله
عز وجل ورتل القرآن ترتيلا قال امير المؤمنين عليه السلام تبينه تبيانا ولا
تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن افزعوا قلوبكم القاسية ولا يكن هم احدكم
اخر السورة وفي رواية اخرى قال الترتيل هو حفظ الوقوف وبيان الحروف وعن
الصادق عليه السلام هو ان تتمكث وتحسن به صوتك وعنه عليه السلام

قال القرآن نزل بالحزن فاقرأوه بالحزن وعن النبي صلى الله عليه واله اتلوا
القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن الصادق عليه السلام قال قال النبي
صلى الله عليه واله لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن وعنه
عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليه السلام احسن الناس صوتا بالقرآن
وكان السقاؤن يمرون فيقفون ببابه يسمعون قراءته **فصل** في مصباح
الشريعة قال الصادق عليه السلام من قرا القرآن ولم يخضع له ولم يرق قلبه
ولم ينشئ حزنا ووجلا في سره فقد استهان بعظم شان الله وخسر خسرانا
مبينا فقارئ القرآن يحتاج الى ثلثة اشياء قلب خاشع وبدن فارغ وموضع
خال فاذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان الرجيم قال الله تعالى فاذا قرات
القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم واذا تفرغ نفسه من الاسباب
تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوايده واذا اتخذ
مجلسا خاليا واعتزل من الخلق بعد ان اتى بالخصلتين الاولتين استانس روحه
وسره بالله ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين وعلم لطفه بهم
ومقام اختصاصه لهم بقبول كراماته وبدايع اشاراته فاذا شرب كاسا
من هذا المشرب حينئذ لا يختار على ذلك الحال حالا ولا على ذلك الوقت وقتا
بل يؤثره على كل طاعة وعبادة لان فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة فانظر
كيف تقرا كتاب ربك ومنشور ولايتك وكيف تجيب اوامره ونواهيه وكيف
تمتثل حدوده فانه كتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد فرتله ترتيلا وقف عند وعده ووعيده وتفكر في امثاله
ومواعظه واحذر ان يقع من اقامتك حروفه في اضاعة حدوده **فصل**
ينبغي لنا الى القرآن من امور باطنيه منها فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله

تعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه فلينظر
كيف لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قايمة بذاته الى
افهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي
صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله الا بوسيلة
صفات نفسه ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع
الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشي ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات
نوره ولولا تثبيت الله موسى عليه السلام لما اطاق سماع كلامه كما لم
يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا وهذا كما ان الناس لما ارادوا ان
يفهموا بعض الدواب والطيور ما يريدون من تقديمها وتاخيرها واقبالها و
ادبارها وراوا الدواب تقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انوار
عقولهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه نزلوا الى درجة تمييز البهائم
واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم باصوات يضعونها لائقة بهم من النقر
والصفير والاصوات القريبة من اصواتهم التي يطيقون حملها وكما ان اجسام
البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تكرم وتشرف للحكمة التي فيها
والكلام عالي المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل
وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يامر وينهى ولا طاقة للباطل ان
يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع الشمس ولا
طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء
عين الشمس ولكنهم ينالون من عين الشمس ما تحيى به ابصارهم ويستدلون
به على حوائجهم فقط **فصل** ومنها التعظيم للمتكلم فالقاري عند
البداية بتلاوة القران ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما

يقراه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلامه غاية الخطر فانه تعالى قال
لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن
ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله
محجوب عن باطن القلب الا اذا كان منقطعا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم
والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل
لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ومنها حضور القلب وترك حديث النفس
وهذا يتولد من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستانس
ولا يغفل عنه ففي القران ما يستانس به القلب ان كان التالي اهلا له فكيف
يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات
لا يتفكر في غيرها ومنها التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في
غير القران ولكنه يقتصر على سماع القران من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود
من القراءة التدبر قال الله تعالى افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها و
لذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر يمكن من التدبر في الباطن قال
امير المؤمنين عليه السلام لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر
فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بالترديد فليردده وعن ابي ذر رضي الله عنه
قال قام بنا رسول الله صلى الله عليه واله فقام ليلة باية يرددها ان
تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم **فصل**
ومنها التفهم وهو ان يستوضح من كل اية ما يليق بها اذ القران يشتمل
على ذكر صفات الله تعالى وذكر افعاله وذكر احوال انبيائه وذكر احوال المكذبين
لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار اما صفات
الله فكقوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام

المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتأمل معاني هذه الصفات والأسماء
لينكشف له اسرارها فتحتها معان مدفونة لا ينكشف الا للموفقين واليه
اشار امير المؤمنين عليه السلام بقوله ما اسر الي رسول الله صلى الله
عليه وآله شيئا اكتمه عن الناس الا ان يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه
فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم واما افعاله فكذكره خلق السموات
والارض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله اذ الفعل يدل على
الفاعل فيدل عظمته على عظمته فينبغي ان يشهد في الفعل الفاعل دون
الفعل فمن عرف الحق راه في كل شيء اذ كل شيء منه واليه وبه وله ومن لا يراه
في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا الله باطل و
ان كل شيء هالك الا وجهه واما احوال الانبياء فاذا سمع منها كيف كذبوا
وضربوا وقتلوا فليفهم منه صفة الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسل
اليهم لو اهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه واذا سمع نصرتهم في اخر الامر
فليفهم قدرة الله وارادته لنصرة الحق واما احوال المكذبين كعاد وثمود وما
جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن
حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر بما امهل فربما
يدركه النقمة وينفذ فيه القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار
وساير ما في القران فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لان ذلك لا نهاية له و
انما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين فصل
ومنها التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القران لاسباب
وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القران قال
النبي صلى الله عليه وآله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم

لنظروا الى الملكوت ومعاني القران من جملة الملكوت لا بما انما تدرك
بنور البصيرة دون الحواس وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الفهم
منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان
وكل بالقران ليصرف الناس عن فهم معاني كلام الله ولا يزال يحملهم
على ترديد الحروف يخيل اليهم انه لم يخرج عن مخرجه فهذا يكون تامله
مقصورا على مخارج الحروف فاني ينكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان
من كان مطيعا له بمثل هذا التلبيس ثانيها ان يكون مقلدا لمذهب سمعه
بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير
وصول اليها ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قد قيده معتقده عن ان يجاوزه
فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من
المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر
هذا ببالك وهو خلاف معتقد ابائك ثالثها ان يكون مصرا على ذنب او
متصفا بكبر او مبتلى على الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب
وصداه وهو كالخبث على المرآة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله اذا عظمت
امتي الدنيا والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا
بركة الوحي وقد شرط الله الانابة في الفهم والتذكر قال تبصرة وذكرى لكل
عبد منيب وقال وما يتذكر الا من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب والذي
اثر غرور الدنيا على نعيم الاخرة فليس من ذوي الالباب فلذلك لا ينكشف له اسرار
الكتاب رابعها ان يكون قد قرا تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات
القران الا ما تناوله النقل وان ما وراء ذلك تفسير بالراي وان من فسر القران
برايه فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يدري ما معنى التفسير بالراي و

لا يفهم معنى قول امير المؤمنين عليه السلام الا ان يؤتي الله العبد فهما
في القرآن وانه لو كان هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه **فصل**
ومنها التخصص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القرآن فان سمع
امرا او نهيا قدر انه هو المامور والمنهي وان سمع وعدا او وعيدا فكمثل ذلك
وان سمع قصص الاولين علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود الاعتبار
واخذ ما يحتاج اليه فما من قصة في القرآن الا وسياقها الفائدة في حق النبي و
امته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد ان الله يثبت
فؤاده بما يقصه عليه من احوال الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين
لانتظار نصر الله وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما انزل على رسول الله خاصة
بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك امر الله الكافة بشكر نعمة
الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة
وقال ولقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وانزلنا اليك الكتاب لتبين
للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم هذا بصائر للناس
وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين
واذا قصد بالخطاب جميع الناس قصد الاحاد فهذا الواحد القارئ مقصود
فما له ولساير الناس فليقدر انه المقصود قال بعض الحكماء هذا القرآن رسائل
اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات
وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعة **فصل** ومنها التأثر وهو ان يتأثر
قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال
ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيرها ومهما
تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات

القرآن

القرآن فلا ترى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن
نيلها كقوله تعالى واني لغفار ثم اتبع ذلك باربعة شروط لمن تاب و
امن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربع شرايط
وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين
فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من اوله الى اخره ومن
فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قيل ما اصبح اليوم
عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه
وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته فتأثر العبد بالتلاوة ان
يصير بصفة الاية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل
من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كانه
يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطاطا خضوعا لجلاله و
استشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله تعالى كذكرهم
لله ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالهم و
عند وصف الجنة ينبعث باطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد
فرايصه خوفا منها فالقرآن انما يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب
للعمل به والا فالمؤنة بتحريك اللسان بحروفه خفيفة بل التالي باللسان المعرض
عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة
ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وبقوله تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها و
كذلك اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر يقال
انه نسي الامر وتلاوة القرآن حق تلاوته ان يشترك فيها اللسان والعقل

والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني
وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والايتمار فاللسان يرتل والعقل
مترجم والقلب متعظ **فصل** ومنها الترقي واعني به ان يترقى الى
ان يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراءة ثلث ادناها ان
يقدر العبد كانه يقرأه على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع
منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال
ثم ان يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه
فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم ثم ان يرى في الكلام المتكلم وفي
الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به
من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر
عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما
قبله من درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن
الدرجة العليا اخبر الصادق عليه السلام فقال والله لقد تجلى الله
لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في
الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد
هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته
وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء
كنت اقرأ القران فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله صلى الله
عليه واله يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه
من جبرئيل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه واله ثم جاء الله
تعالى بمنزلة اخرى فانا الان اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت لذة ونعيما لا اصبر عنه

فصل ومنها التبري واعني به ان يتبرى عن حوله وقوته والالتفات
الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا ايات الوعد والمدح للصالحين فلا
يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق
ان يلحقه الله بهم واذا تلا ايات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه
هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا والى هذا اشار امير المؤمنين عليه السلام
في الخطبة التي يصف فيها المتقين بقوله واذا مروا باية فيها تخويف اصغوا
اليها مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم في اذانهم فاذا راى نفسه بصورة
التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف
له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراءها ومن شهد القرب
في البعد مكر به بالامن الذي يفضيه الى درجة الاخرى في البعد اسفل مما هو
ومهما كان شاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه واذا جاوز حد
الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت بحسب
احواله فحيث يتلو ايات الرحمة ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له
صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف
بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله يشتمل على السهل اللطيف
والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة و
اللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب
القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر
يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا و
المسموع مختلف اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم
وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل **الباب الخامس**

في الزكوة والمعروف قال الله تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقال
النبي صلى الله عليه واله اذا منعت الزكوة منعت الارض بركاتها وقال
الباقر عليه السلام ان الله تعالى قرن الزكوة بالصلوة قال واقيموا الصلوة و
اتوا الزكوة فمن اقام الصلوة ولم يؤت الزكوة فلم يقم الصلوة وقال
الصادق عليه السلام ما فرض الله على هذه الامة شيئا اشد عليهم من
الزكوة وفيها تهلك عامتهم وقال من منع قيراطا من الزكوة فليس بمؤمن و
لا مسلم وهو قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت وقال
عليه السلام ما من ذي مال ذهب او فضة يمنع زكوة ماله الا حبسه الله
يوم القيمة بقاع قرقر وسلط عليه شجاعا اقرع يريده وهو يحيد عنه فاذا
رأى انه لا يتخلص منه امكنه من يده فقضمها كما يقضم الفحل ثم يصير
طوقا في عنقه وذلك قول الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وما
من ذي مال ابل او غنم او بقر يمنع زكوة ماله الا حبسه الله يوم القيمة بقاع
قرقر يطاه كل ذات ظلف بظلفها وينهشه كل ذات ناب بنابها وما من ذي مال
نخل او كرم او زرع يمنع زكوتها الا طوقه الله ربعة ارضه الى سبع ارضين
الى يوم القيمة وقال عليه السلام انما وضعت الزكوة اختبارا للاغنياء و
معونة للفقراء ولو ان الناس ادوا زكوة اموالهم ما بقي مسلم فقيرا محتاجا
ولاستغنى بما فرض الله له وان الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا
عروا الا بذنوب الاغنياء وحقيق على الله ان يمنع رحمته من منع حق الله في
ماله واقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق انه ما ضاع مال في بر ولا بحر
الا بترك الزكوة وما صيد صيد في بر ولا بحر الا بتركه التسبيح في ذلك اليوم
وان احب الناس الى الله تعالى اسخاهم كفا واسخى الناس من ادى زكوة ماله ولم

يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله وفي رواية قال ان الله حسب
الاموال والمساكين فوجد ما يكفيهم من كل الف خمسة وعشرين درهما ولو لم
يكفهم لزادهم وقال عليه السلام ان الزكوة ليس يحمد بها صاحبها و
انما هو شيء ظاهر انما حقن بها دمه وسمي مسلما ولو لم يؤدها لم يقبل
له صلوة وان عليكم في اموالكم غير الزكوة فقيل اصلحك الله وما علينا في
اموالنا غير الزكوة فقال سبحان الله اما تسمع الله تعالى يقول في كتابه وفي
اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم قيل فما ذا الحق المعلوم الذي علينا قال
هو والله الشيء يعلمه الرجل في ماله يعطيه في اليوم او في الجمعة او في
الشهر قل او كثر غير انه يدوم عليه وقوله تعالى ويمنعون الماعون قال هو القرض
يقرضه والمعروف يصنعه ومتاع البيت يعيره ومنه الزكوة فقيل ان لنا
جيرانا اذا اعرناهم متاعا كسروه وافسدوه فعلينا جناح ان نمنعهم فقال لا
ليس عليك جناح ان تمنعهم اذا كانوا كذلك قيل يطعمون الطعام على حبه
مسكينا ويتيما واسيرا قال ليس من الزكوة قيل قوله تعالى ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية قال ليس من الزكوة قيل ان تبدوا الصدقات فنعما
هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال ليس من الزكوة وقال عليه السلام
انما اعطاكم الله هذه الفضول من الاموال لتوجهوها حيث وجهها الله
عز وجل ولم يعطكموها لتكنزوها وسئل عليه السلام في كم تجب الزكوة من
المال فقال اما الظاهرة ففي كل الف خمسة وعشرون واما الباطنة فلا تستاثر
على اخيك بما هو احوج منك فصل المعروف هو الانفاق على النفس و
العيال ثم صلة من تجب صلته ثم الحق المعلوم الذي يفرضه في ماله ثم كل
صدقة على فقير او مرقة اليه او الى غني بالضيافة والهدية والاعانة ونحوها

جلبا للخير او دفعا للشر دنيين او دينويين سائغين شرعا وايصال نفع
عام ببناء مسجد ونحوه او خاص كارشاد الضال والتعليم وقربان المراة للتعفف
والعدل وقضاء حاجة المومن وانظار المعسر والتحليل ما القرض والحمل على
الدابة وطيب الكلام والخطوة الى الصلوة والتوسيع على العيال والتبسم
في وجه اخيه واعارة المتاع واطراق الفحل وغير ذلك وقد يسمى الكل اما الصدقة
سوى المروات وورد كل معروف صدقة والبر يشمل الجميع وربما يخص بما سوى
الصدقه وورد البر والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان
عن صاحبهما سبعين ميتة سوء وورد صنايع المعروف تقي مصارع السوء
وشرط الانفاق القوام قال الله عز وجل والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما وعن الصادق عليه السلام انه تلا هذه الاية فاخذ
قبضة من حصى وقبضها بيده فقال هذه الاقتار الذي ذكره الله في كتابه ثم
اخذ قبضة اخرى فارخى كفه كلها ثم قال هذا الاسراف ثم اخذ قبضة اخرى
فارخى بعضها وامسك بعضها وقال هذا القوام ولا باس للرجل اذا امسك
ماله مراقبا لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات ان يكون قصده في الادخار
الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه
البر مهما ظهر وجوهه قال النبي صلى الله عليه واله افضل الصدقة صدقة
عن ظهر غنى يعني ما يكون بعد الغنى والمونة لئلا يكون القلب متعلقا بما يعطي
وقال افضل الصدقة صدقة تكون عن فضل الكف يعني عما يفضل عن
الكفاف يعني على اقتناء ما يكف به فصل اعلم ان السر في ايجاب الزكوة
وانفاق المال امتحان العبد وفيه ثلثة معان الاول ان التلفظ بكلمتي الشهادة
التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء بذلك ان لا يبقى

للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد
باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال
محبوبة عند الخلق لانها الة تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون بهذا العالم
ويفرون عن الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في
المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك
قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة والمعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال النبي صلى
الله عليه واله ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
وقال الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانما تزول صفة
البخل بان يتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته
حتى يصير ذلك اعتيادا فالانفاق بهذا المعنى يطهر صاحبه من خبث البخل
المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه
الى الله تعالى والمعنى الثالث شكر النعمة فان لله على عبده نعمة في نفسه وماله
فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما احسن
من ينظر الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه
بان يودي شكر الله تعالى في اغنائه عن السؤال فصل ينبغي للمنفق ان
يغتنم الفرصة مهما ظهرت داعية الخير من الباطن فان ذلك لمة الملك وقلب
المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان يعد
الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك وان لا يحوج الفقير
الى السوال فورد انه مكافاة لوجهه المبذول وثمن لما اخذ منه وليس
بمعروف وتعيين لغير الموقت وقتا فاضلا كشهر رمضان وسيما عشر اخره

وذی الحجة وسيما عشر اوله والغدير وغيرها فی المستحب بحيث لا يدری
شماله ما يعطی يمينه قال الصادق الصدقة فی السر والله افضل من الصدقة
فی العلانية وكان عليه السلام اذا اعتم وذهب من الليل شطره اخذ
جرابا فيه خبز ولحم والدراهم وحمله علی عنقه ثم ذهب به الی اهل الحاجة
من اهل المدينة فقسمه فيهم ولا يعرفونه فلما مضی عليه السلام فقدوا
ذلك فعلموا انه كان ابا عبد الله عليه السلام ومعنی اعتم صلی العتمة وعن
النبي صلی الله عليه وآله صدقة السر تطفی غضب الرب وقال عليه السلام
كل ما فرض الله عليك فاعلانه افضل من اسراره وكل ما كان تطوعا فاسراره
افضل من اعلانه فلو ان رجلا حمل زكوة ماله علی عاتقه علانية كان ذلك
حسنا جميلا وقال فی قوله عز وجل وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير
لكم قال هی سوی الزكوة وسئل النبي صلی الله عليه وآله ای الصدقة افضل
قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تامل البقاء وتخشی الفاقة ولا تمهل حتی
اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وينبغی ان يستصغر الاعطاء
ليعظم عند الله تعالی وهو يذكر التوفيق والثواب قال الصادق عليه السلام
رايت المعروف لا يصلح الا بثلث خصال تصغيره وستره وتعجيله فانك اذا
صغرته عظمته عند من تصنعه اليه واذا سترته تممته واذا عجلته هناته
وان كان غير ذلك محقته ونكدته ويعطی الاجود والاحب الابعد عن الشبهة
قال الله تعالی ويجعلون لله ما يكرهون وقال لن تنالوا البر حتی تنفقوا مما تحبون
وقال انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث
منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه ای لا تاخذونه الا مع كراهة
وحياء وهو معنی الاغماض فلا تؤثروا به ربكم ولكن يعطيه ان قدر فوردا اذا

اعطيته فاغنه ويقبل يده بعد الاعطاء لانه يقع فی يد الله تعالی اولا قال
امير المؤمنين عليه السلام اذا ناولتم السايل فليرد الذی ناوله يده الی فيه
فيقبلها فان الله عز وجل ياخذ الصدقات وقال رسول الله صلی الله عليه وآله
ما يقع صدقة المؤمن فی يد السايل حتی يقع فی يد الله ثم تلا هذه الاية الم يعلموا
ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات وان الله هو التواب
الرحيم وقال الصادق عليه السلام ان الله تعالی يقول ما من شیء الا وقد وكلت
من يقبضه غيری الا الصدقة فانی اتلقفها بيدی تلقفا حتی ان الرجل ليتصدق
او المراة لتتصدق بالتمرة او بشق تمرة فاربيها له كما يربی الرجل فلوه وفصيله فيلقاني
يوم القيمة وهی مثل جبل احد واعظم من احد وان يلتمس الدعاء من
الاخذ لان دعاءه يستجاب فيه ويصرف الی من يكثر باعطائه الاجر بكونه
متقيا عالما صادقا يری النعمة من الله تعالی ساترا للحاجة محصورا فی سبيل الله
محبوسا فی طريق الاخرة بمرض او عيلة او ضيق معيشة او اصلاح قلب او
سبب من الاسباب ولكن برفع اهل العلم والايمان من الزكوة الواجبة و
الصدقات لانها اوساخ الاموال فكما يحب احدكم ان يغسل يديه ثم يصبه
علی اخيه المؤمن ان وسخ الذنوب اعظم من وسخ البدن فيوسع عليهم
بالهدايا والصلات ويبدا بمن يعول ثم الاقرب فالاقرب والاهم فالاهم
وورد ان افضلها علی ذی الرحم الكاشح يعنی المبغض وكانه لخالفة الهوی
وورد لا صدقة وذو رحم محتاج الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر و
صلة الاخوان بعشرين وصلة الرحم باربعة وعشرين وان يتصدق
فی كل يوم ويباكر بها ليبادر بها البلاء ولا يرد السايل الا اذا طعمه فورد اكرم
السايل ببذل يسير او برد جميل اطعموا ثلثه وان شئتم ان تزدادوا فزدادا

والا فقد اتيتم حق يومكم وان يغتنم السائل سيما فيما رق له القلب فهو
علامة صدق السائل ويحسن الظن بنفسه عند فقده ولا يحتقر ما عنده فورد
لا تستحيوا من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه وورد افضل الصدقة
جهد المقل وان لا يملك ما تصدق به اختيارا او يقسم صدقة الغير فورد
انه احد المعطين ويجتنب المن والاذى قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والمن ان يرى
نفسه محسنا ويعرف بقوة استبعاد جناية القابض بعد العطاء والمحسن
هو القابض لايصاله الى الثواب والانجاء من العقاب وكونه نائبا عنه تعالى
وهو حق الله عز وجل احال عليه الفقير انجازا لما وعده من الرزق والاذى
التعيير والتوبيخ والقول السيء والقطوب والاستخدام وهتك الستر و
الاستخفاف وسببه استكثار العطاء والتكبر على القابض الناشيين
من الجهل برجحان رضاء الله تعالى على خسيس فان ودنيان فضل الفقير
وعن الصادق عليه السلام قال كان امير المؤمنين عليه السلام يقول من
علم ان ما صنع انما صنع الى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم ولم يستزدهم
في مودتهم فلا تلتمس من غيرك شكر ما اتيت الى نفسك ووقيت به عرضك
واعلم ان الطالب اليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فاكرم وجهك عن
رده وعن الباقر عليه السلام انه قيل له الرجل من اصحابنا من يستحيي ان ياخذ
من الزكوة فاعطيه من الزكوة فقال اعطه ولا تسم له ولا تذل المؤمن **فصل**
ينبغي للاخذ ان يعلم ان الله تعالى امر المعطي بصرفه اليه ليكفي مهمته فيتجرد
للعبادة فيشكر الله ويشكر المعطي فيدعو له ويثني عليه مع رؤية النعمة من الله
سبحانه قال النبي صلى الله عليه وآله من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقال

الصادق عليه السلام لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل وما قاطعو
سبيل المعروف قال الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه
من ان يصنع ذلك الى غيره وان كان معروفا كافاه بما يستطيع ولو بالثناء
والقول الجميل فان ضعف كان شكورا ومن شكر كان كريما ويستر عيوب
صاحب العطاء ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع ويعظم عنده
نعمه وعند الناس صنيعه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة لئلا يكون
مشركا فعن الصادق عليه السلام في قول الله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا
وهم مشركون قال هو قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لما اصبت كذا
وكذا ولولا فلان لضاع عيالي الا ترى انه جعل لله شريكا في ملكه يرزقه
ويدفع عنه قيل فيقول لولا ان الله من علي بفلان لهلكت قال نعم لا
باس بهذا ونحوه وان يتوقى مواقع الريبة والشبهة في اصله ومقداره فلا
ياخذ ممن لا يحل ماله ولا الزيادة على قدر الحاجة ولا يسال على رؤس الملاء ممن
يستحيي الرد ويتورع العالم من اخذ الزكوة ما لم يضطر اليه تنزيها للنفس
عن الاوساخ ولان ستر الاخذ بنية انه ابقى لستر المروة وكشف الحاجة والتعفف
واسلم لقلوب الناس والسنتهم من الحسد وسوء الظن والغيبة واعانة للمعطي على
الاسرار وصون لنفسه عن الاذلال وعن شبهة الشركة فان الحضار
شركاؤه فيها او يظهر بنية الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال و
اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبري عن الكبر واقامة سنة
الشكر وغير ذلك فانه يختلف باختلاف النيات والاحوال والاشخاص فليراقب ذلك
فانه موضع الغرور **فصل** ينبغي للمؤمن ان لا يسال الناس من غير حاجة
اضطر اليه بل يستعفف عن السؤال ما استطاع فانه ذل في الدنيا وفقر معجل

وحساب طويل يوم القيمة قال النبي صلى الله عليه وآله يوما لاصحابه الا
تبايعون فقالوا قد بايعناك يا رسول الله قال تبايعون على ان لا تسئلوا الناس
شيئا فكان بعد ذلك يقع المخصرة من يد احدهم فينزل لها ولا يقول لاحد ناولنيها
وقال صلى الله عليه وآله لو ان احدكم يأخذ حبلا فيأتي بحزمة حطب على
ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من ان يسئل وقال من سالنا اعطيناه
ومن استغنى اغناه الله وقال السجاد عليه السلام ضمنت على ربي ان لا
يسال احد احدا من غير حاجة الا اضطرته حاجة المسئلة يوما الى ان يسئل
من حاجة ونظر عليه السلام يوم عرفه الى رجال يسالون فقال هولاء
شرار من خلق الله الناس مقبلون على الناس وقال الباقر عليه السلام
اقسم بالله وهو حق ما فتح رجل على نفسه باب مسئلة الا فتح الله عليه
باب فقر وقال عليه السلام طلب الحوايج الى الناس استسلاب للعزة ومذهبة
للحياء واليأس مما في ايدي الناس عز المؤمن والطمع هو الفقر الحاضر و
قال الصادق عليه السلام شيعتنا من لا يسئل الناس شيئا ولو مات جوعا
وقال عليه السلام لو يعلم السايل ما عليه من الوزر ما سال احد احدا ولو
يعلم المسئول ما عليه اذا منع ما منع احد احدا وقال من سال من غير
حاجة فكانما ياكل الجمر وسال رجل النبي صلى الله عليه وآله فقال اسئلك بوجه
الله فامر النبي صلى الله عليه وآله فضرب خمسة اسواط ثم قال سل بوجهك
اللئيم ولا تسال بوجه الله الكريم فصل اعلم ان للجسد زكوة كما ان في
المال زكوة وهو نقصه لمزيد الخير والبركة اما اضطرارا بان يصاب بآفة او
اختيارا بان يصرف في الطاعة ويمنع عن المعصية فعن الصادق عليه السلام
قال قال النبي صلى الله عليه وآله يوما لاصحابه ملعون كل مال لا يزكى ملعون

كل جسد لا يزكى ولو في كل اربعين يوما مرة قيل له يا رسول الله اما زكوة
المال فقد عرفناها فما زكوة الاجساد فقال لهم ان تصاب بآفة قال
فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه قال فلما رآهم قد تغيرت الوانهم قال
هل تدرون ما عنيت بقولي قالوا لا يا رسول الله قال ان الرجل يخدش
الخدشة وينكب النكبة ويعثر العثرة ويمرض المرضة ويشاك الشوكة
وما اشبه هذا حتى ذكر في حديثه اختلاج العين وفي مصباح الشريعه
قال الصادق عليه السلام على كل جزء من اجزائك زكوة واجبة لله عز
وجل بل على كل منبت شعرك بل على كل لحظة فزكوة العين النظر بالعبرة و
الغض عن الشهوات وما يضاهيها وزكوة الاذن استماع العلم والحكمة
والقرآن وفوايد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك بالاعراض عما
هو ضده من الكذب والغيبة واشباههما وزكوة اللسان النصح للمسلمين و
التيقظ للغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيره وزكوة اليد البذل والسخاء
بما انعم الله به عليك وتحريكها بكتبة العلوم ومنافع ينتفع بها المسلمون
في طاعة الله تعالى والقبض عن الشرور وزكوة الرجل السعي في حقوق الله
من زيارة الصالحين ومجالس الذكر واصلاح الناس وصلة الرحم والجهاد
وما فيه اصلاح قلبك وسلامة دينك هذا ما تحمل القلوب والتقوى
استعماله وما لا يشرف عليه الا عبادة المقربون المخلصون اكثر من ان
يحصى وهم اربابه وهو شعارهم ودثارهم وعن النبي صلى الله عليه وآله
لكل شيء زكوة وزكوة الابدان الصيام

الباب السادس في الصوم

قال الله تعالى
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وقال النبي
صلى الله عليه وآله الصوم جنة من النار وقال الصايم في عبادة وان كان

نايما على فراشه ما لم يغتب مسلما وقال قال الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به
وللصايم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه عز وجل والذي نفس محمد بيده
لخلوف فم الصايم عند الله اطيب من ريح المسك وقال الباقر عليه السلام
بني الاسلام على خمسة اشياء على الصلوة والزكوة والحج والصوم والولاية
وقال الصادق عليه السلام من صام لله عز وجل يوما في شدة الحر فاصابه ظما
وكل الله به الف ملك يمسحون وجهه ويبشرونه حتى اذا افطر قال الله تعالى
ما اطيب ريحك وروحك يا ملايكتي اشهدوا اني قد غفرت له والريح النفس
بالتحريك وقال نوم الصايم عبادة وصمته تسبيح وعمله متقبل ودعاؤه
مستجاب وقال الكاظم عليه السلام قيلوا فان الله تبارك وتعالى يطعم
الصايم ويسقيه في منامه قيل ولو لم يكن في الصوم الا الارتقاء من حضيض
حظوظ النفس البهيمية الى ذروة التشبيه بالملائكة الروحانية لكفى به فضلا
ومنقبة وانما كان الصوم جنة من النار لانه يدفع حر الشهوة والغضب
اللتين بهما اتصلى نار جهنم في باطن الانسان في الدنيا وتبرز له في الاخرة كما ان
الجنة تدفع عن صاحبها حر الحديد وانما قال ما لم يغتب مسلما لان الغيبة اكل
لحم الميتة فهو نوع من الاكل يتقوى به البدن وانما كان الصوم لله وتشرف
بالنسبة الى الله وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة اليه
والارض كلها له لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه
عمل يشاهد وجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرى والصوم لا يعلمه الا الله
فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد خالص لله وجزاؤه من عنده خاصة من غير شائبة
احد غيره والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات وانما
تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال النبي صلى الله عليه واله ان

الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والشهوات
من تبع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون
فلا ينكشف على العبد جلال الله وكان محجوبا عن لقائه قال رسول الله صلى الله
عليه واله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت
السماء وسبب الفرحة عند الافطار اما للخواص فاستشعارهم التوفيق من
الله عز وجل على اتمام الصيام ونيل الاجر واما للعوام فانقضاء المقاساة و
نيل المشتهيات وسبب الفرحة عند لقاء الرب اما للخواص فحصول نور القلب
لهم المستفاد من انكسار قوتي الشهوة والغضب المظلمتين له بالجوع الباعث
لهم ان يعبدوا الله عيانا كانهم يرونه وهو المعني باللقاء وخلوف الفم تغير
وانما صار اطيب عند الله من ريح المسك لانه سبب طيب الروح الذي هو عند
الله من الانسان كما ان بدنه عند نفسه واليه اشير في قوله تعالى ما عندكم
ينفد وما عند الله باق واين طيب الروح من طيب المسك فان الاول عقلي
معنوي والثاني جسماني حسي صوري **فصل** اعلم ان للصوم
ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص
اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة واما صوم الخصوص
فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وساير الجوارح عن الاثام
قال الصادق عليه السلام اذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك و
جلدك وعدّ اشياء غير هذا وقال لا يكون يوم صومك كيوم فطرك وزاد في خبر
اخر ودع المراء واذى الخادم وليكن عليك وقار الصيام فان رسول الله صلى الله عليه
واله سمع امراة تسب جاريتها وهي صايمة فدعا بطعام فقال لها كلي فقالت اني صايمة
فقال كيف تكونين صايمة وقد سببت جاريتك ان الصوم ليس من الطعام والشراب

فقط وعن النبي صلى الله عليه وآله انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صايما
فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صايم اني صايم و
قال صلى الله عليه وآله من اغتاب مسلما بطل صومه ونقض وضوءه
وان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله وقال كم من صايم
ليس من صومه الا الجوع والعطش وقال الصادق عليه السلام ان الكذب
لتفطر الصايم قيل وايّنا لا يكون ذلك منه قال ليس حيث تذهب انما ذلك
الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الائمة عليهم السلام ومعنى بطلان الصوم
بالكذب والغيبة وغيرهما مما لا يعده الفقهاء من المفطرات عدم قبول الصوم
وترتب الثواب عليه دون الاجزاء والخروج عن عهدة التكليف كما مر تحقيقه
في باب الصلوة ولذلك شرطنا ذلك في صوم الخصوص دون العموم ولخصوص
الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه
عما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله
واليوم الاخر وبالفكر في الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك زاد الاخرة و
ليس من الدنيا قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير
ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة
اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين وفي
مقابلها من يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلي فورد ما من وعاء
ابغض الى الله من بطن مليء من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله
وكسر الشهوة اذا تدارك الصايم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه
في الوان الطعام حتى استمرت العادات بان يدخر جميع الاطعمة لشهر رمضان
فيوكل من الاطعمة فيه ما لا يوكل في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم

الجوع

الجوع وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة
النهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات
واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها
كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي
هي وسايل الشيطان في العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو
ان ياكل اكلته التي كان ياكلها كل ليلة لو لم يصم واما اذا جمع ما كان ياكل
ضحوة الى ما كان ياكل ليلا فلم ينتفع بصومه ولا يخف عليه تهجده وليلة القدر
عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت ومن جعل بين قلبه وبين
صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب
حتى يخلو همته عن غير الله تعالى وذلك هو الامر كله ومبدا ذلك تقليل الطعام

فصل في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام قال رسول الله صلى
الله عليه وآله الصوم جنة اي ستر من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الاخرة
فاذا صمت فانو بصومك كف النفس من الشهوات وقطع الهمة عن خطوات
الشيطان فانزل نفسك منزلة المرضى لا تشتهي طعاما وشرابا متوقعا في كل لحظة
شفاءك من مرض الذنوب وطهر باطنك من كل كدر وغفلة وظلمة يقطعك
عن معنى الاخلاص لوجه الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال
الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به فالصوم يميت مراد النفس وشهوة الطبع
وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن والشكر على
النعم والاحسان الى الفقراء وزيادة التضرع والخشوع والبكاء وحبل الالتجاء
الى الله وسبب انكسار الهمة وتخفيف الحساب وتضعيف الحسنات وفيه
من الفوايد ما لا يحصى وكفى بما ذكرناه منبها لمن عقل ووفق لاستعماله

الباب السابع في الحج وزيارة المشاهد قال الله تعالى ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين و
قال النبي صلى الله عليه وآله من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء
نصرانيا وقال الصادق عليه السلام من مات ولم يحج حجة الاسلام لم يمنعه من
ذلك حاجة تجحف به او مرض لا يطيق فيه الحج او سلطان يمنعه فليمت يهوديا
او نصرانيا والاخبار في فضل الحج والعمرة اكثر من ان تحصى وهي مذكورة في
مواضعها مع كيفية اعمالها واما بيان السر فيهما فاعلم انه لا وصول الى الله
تعالى الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات
فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد
الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال واثروا التوحش
عن الخلق لطلب الانس بالله فتركوا اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات
الشاقة طمعا في الاخرة واثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال ورهبانية
ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء مرضات الله وقال ذلك بان منهم
قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على
اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله وفتروا عنها بعث الله تعالى محمدا صلى
الله عليه وآله لاحياء طريق الاخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها
فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال صلى الله عليه وآله
ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف قيل يعني الحج وسئل عن السائحين
فقال هم الصائمون فانعم الله على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية
لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصد العباد
وجعل ما حواليه حرما لبيته وتفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء

حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة
الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين
لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف
بتنزهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم و
عبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها
اعمالا لا يأنس بها النفوس ولا يهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار
بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال
يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكوة ارفاق ووجهه معلوم وللعقل
اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن
الشواغل والركوع والسجود في الصلوة تواضع لله تعالى بافعال هي هيئات التواضع
وللنفوس انس بتعظيم الله فاما ترددات السعي ورمي الجمار فلا حظ للنفس
ولا انس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون للاقدام عليها
باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع
فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه فان
كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا
للامر وباعثا معه فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وآله في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا وتعبدا ورقا ولم
يقل ذلك في صلوة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بان تكون
اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون
في اعمالهم على سنن الانقياد على مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه
ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع والاخلاق الى

مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال
العجيبة مصدره الذهول عن اسرار التعبدات وقد ظهر مما ذكر ان قاصد البيت
قاصد الى الله وزائر له فبالحري ان يفوز بلقاء الله في ميعاده المضروب له
والشوق الى لقاء الله مشوق الى اسباب اللقاء فليجعل عزمه خالصا لوجه
الله بعيدا عن شوائب الرياء وغيره **فصل** ينبغي للحاج عند توجهه
الى الحج وخروجه من بلده ان يرد المظالم ويتوب الى الله توبة خالصة ويقطع
علاقة قلبه عن الالتفات الى ما وراءه ليكون متوجها الى الله بوجه قلبه
ويقدر انه لا يعود وليكتب وصيته لاهله ولاولاده ويتهيؤ لسفر الاخرة فان
ذلك بين يديه على قرب وان يتادب بادب السفر كلها كما هي مذكورة في موضعها
ولاسيما توسع الزاد وتطييبه وطيب الكلام ولينه وخفض الجناح ما استطاع فورد
من الحج طيب الكلام واطعام الطعام وليس للحج المبرور جزاء الا الجنة وعدم الاغتمام
بالانفاق بما اصيب في المال فان الدرهم منه يعدل سبعمائة في سبيل الله وان
يكون قلبه مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعائره محضرا عند كل حركة ويكون
متذكرا به امر الاخرة وما يناسبه ويكون اشعث اغبر غير مزين ويمشي ان قدر خصوصا
بين المشاعر فورد ما عبد الله بشيء افضل من المشي لا لتقليل النفقة مع اليسار
فان الركوب حينئذ افضل كما ورد سيما لمن ضعف بالمشي ساء خلقه وقصر
في العمل فورد ان يكون احب فان ذلك اقوى على الدعاء والعبادة وكان الحسن بن
علي عليهما السلام يمشي ويساق معه المحامل والرحال واذا حضرت الراحلة
فليشكر الله بقلبه على تسخيره له الدواب لتتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة
فاذا دخل البادية متوجها الى الميقات وشاهد تلك العقبات فليتذكر فيها
ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات يوم القيمة وما بينهما من الاهوال

والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن
سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده
عن اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في
اعماله واقواله متزودا لمخاوف القبر وليتذكر عند لبس ثوبي الاحرام لبس الكفن ولفه
فيه وانه سيلقى الله ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فانه كما لا يلقى بيت الله الا
مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت الا في زي مخالف لزي
الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط كما لا يخالط الكفن
اما الاحرام والتلبية بالميقات فليعلم انه اجابة نداء الله فليرج ان يكون
مقبولا وليخش ان يقال له لا لبيك ولا سعديك وليكن بين الرجاء والخوف
مترددا وعن حوله وقوته متبريا وعلى فضل الله وكرمه متكلا فان وقت التلبية
هو بداية الامر وهو محل الخطر وقد ورد ان السجاد عليه السلام لما احرم واستوت
به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له
لم لا تلبي فقال اخشى ان يقول لي ربي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه
وسقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه **فصل** واذا دخل مكة
فليتذكر عندها انه قد انتهى الى حرم امن وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب
الله وليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت
وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق
الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع فاذا وقع بصره على البيت فينبغي
ان يحضر عنده عظمة البيت في قلبه ويقدر كانه مشاهد لرب البيت لشدة
تعظيمه وليرج ان يرزقه لقاءه كما رزقه لقاء البيت وليشكر الله على تبليغه اياه
هذه الرتبة والحاقه اياه بزمرة الوافدين اليه واما الطواف فانه صلوة فليحضر

قلبه فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما سبق في باب الصلوة
وليعلم انه في الطواف متشبه بالملئكة المقربين الحافين حول العرش
الطائفين حوله ولا يظن ان المقصود طواف جسمه بالبيت بل المقصود طواف
قلبه بذكر رب البيت حتى لا يبتدئ الذكر الا به ولا يختم الا به كما يبتدئ الطواف
الطواف من البيت ويختم بالبيت وليعلم ان الطواف الشريف هو طواف
القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة
التي لا تشاهد بالبصر وهو في عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في
عالم الشهادة للقلب الذي لا تشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم
الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب والى
هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة
وان طواف الملائكة بها كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر
الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان
من تشبه بقوم فهو منهم واما استلام الحجر فليعلم انه بمنزلة اليمين قال
رسول الله صلى الله عليه وآله استلموا الركن فانه يمين الله في خلقه يصافح
بها خلقه مصافحة العبد والدخيل ويشهد لمن استلمه بالموافاة اراد
بالركن الحجر الاسود لانه موضوع في الركن وانما شبهه باليمين لانه واسطة بين
الله وبين عباده في النيل والوصول والتحبب والرضا كاليمين حين التصافح و
الدخيل الملتجي قال الصادق عليه السلام ان الله تبارك وتعالى لما اخذ مواثيق
العباد امر الحجر فالتقمها فلذلك يقال اماني اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي
بالموافاة وقال عليه السلام الركن اليماني باب من ابواب الجنة لم يغلقه الله منذ
فتحه وقال الركن اليماني بابنا الذي ندخل منه الجنة وفيه نهر من الجنة يلقى

اعمال العباد انما شبهه بباب الجنة لان استلامه وسيلة الى دخولها و
بالنهر لانه يغسل به الذنوب وليكن نيته في الاستلام طلب القرب حبا و
شوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء
لا في البيت ولتكن نيته في التعلق باستار البيت الالحاح في طلب المغفرة وسؤال
الامان كالمذنب المتعلق بثياب من اذنب اليه المتضرع اليه في عفوه عنه
المظهر انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق
ذيله الا بالعفو وبذل الامن في المستقبل **فصل** واما السعي بين الصفا و
المروة في فناء البيت فيضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد
اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل
على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول او رد
واما الوقوف بعرفات فليتذكر بما يرى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات
واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر عرصات
القيمة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في
شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكر ذلك فليلزم
قلبه الضراعة والابتهال الى الله ليحشر في زمرة الفائزين المرحومين ويحقق رجاءه
بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلق بواسطة
القلوب العزيزة من اوتاد الارض ولا يخلو الموقف عن طبقة من الصالحين
وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم و
ارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم وشخصت نحو السماء ابصارهم
مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فبعيدا ان يخيب املهم ويضيع سعيهم و
لذلك قيل من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله لم يغفر له

واما الوقوف بالمشعر فليستحضر انه قد اقبل عليه مولاه بعد ان كان نائيا
عنه طاردا له عن بابه فاذن له في دخوله حرمه فان المشعر من جملة الحرم و
عرفات خارجة عنه فقد اشرف على باب الرحمة وهبت عليه نسمات الرافة و
كسى خلع القبول بالاذن في دخول حرم الملك واما رمي الجمار فليقصد به انقيادا
للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل و
النفس ثم ليقصد به التشبه بابرهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس
في هذا الموضع ليدخل على حجه شبهة او فتنة فامر الله ان يرميه بالحجارة
طردا له وقطعا لاصله وليعلم انه في الظاهر يرمي الحصا الى الجمار وفي الحقيقة
يرمي به وجه الشيطان ويقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثال
امر الله تعظيما بمجرد الامر من غير حظ العقل فيه واما ذبح الهدي فليعلم
انه تقرب الى الله بحكم الامتثال وليكمل الهدي واجزاءه ويرجو ان يعتق بكل
جزء منها جزءا منه من النار كما ورد الوعد به فصل وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام اذا اردت الحج فجرد قلبك لله تعالى من كل شاغل وحجاب
كل حاجب وفوض امورك كلها الى خالقك وتوكل عليه في جميع ما يظهر من
حركاتك وسكناتك وسلم لقضائه وحكمه وقدره وودع الدنيا والراحة
والخلق واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين ولا تعتمد على زادك
وراحلتك واصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة ان يصير ذلك عدوا و
وبالا فان من ادعى رضاء الله واعتمد على ما سواه صيره عليه وبالا وعدوا ليعلم
انه ليس له قوة وحيلة ولا لاحد الا بعصمة الله وتوفيقه فاستعد استعداد
من لا يرجو الرجوع واحسن الصحبة وراع اوقات فرائض الله وسنن نبيه صلى الله
عليه واله وما يجب عليك من الادب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة

والسخاء

والسخاء وايثار الزاد على دوام الاوقات ثم اغسل بماء التوبة الخالصة
ذنوبك والبس كسوة الصدق والصفا والخضوع والخشوع واحرم من كل
شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته ولب بمعنى اجابة صادقة صافية
خالصة زاكية لله تعالى في دعوتك متمسكا بالعروة الوثقى وطف بقلبك مع
الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت وهرول هرولة
من هواك وتبرا من حولك وقوتك واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك الى منى
ولا تتمن ما لا يحل لك ولا تستحقه واعترف بالخطايا بعرفات وجدد عهدك
عند الله تعالى بوحدانيته وتقرب اليه واتقه بمزدلفة واصعد بروحك الى
الملا الاعلى بصعودك على الجبل واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة
وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمرات واحلق العيوب
الظاهرة والباطنة بحلق شعرك وادخل في امان الله وكنفه وستره وكلائه
من متابعة مرادك بدخولك الحرم ودر حول البيت متحققا لتعظيم صاحبه و
معرفة جلاله وسلطانه واستلم الحجر رضا بقسمته وخضوعا لعزته وودع
ما سواه بطواف الوداع واصف روحك وسرك للقائه يوم تلقاه بوقوفك
على الصفا وكن ذا مروة من الله نقيا اوصافك عند المروة واستقم على شرط
حجتك هذه ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربك واوجبته له الى
يوم القيمة واعلم بان الله تعالى لم يفرض الحج ولم يخصه من جميع الطاعات
بالاضافة الى نفسه بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه
سبيلا ولا شرع نبيه سنة في خلال المناسك على ترتيب ما شرعه الا للاستعانة
والاشارة الى الموت والقبر والبعث والقيمة وفصل بيان السابقة من الدخول
في الجنة اهلها ودخول النار اهلها بمشاهدة مناسك الحج من اولها الى اخرها

لاولي الالباب واولي النهى **فصل** واما زيارة المدينة فاذا وقع بصره على حيطانها فليتذكر انها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه واله وجعل اليها هجرته وانها داره التي فيها شرع فرايض ربه وسننه وجاهد عدوه واظهر بها دينه الى ان توفاه الله ثم جعل تربته فيها ثم ليمثل في نفسه اقدام رسول الله صلى الله عليه واله عند تردداته فيها وانه ما من موضع قدم الا وهي موضع قدمه العزيز فلا يضع قدمه عليه الا على سكينة ووجل وليتذكر مشيه وتخطيه في سككها وليتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره حتى قرنه بذكر نفسه واحبط عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته فان ترك حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقايق فلا يامن ان يحال بينه وبينه بعدوله عن محجته وليعظم مع ذلك رجاءه ان لا يحول الله بينه وبينه بعد ان رزقه الايمان واشخصه من وطنه لاجل زيارته محبة له وتشوقا الى ان ينظر الى اثاره والى حايط قبره فاذا بلغ المسجد فليتذكر ان فرايض الله تعالى اولها امضيت في تلك العرصة فليعظم امله في الله ان يرحمه بدخوله اياه خاشعا معظما وما اجدر ذلك المكان بان يستدعي الخشوع من قلب كل مومن **فاما زيارته صلى الله** عليه واله فينبغي ان يقف بين يديه ويزوره ميتا كما يزوره حيا ولا يقرب من قبره الا كما يقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وليعلم انه عالم بحضوره وقيامه وزيارته وانه يبلغه سلامه وصلواته فليمثل صورته الكريمة في خياله موضوعا بازائه وليحضر عظيم رتبته في قلبه فقد ورد ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده

الكريم اذ فاتته مشاهدة غرته الكريمة **قال الصادق** عليه السلام اذا فرغت من الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه واله فات المنبر وامسحه بيدك وخذ برمانتيه وهما السفلاوان وامسح عينيك ووجهك به فانه يقال انه شفاء للعين وقم عنده فاحمد الله واثن عليه وسل حاجتك فان رسول الله صلى الله عليه واله قال ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة والترعة هي الباب الصغير وسئل عليه السلام هي روضة اليوم قال نعم لو كشف الغطاء لرايتم **فصل** قال النبي صلى الله عليه واله من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر الي في حياتي فان لم تستطيعوا فابعثوا الي بالسلام فانه يبلغني وقال صلى الله عليه واله لعلي عليه السلام يا ابا الحسن ان الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع الجنة وعرصات من عرصاتها وان الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن اليكم وتحتمل المذلة والاذى فيكم فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقربا منهم الى الله ومودة منهم لرسوله اولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي والواردون حوضي وهم زواري غدا جيراني في الجنة يا علي من عمر قبورهم وتعاهدها فكانما اعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته امه فابشر يا علي وبشر اولياءك ومحبيك من النعيم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما تعير الزانية بزناها اولئك شرار امتي لا تنالهم شفاعتي ولا يردون حوضي **وقال الصادق** عليه السلام لو ان احدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن علي عليهما السلام لكان تاركا حقا من حقوق رسول الله صلى الله عليه واله لان حق الحسين فريضة من الله واجبة

على كل مسلم والاخبار في فضل زيارة الائمة المعصومين عليهم السلام و
ثوابها ولاسيما زيارة ابي عبد الله الحسين وابي الحسن الرضا عليهما السلام وفضلها
على الحجة والعمرة والغزوة اكثر من ان يحصى ولعل السر في فضل زيارتهم على تلك
العبادات ان في زيارتهم صلة وبرا لهم ولرسول الله وامير المومنين وفاطمة
وشيعتهم ومحبيهم بل ساير النبيين والوصيين صلوات الله عليهم اجمعين
وادخال سرور عليهم واجابة لهم وتجديد عهد لولايتهم واحياء لامرهم
وتبكيتا لاعدائهم وفي ذلك كله نجاة لما عند الله الذي لا يخيب من رجاه وطلب
لرضاه سبحانه الذي يرضى لمن ارضاه وهي مع ذلك كله عبادة لله عز وجل
ومسرة له عز ذكره من جهة ادخال السرور على رسوله وعلى ذريته واوصيائه
ومن جهة الاتيان بعبادته المامور بها ومسرة لهم من هذه الجهة ايضا و
قد ثبت وتقرر بجلالة قدر المومن عند الله وثواب صلته وبره وادخال
السرور عليه من جهة كونه مومنا فحسب فما ظنك بمن عصمه الله عن الخطاء
وطهره من الرجس وجعله اماما للمومنين وقدوة للمتقين ولاه خلق السموات
والارضين وجعله صراطه وسبيله وعينه ودليله وبابه الذي يؤتى
منه وحبله المتصل بينه وبين عباده من رسل وانبياء وحجج واولياء هذا
مع ان مقابرهم مشاهد ارواحهم العلية المقدسة ومحال حضور اشباحهم
البرزخية النورية فانهم هناك يشهدون وهم احياء عند ربهم يرزقون بما آتاهم
من فضله فرحون واما الحجة والعمرة والغزوة وغير ذلك فانها وان كان فيها انفاق
اموال وبذل آمال واشخاص ابدان وهجران اوطان وتحمل مشاق وتجديد ميثاق
وشهود شعاير وحضور مشاعر الا انها ليست بتلك المثابة في المثوبة لان
هذه انما هي عبادة لله سبحانه واجابة لامره عز ذكره ومسرة له ولاوليائه بالان

بالعبادة

بالعبادة فحسب وليست فيها جميع تلك الامور التي نبهنا عليها هنالك مع
انها تأتي من كل مدع للاسلام وان كان ناصبيا بخلاف تلك فانها لا تأتي
الا ممن كان يعرف حقهم وقدرهم وطرفا من منزلتهم ولو ناقصا قال الرضا
عليه السلام ان لكل امام عهدا في عنق اوليائه وشيعته وان من تمام
الوفاء بالعهد وحسن الاداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم
وتصديقا بما رغبوا فيه كان ائمتهم شفعاءه يوم القيمة **المقالة السادسة** في
ساير الاعمال الصالحة وفيها خمسة ابواب **الباب الاول** في التوبة وهي ترجيع القلب
عن الذنب والرجوع من البعد الى القرب وبعبارة اخرى ترك المعاصي في الحال و
العزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير وهي فرض على كل حال و
على الفور ومن شرطها ان تكون لله سبحانه لا لمال او جاه او خوف من سلطان
او عدم اسباب وانما يتيسر اما الندم اعني تألم القلب وحزنه على الذنب هو
روح التوبة فغير مقدور وهو التوبة حقيقة وانما المقدور تحصيل اسبابه
من العلم والايمان وتحقيقهما في قلبه قال النبي صلى الله عليه وآله الندم توبة
اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا
بطرفيه اعني ثمرته ومثمره والطريق اليهما ذكر ما ورد في فضلها والعلم بقبح الذنوب
وشدة العقوبة وضعف النفس عن الاحتمال وشرف الآخرة وخساسة الدنيا و
قرب الموت ولذة المعرفة والمناجاة وخوف الاملاء بعدم الاخذ الحالي والاستدراج
بالاحسان وقلع اسباب الاصرار وهي الغرور وحب الدنيا وطول الامل قال الله تعالى
وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون وقال يا ايها الذين امنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الاية ومعنى النصوح
الخالص فصحا خاليا عن الشوائب وقال عز وجل ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين

الممتنع مع الاصرار

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال الباقر عليه السلام الله اشد فرحا بتوبة عبده من رجل اضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها وقال الصادق عليه السلام في قوله تعالى وتوبوا الى الله توبة نصوحا قال هو الذنب الذي لا يعود فيه ابدا قيل وأينا لم يعد قال يا فلان ان الله يحب من عباده المفتن التواب يعني الكثير الذنب كثير التوبة وقال اذا تاب العبد توبة نصوحا احبه الله فستر عليه قيل وكيف يستر عليه قال ينسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه ويوحي الله الى جوارحه والى بقاع الارض ان اكتمي عليه ذنوبه حتى يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب

فصل اعلم انه مهما اشرق نور الايمان على القلب اثمر نار الندم على الذنب فيتألم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيطلع عليه النور بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فرأى محبوبه قد اشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه فينبعث بتلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلثة معان مترتبة يطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر كما اشرنا اليه فمن نظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه فلا يشك في ثبوته لها وذلك بان علم ان معنى الواجب ما هو واجب في الوصول الى سعادة الابد والنجاة من هلاك الابد وعلم ان لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله وان كل محجوب عنه شقي لا محالة محول بينه وبين ما يشتهيه محترق بنار الفراق ونار جهنم وعلم انه لا مبعد عن لقاء الله الا اتباع الشهوات

والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين اعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر باعثا فالعلم بضرر الذنوب انما اريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقول النبي صلى الله عليه وآله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وما اراد به نفي الايمان بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافي الزنا والمعاصي وانما اراد به نفي الايمان بكون الزنا مبعدا عن الله وموجبا للمقت وليس الايمان بابا واحدا بل هو كما ورد نيف وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها واظفارها فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء العينين فاقد لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة الا اصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من ان يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل

الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان ينقلع عنه شجرة ايمانه اذا
صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك الموت
ووروده فكل ايمان لم يثبت في النفس اصله ولم ينتشر في الاعمال فروعه لم
يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه
سوء الخاتمة الا ما سقي بماء الطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ
وثبت فهذا امر يظهر عند الخاتمة وانما تقطعت نياط العارفين خوفا من
دواهي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها الا الاقلون **فصل** اعلم
ان وجوب التوبة عام في الاشخاص والاحوال فلا ينفك عنه احد البتة قال
الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا فعمم الخطاب ونور البصيرة ايضا يرشد اليه
اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالى المقرب الى الشيطان ولا
يتصور ذلك الا من عاقل ولا يكمل غريزة العقل الا بعد كمال الشهوة والغضب و
ساير الصفات المذمومة التي هي وسايل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال
العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ و
مباديه يظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود
الملائكة واذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للاخر لانهما
ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما
غلب احدهما ازعج الاخر بالضرورة واذا كانت الشهوات تكمل في الصبي والشاب
قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به
انس والف لا محالة مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه
النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ اوليائه من ايدي
اعدائه شيئا فشيئا على التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب

للشيطان وانجز اللعين موعوده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان
قوي العقل وكمل كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة
العادات ورد الطبع على سبيل القهر والغلبة الى العبادات ولا معنى للتوبة
الا هذا فهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى
وليس في الوجود ادمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة
للشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملائكة فكان الرجوع عما سبق اليه
على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان وجوبا على الدوام وفي
كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه فان خلا في بعض الاحوال عن
معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم فلا يخلو
عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه
فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وآثاره بحسب طاقته وكل ذلك
نقص وله اسباب وترك اسبابه بتشاغل اضدادها رجوع عن طريق الى ضده
والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الادمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون
في المقادير فاما الاصل فلا بد منه الا ان الانبياء والاوصياء عليهم السلام ليس
ذنوبهم كذنوبنا وانما هي ترك دوام الذكر والاشتغال بالمباحات وحرمانهم في
الاجر بسبب ذلك قال الصادق عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه واله
كان يتوب الى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب ان الله
يخص اولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب يعني من غير ذنب كذنوبنا
فان ذنب كل احد انما هو بحسب قدره ومنزلته عند الله ثم اعلم انه لا يكفي في
تدارك الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو آثارها التي انطبعت في القلب بنور
الطاعات قال النبي صلى الله عليه واله اتبع السيئة بالحسنة تمحها وينبغي

ان تكون الحسنة الماحية للسيئة مناسبة لتلك السيئة فيكفر سماع الملاهي
بسماع القران وبحضور مجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالعبادة فيه
الى غير ذلك وليس ذلك شرطا وقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه
واله اني عالجت امراة فاصبت منها كل شي الا المسيس فاقض علي بحكم الله فقال
اما صليت معنا فقال بلى فقال ان الحسنات يذهبن السيئات ولا بد ان يكون
عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو اثرها قبل ان يتراكم الرين على
القلب فلا يقبل المحو قال الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة
ثم يتوبون من قريب معناه عن قرب عهد به قال وليست التوبة للذين
يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان قال الصادق
عليه السلام ذلك اذا عاين امر الاخرة وذلك لان التوبة مقبولة قبل ان
يعاين كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه واله والمومن ترك المبادرة الى التوبة
بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان يتراكم الظلمة على قلبه من
المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو والثاني ان يعاجله المرض او الموت
فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار
من التسويف **فصل** اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة
صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر المستمدون من انوار القران
علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الاخرة في جوار الله وعلموا ان
القلب خلق سليما في الاصل فكل مولود يولد على الفطرة وانما يفوته السلامة
بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وان نار الندم تحرق تلك
الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام
المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة

لكدورة الوسخ مع بياض الصابون والماء الحار الا ان يتراكم الذنوب حتى
تصير طبعا ورينا وهذا مثل ان يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب
وخلله فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب وان قال بلسانه تبت وهذا البيان
كاف لقبول التوبة المتضمنة لشروطها قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده وقال غافر الذنب وقابل التوب وقال النبي صلى الله عليه واله
ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ وقال لو عملتم الخطايا حتى
يبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم
ذنوب المومن اذا تاب منها مغفورة له فليعمل المومن لما يستانف بعد التوبة
والمغفرة اما والله انها ليست الا لاهل الايمان قال قلت فان عاد بعد التوبة
والاستغفار في الذنوب وعاد في التوبة فقال يا محمد بن مسلم اترى العبد
المومن يندم على ذنبه ويستغفر الله منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته
قلت فانه فعل ذلك مرارا يذنب ثم يتوب ويستغفر فقال كلما عاد المومن
بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وان الله غفور رحيم يقبل
التوبة ويعفو عن السيئات فاياك ان يقنط المومنين عن رحمة الله وقال
الصادق عليه السلام ان الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة
قيل يدخله الله بالذنب الجنة قال نعم انه ليذنب فلا يزال منه خائفا
ماقتا لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة **فصل** اعلم ان الذنوب تنقسم
الى ما بين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق العباد والاول اما مغفور
واما مرجو المغفرة قال امير المومنين عليه السلام الذنوب ثلثة فذنب
مغفور وذنب غير مغفور وذنب مرجو لصاحبه ويخاف عليه قيل يا امير
المومنين فبينها لنا قال نعم اما الذنب المغفور فعبد عاقبه الله على ذنبه

في الدنيا والله تعالى احلم واكرم من ان يعاقب عبده مرتين واما الذنب
الذي لا يغفره الله فظلم العباد بعضهم لبعض ان الله اذا برز للخليقة
اقسم قسما على نفسه فقال وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كفا
بكف ولو مسحة بكف ولو نطحة ما بين القرناء الى الجماء فيقتص للعباد بعضهم
من بعض حتى لا يبقى لاحد على احد مظلمة ثم يبعثهم الله للحساب واما الذنب
الثالث فذنب ستره الله على خلقه ورزقه التوبة منه فاصبح خائفا
من ذنبه راجيا لربه فنحن له كما هو لنفسه نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب
ولعله عليه السلام اراد بالتوبة التوبة المشكوك في شروطها لما عرفت ان
التوبة الجامعة للشرائط مقبولة فاذا كانت مقبولة فالذنب لا محالة مغفور
وبقسمة ثانية تنقسم الذنوب الى صغاير وكباير قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال عز وجل والذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش الا اللمم وقال النبي صلى الله عليه واله الصلوات الخمس والجمعة
الى الجمعة تكفر ما بينهن ان اجتنب الكبائر وقد كثرت الاقوال في تعيين الكبائر و
اختلفت الروايات فيها فعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم قال الكبائر التي اوجب الله عليها النار و
عنه عليه السلام انه سئل عن الكبائر فقال هن في كتاب علي عليه السلام
سبع الكفر بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين واكل الربا بعد البينة واكل
مال اليتيم ظلما والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة قيل له فاكل درهم من مال
اليتيم ظلما اكبر ام ترك الصلوة قال ترك الصلوة قيل فما عددت ترك الصلوة
في الكبائر فقال اي شيء اول ما قلت لك قال الكفر قال فان تارك الصلوة كافر
يعني من غير علة وعن الكاظم عليه السلام انه سئل عن الكبائر كم هي وما

هي فكتب الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفر عنه سيئاته اذا
كان مؤمنا والسبع الموجبات قتل النفس الحرام وعقوق الوالدين و
اكل الربا والتعرب بعد الهجرة وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والفرار
من الزحف وعن الجواد عليه السلام قال سمعت ابي موسى بن جعفر يقول
دخل عمرو بن عبيد على ابي عبد الله عليه السلام فلما سلم وجلس تلا هذه
الاية يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ثم امسك فقال له ابو عبد الله عليه السلام
ما اسكتك قال احب ان اعرف الكبائر من كتاب الله فقال نعم يا عمرو اكبر
الكبائر الاشراك بالله يقول الله ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
وبعده الاياس من روح الله لان الله يقول انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون ومنها عقوق الوالدين لان الله جعل العاق جبارا شقيا وقتل
النفس التي حرم الله الا بالحق لان الله يقول فجزاؤه جهنم خالدا فيها الى اخر الاية
وقذف المحصنة لان الله تعالى يقول لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم
واكل مال اليتيم لان الله يقول انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
والفرار من الزحف لان الله يقول ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير
واكل الربا لان الله يقول الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان من المس والسحر لان الله يقول ولقد علموا لمن اشتراه ما له
في الاخرة من خلاق والزنا لان الله يقول ومن يفعل ذلك يلق اثاما
يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا واليمين الغموس الفاجرة
لان الله يقول الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا
خلاق لهم في الاخرة والغلول لان الله يقول ومن يغلل يأت بما غل يوم

القتيه ومنع الزكوة المفروضة لان الله يقول فتكوى بها جباههم و
جنوبهم وشهادة الزور لان الله يقول ومن يكتمها فانه اثم قلبه وشرب
الخمر لان الله نهى عنها كما نهى عن عبادة الاوثان وترك الصلوة متعمدا
او شيئا مما فرض الله لان رسول الله صلى الله عليه واله قال من ترك
الصلوة متعمدا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله ونقض العهد
وقطيعة الرحم لان الله يقول لهم اللعنة ولهم سوء الدار قال
فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال برأيه ونازعكم في
الفضل والعلم ان قيل كيف ورد الشرع بما لم يبين حده قلنا ان كل ما لا
يتعلق به حكم في الدنيا جاز ان يتطرق اليه الابهام والكبيرة على الخصوص لا
حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة فان موجبات الحدود معلومة باسامیها
وانما حكم الكبيرة ان اجتنابها يكفر الصغاير وان الصلوات الخمس لا يكفرها
هذا امر يتعلق بالاخرة والابهام اليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر
فلا يتجرؤن على الصغاير اعتمادا على الصلوات الخمس واجتناب الكباير ثم
اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن تمكن
من امرأة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان
مجاهدته نفسه في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على
النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان امتناعه لعجز او خوف او نحو
ذلك فلا يصلح للتكفير وكذلك من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه
فاجتنابه لا يكفر عنه الصغاير التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار
فصل اعلم ان الصغيرة قد تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة قال
الصادق عليه السلام لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقال

ذلك

ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على التوالي فتوثر فيه وذلك القدر من
الماء لو صب عليه دفعة لم يوثر وقال الباقر عليه السلام في قوله تعالى ولم
يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون قال الاصرار ان يذنب الذنب فلا يستغفر و
لا يحدث نفسه بتوبة فذلك الاصرار ومنها ان يستصغر الذنب فان العبد
كلما استعظمه من نفسه صغر عند الله وكلما استصغره كبر عند الله
لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له وذلك النفور
يمنع من شدة تاثره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة
الاثر في القلب فالقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده
بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة قال الصادق عليه السلم
قال رسول الله صلى الله عليه واله اتقوا المحقرات من الذنوب فانها لا تغفر
قيل وما المحقرات قال الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى لي لو لم يكن غير ذلك
وقال عليه السلام ان الله يحب العبد ان يطلب اليه في الجرم العظيم ويبغض
العبد ان يستخف بالجرم اليسير وقال الكاظم عليه السلام لا تستكثروا
كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب فان الذنوب يجتمع حتى تكون كثيرا و
خافوا الله في السر حتى تعطوا من انفسكم النصف ومنها السرور بالصغيرة
والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة
فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها في
تسويد قلبه فان الذنوب مهلكات واذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان
به في الحمل عليها فينبغي ان يكون في مصيبة وتاسف بسبب غلبة العدو
عليه وبسبب بعده من الله ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه
عنه وامهال الله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن

ان تمكنه من المعاصي عناية من الله به فيكون ذلك لامنه من مكر الله و
جهله بمكامن الغرور بالله كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله
بما نقول حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير ومنها ان ياتي بالذنب ويظهره
بان يذكره بعد اتيانه او ياتي به في مشهد غيره فان ذلك جناية منه على ستر الله
الذي اسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله
فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فتغلظت به فان انضاف الى ذلك الترغيب
للغير فيه والحمل عليه وتهيئته الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش
الامر وهذا لان من صفات الله سبحانه ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح
ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة قال الرضا عليه السلام قال
رسول الله صلى الله عليه واله المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة
والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له وقال الصادق عليه السلام
من جاءنا يلتمس الفقه والقران وتفسيره فدعوه ومن جاءنا يبدي عورة قد
سترها الله عليه فنحوه ومنها ان يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعله
بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم والذهب واخذه مال
الشبهة واطلاقه اللسان في الاعراض ونحو ذلك فهذه ذنوب يتبع العالم
عليها فيموت ويبقى شره مستطيرا في العالم فطوبى لمن اذا مات ماتت معه
ذنوبه وفي العالم وظيفتان احدهما ترك الذنب والاخر اخفاؤه وكما يتضاعف
اوزاره فكذلك يتضاعف ثوابه على الحسنات اذا اتبع فصل في الحديث
النبوي ما من يوم طلع فجرها ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان
باربعة اصوات يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الاخر يا ليتهم
اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الاخر ويا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا

بما علموا فيقول الاخر ويا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا وقال امير
المؤمنين عليه السلام لا تبتدين عن واضحة وقد عملت الاعمال الفاضحة و
لا تامنن البيات وقد عملت السيئات وقال الباقر عليه السلام ان الله قضى
قضاء حتما ان لا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها اياه حتى يحدث العبد ذنبا
يستحق بذلك النقمة وقال عليه السلام ما من شيء افسد للقلب من خطيئة
ان القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير اعلاه اسفله
وقال عليه السلام ان العبد ليذنب الذنب فيزوى عنه الرزق وقال الصادق
عليه السلام اما انه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض
الا بذنب وذلك قول الله عز وجل في كتابه ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم ويعفو عن كثير قال وما يعفو الله اكثر مما يؤاخذ به وقال ان الرجل يذنب
الذنب فيحرم صلوة الليل وان العمل السيء اسرع في صاحبه من السكين في
اللحم وقال عليه السلام يقول الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا اثر شهوته
على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وقال عليه السلام من هم بسيئة فلا يعملها
فانه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب تبارك وتعالى فيقول وعزتي لا اغفر لك
بعد ذلك ابدا وقال الكاظم عليه السلام حق على الله ان لا يعصى في دار الا
اضحاها للشمس حتى تطهرها وقال رسول الله صلى الله عليه واله ان العبد
ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام وانه لينظر الى ازواجه في الجنة يتنعمن وعن
امير المؤمنين عليه السلام انه قال لقائل بحضرته استغفر الله ثكلتك
امك اتدري ما الاستغفار ان الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع
على ستة معان اولها الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك العود عليه
ابدا والثالث ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله املس ليس عليك

تبعة والرابع ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدي حقها والخامس
ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد
بالعظم وينشا بينهما لحم جديد والسادس ان تذيق الجسم الم الطاعة
كما اذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله وقال عليه السلام
ترك الخطيئة ايسر من طلب التوبة وكم من شهوة ساعة اورثت حزنا طويلا
والموت فضح الدنيا ولم يترك لذي لب فرحا **فصل** في مصباح الشريعة قال
الصادق عليه السلام التوبة حبل الله ومدد عنايته ولابد للعبد من مداومة
التوبة على كل حال وكل فرقة من العباد لهم توبة فتوبة الانبياء من اضطراب
السر وتوبة الاولياء من تلوين الخطرات وتوبة الاصفياء من التنفيس وتوبة
الخاص من الاشتغال بغير الله وتوبة العام من الذنوب ولكل واحد منهم
معرفة وعلم في اصل توبته ومنتهى امره وذلك يطول شرحه هيهنا فاما توبة
العام فان يغسل باطنه من الذنوب بماء الحسرة والاعتراف بجنايته دائما
واعتقاد الندم على ما مضى والخوف على ما بقي من عمره ولا يستصغر ذنوبه فيحمله
ذلك الى الكسل ويديم البكاء والاسف على ما فاته من طاعة الله ويحبس نفسه
عن الشهوات ويستغيث الى الله ليحفظه على وفاء توبته ويعصمه من العود
الى ما سلف ويروض نفسه في ميدان الجهاد والعبادة ويقضي الفوائت
من الفرائض ويرد المظالم ويعتزل قرناء السوء ويسهر ليله ويظمأ نهاره ويتفكر
دائما في عاقبته ويستعين بالله سائلا منه الاستقامة في سرائه وضرائه
ويثبت عند المحن والبلاء كيلا يسقط عن درجة التوابين فان في ذلك طهارة
من ذنوبه وزيادة في عمله ورفعة في درجاته قال الله عز وجل وليعلمن الله الذين
صدقوا وليعلمن الكاذبين **الباب الثاني** في المحاسبة والمراقبة قال الله تعالى

ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال
حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال عز وجل ووضع الكتاب
فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا
يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك
احدا وقال يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه
والله على كل شيء قدير وقال يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا
بعيدا وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصائر
من جملة العباد ان الله عز وجل لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب و
يطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه
الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الانفاس
والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف
في القيمة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم
يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيمة وقفاته وقادته الى
الخزي سيئاته وقال الصادق عليه السلام اذا اراد احدكم ان لا يسئل ربه شيئا
الا اعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء الا من عند الله فاذا علم الله
ذلك من قلبه لم يسئله شيئا الا اعطاه فحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا عليها
فان للقيامة خمسين موقفا كل موقف مقام الف سنة ثم تلا في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة فتفريع المحاسبة على الامر باليأس من الناس والرجا
من الله يدل على ان الانسان انما يرجو الناس من دون الله في عامة امره وهو غافل

عن ذلك وان عامة المحاسبات انما ترجع الى ذلك وذكر الوقوف في مواقف
القيامة بعد الامر بمحاسبة النفس يدل على ان الوقفات هنالك انما تكون
للمحاسبات فمن حاسب نفسه في الدنيا يوما فيوما لم يحتج الى تلك الوقفات في
ذلك اليوم قال الله تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد وقد ورد في الخبر ينبغي ان
يكون للعاقل اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام لو لم يكن للحساب مهولة الا حياء العرض على الله عز
وجل وفضيحة هتك الستر على المخفيات يحق للمرء ان لا يهبط من رؤس الجبال
ولا ياوي الى عمران ولا يشرب ولا ينام الا عن اضطرار متصل بالتلف ومثل
ذلك يفعل من يرى القيامة باهوالها وشدائدها قائمة في كل نفس ويعاين
بالقلب الوقوف بين يدي الجبار وحينئذ ياخذ نفسه بالمحاسبة كانه الى عرصاتها
مدعو وفي غمراتها مسئول قال الله عز وجل وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها وكفى بنا حاسبين **فصل** معنى المحاسبة ان يطالب نفسه اولا
بالفرائض التي هي بمنزلة راس ماله فان اداها على وجهها شكر الله عز وجل عليه
ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء فان اداها ناقصة
كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكبت معصية اشتغل بعتابها وتعذيبها و
معاقبتها واستوفى منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه
يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان
حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي ان يتقي غائلة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة
مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه
من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره
وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لم سكت وعن سكونه لم

سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ما ادى الحق منه
كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي عليها فليثبته عليها وليكتب
على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وعلى جريدته
ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان
وبعضها برد عينه وبعضها بالعقوبة له على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا
بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك
اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء قال الكاظم عليه السلام ليس منا من لم
يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسنة استزاد الله وان عمل سيئة استغفر الله
منها وتاب اليه وقال الباقر عليه السلام لا يغرنك الناس من نفسك فان الامر
يصل اليك دونهم ولا تقطع نهارك بكذا وكذا فان معك من يحفظ عليك عملك
فاحسن فاني لم ار شيئا احسن دركا ولا اسرع طلبا من حسنة محدثة لذنب
قديم وقال الصادق عليه السلام ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وآله فقال
له يا رسول الله اوصني فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله فهل انت مستوص
ان انا اوصيتك حتى قال له ذلك ثلثا وفي كلها يقول له الرجل نعم يا رسول
الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله فاني اوصيك اذا انت هممت
بامر فتدبر عاقبته فان يك رشدا ينبغي للعبد ان يراقب نفسه عند الخوض في
الاعمال ويلاحظها بالعين الكالئة فانها ان تركت طغت وفسدت ثم يراقب
الله في كل حركة وسكون وذلك بان يعلم بان الله مطلع على الضمائر عالم
بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه
مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك قال الله تعالى
الم يعلم بان الله يرى وقال ان الله كان عليكم رقيبا وقال النبي صلى الله

عليه واله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف فقامت فغطت وجه صنمها فقال يوسف
مالك اتستحيين من مراقبة جماد ولا استحي من مراقبة الملك الجبار وفي
الحديث القدسي انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا
عظمتي وراقبوني والذين انحنت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم
بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت
عنهم العذاب فهذه المعرفة اذا صارت يقينا يعني انها اذا خلت عن
الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب استجرت القلب وقهرته على مراعاة
جانب الرقيب وصرفت الهمة اليه والموقنون بهذه المعرفة مراقبتهم على
درجتين احديهما مراقبة المقربين وهي مراقبة التعظيم والاجلال وهو ان
يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى
فيه متسع للالتفات الى الغير وهذا هو الذي صار همه هما واحدا وكفاه الله
ساير الهموم والثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين
اطلاع الله على ظواهرهم وبواطنهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجمال
والجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال
والاعمال والمراقبة فيها وغلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون
ولا يحجمون الا بعد التثبت ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيمة فانهم
يرون الله مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيمة فان العبد لا يخلو
اما ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال
ومراعاة الادب وحراستها عن الافات ومراقبته في المعصية بالتوبة والندم
والاقلاع والحياء والاشتغال بالتكفير ومراقبته في المباح بمراعاة الادب بان

يقعد

يقعد مستقبل القبلة وينام على اليد اليمنى مستقبلا الى غير ذلك فكل
ذلك داخل في المراقبة وبشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها وبالصبر
على البلاء فان لكل ذلك حدودا لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد
حدود الله فقد ظلم نفسه

الباب الثالث في التفكر والتدبر

قال الله تعالى
ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال
افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها وقال النبي صلى الله عليه واله
تفكر ساعة خير من عبادة سنة وقال امير المومنين عليه السلام التفكر
يدعو الى البر والعمل به وقال عليه السلام نبه بالتفكر قلبك وجاف عن الليل جنبك
واتق الله ربك وقال الصادق عليه السلام افضل العبادة ادمان التفكر في
الله وفي قدرته ليس المراد بالتفكر في الله التفكر في ذات الله سبحانه فانه
ممنوع منه لانه يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل بل المراد منه
النظر الى افعاله وعجايب صنعه وبدايع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه
وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيته وقدرته
واحاطته بالاشياء ومعيته لها وهذا تفكر اولي الالباب قال الله عز وجل
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات و
الارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار وقال عز وجل ومن
اياته ومن اياته في مواضع كثيرة فتلك الايات هي مجاري التفكر في الله وفي قدرته
لاولي العلم لا ذاته سبحانه ففي الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه واله
انه قال تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وقال
الباقر عليه السلام اياكم والتفكر في الله ولكن اذا اردتم ان تنظروا الى عظمته

فانظروا الى عظم خلقه وقال الصادق عليه السلام من نظر في الله كيف
هو هلك واما التفكر الذي يدعو الى البر والعمل فهو اعم من هذا فانه يشمل
التفكر في الحسنات والسيئات فان العبد اذا تفكر في حسناته هل هي تامة
او ناقصة موافقة للسنة او مخالفة لها خالصة عن الشرك والشك او مشوبة
بهما يدعوه لا محالة هذا التفكر الى اصلاحها وتدارك ما فيها من الخلل وكذا اذا
تفكر في سيئاته وما يترتب عليها من العقوبات والبعد عن الله يدعوه ذلك
الى الانتهاء عنها وتدارك ما اتى بها بالتوبة والندم واذا تفكر في صفات
الله وافعاله من لطفه بعباده واحسانه اليهم بسوابغ النعماء وبسط
الالاء والتكليف دون الطاقة والوعد لعمل قليل بثواب جزيل وتسخيره
له ما في السموات والارض وما بينهما الى غير ذلك يدعوه ذلك لا محالة الى البر
والعمل به والرغبة في الطاعات والانتهاء عن المعاصي وهذا تفكر المتوسطين
واليه الاشارة بقول الرضا عليه السلام ليس العبادة كثرة الصلوة والصوم
انما العبادة التفكر في امر الله وسئل الصادق عليه السلام عما يروى
ان تفكر ساعة خير من قيام ليلة كيف يتفكر قال تمر بالخربة او بالدار فتقول اين
ساكنوك اين بانوك ما لك لا تتكلمين وهذا التفكر المفسر به الحديث النبوي
دون الاولين في الفضل ولعل الحديث النبوي اعم منه وانما فسره الصادق
عليه السلام على قدر رتبة المخاطب فان تفكر كل احد انما يكون بحسب فهمه و
رتبته وقد اوردنا مجاري التفكر بتفاصيلها في كتابنا الموسوم بعلم اليقين من
اراده رجع اليها فصل في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اعتبروا
بما مضى من الدنيا هل بقي على احد وهل فيها باق من الشريف والوضيع
والغني والفقير والولي والعدو وكذلك ما لم يات منها بما مضى اشبه من

الماء

الماء بالماء قال رسول الله صلى الله عليه وآله كفى بالموت واعظا و
بالعقل دليلا وبالتقوى زادا وبالعبادة شغلا وبالله مونسا وبالقرآن
بيانا وقال صلى الله عليه وآله لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة وما نجا
من نجا الا بصدق الالتجاء وقال نوح عليه السلام وجدت الدنيا كبيت له
بابان دخلت من احدهما وخرجت من الاخر هذا حال صفي الله فكيف حال
من اطمأن فيها وركن اليها واضاع عمره في عمارتها وفرق دينه في طلبها و
الفكرة مرآة الحسنات وكفارة السيئات وضياء للقلوب وفسحة للخلق و
اصابة في صلاح المعاد واطلاع على العواقب واستزادة في العلم وهي خصلة
لا يعبد الله بمثلها قال رسول الله صلى الله عليه وآله فكرة ساعة خير من
عبادة سنة ولا ينال منزلة التفكر الا من قد خصه الله بنور التوحيد والمعرفة
فصل قال الصادق عليه السلام ابن آدم لو اكل قلبك طائر لم يشبعه و
بصرك لو وضع عليه خرق ابرة لغطاه تريد ان تعرف بهما ملكوت السموات
والارض ان كنت صادقا فهذه الشمس خلق من خلق الله فان قدرت تملا عينيك
منها فهو كما تقول اراد عليه السلام بالقلب اللحم الصنوبري المعروف ولهذا
جعله ماكولا وظاهر انه لا يصح ان يعرف به ملكوت السموات والارض كما
لا يصح ان يعرف بالبصر لانهما من عالم الملك فكيف يعرف بهما الملكوت والخطاب
خاص بمن لا يتجاوز درجة الحس والمحسوس من افراد بني آدم المشار اليهم بقوله سبحانه
لهم قلوب لا يفقهون بها فاما من جاوزها منهم وبلغ الى درجة العقل و
المعقول وهم اصحاب القلوب الملكوتية المشار اليهم بقوله عز وجل ان
في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فلهم ان يعرفوا بقلوبهم ملكوت السموات و
الارض لان قلوبهم من الملكوت ولهذا حث الله تعالى على النظر في الملكوت

في غير موضع من كتابه قال سبحانه اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث
بعده يومنون وقال تعالى وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض و
ليكون من الموقنين الى غير ذلك من الايات بل ان ذاته تعالى لا يجوز ان
يكتنه بالقلب كما لا يجوز ان يدرك بالبصر بل انما يجوز ان يطلع بالقلب على
شيء من عظمته فحسب

الباب الرابع في ذكر الموت وقصر الامل

قال الله تعالى
كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار
وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقال النبي صلى
الله عليه واله اكثروا ذكر هادم اللذات قيل وما هو يا رسول الله قال
الموت فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة الا ضاقت عليه الدنيا ولا في شدة
الا اتسعت عليه وقال الموت كفارة لكل مسلم وقال تحفة المومن الموت و
قال صلى الله عليه واله الموت الموت الا ولا بد من الموت جاء الموت بما فيها
بالروح والراحة والكرة المباركة الى جنة عالية لاهل دار الخلود الذين كان
لها سعيهم وفيها رغبتهم وقال اذا استحقت ولاية الله والسعادة
جاء الاجل بين العينين وذهب الامل وراء الظهر واذا استحقت ولاية
الشيطان والشقاوة جاء الامل بين العينين وذهب الاجل وراء الظهر و
سئل اي المومنين اكيس فقال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم له استعدادا وقال امير
المومنين عليه السلام ما انزل الموت حق منزلته من عد غدا من اجله وقال
ما اطال عبد الامل الا اساء العمل وكان يقول لو راى العبد اجله وسرعته اليه
لابغض العمل من طلب الدنيا وقيل للباقر عليه السلام حدثني ما انتفع به قال
اكثر ذكر الموت فانه لم يكثر ذكره انسان الا زهد في الدنيا وقال الصادق عليه السلام

اذا انت حملت جنازة فكن كانك انت المحمول وكانك سالت ربك الرجوع الى الدنيا
فيعمل فانظر ماذا تستانف ثم قال عجبا لقوم حبس اولهم عن اخرهم ثم نودي
فيهم بالرحيل وهم يلعبون وقال ما خلق الله يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا
يقين فيه من الموت وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام ذكر
الموت يميت الشهوات في النفس ويقلع منابت الغفلة ويقوي القلب بمواعد
الله ويرق الطبع ويكسر اعلام الهوى ويطفي نار الحرص ويحقر الدنيا وهو معنى
ما قال النبي صلى الله عليه واله فكر ساعة خير من عبادة سنة وذلك عند
ما يحل اطناب خيام الدنيا ويشدها في الاخرة ولا تسكن بنزول الرحمة
على ذكر الموت بهذه الصفة ومن لا يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه
وطول مقامه في القبر وتحيره في القيمة فلا خير فيه قال النبي صلى الله عليه
واله اكثروا ذكر هادم اللذات ثم ذكر تمام الحديث كما مر قال والموت اول
منزل من منازل الاخرة واخر منزل من منازل الدنيا فطوبى لمن اكرم عند النزول
باولها وطوبى لمن احسن مشايعته في اخرها والموت اقرب الاشياء من بني
ادم وهو يعده ابعد فما اجرى الانسان على نفسه وما اضعفه من خلق وفي
الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين لذلك اشتاق من اشتاق وكره من
كره قال النبي صلى الله عليه واله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره
لقاء الله كره الله لقاءه

فصل

اعلم ان الناس اما منهمك في الدنيا مكب
على غرورها محب لشهواتها واما تائب مبتدئ او عارف منته اما المنهمك
فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره ليتاسف على دنياه ويشتغل بمذمته ويفر منه
اولئك الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه
ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون

وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا الا ان يستفيد بذكر الموت التجافي
عن الدنيا ويتنغص عليه نعيمه ويتكدر عليه صفو لذته واما التائب
فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشيه فيفي بتمام التوبة
وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد
وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله عليه السلام من كره
لقاء الله كره الله لقاءه لان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت
لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتاخر عن لقاء الحبيب مشتغلا
بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقاء وعلامة هذا
ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا
واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد للقاء حبيبه والمحب لا ينسى
قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطي مجي الموت ويحب مجيئه
ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين واعلى رتبة منهما
من يفوض امره الى الله فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حيوة بل يكون احب
الاشياء اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى درجة التسليم
والرضا. فصل اعلم ان الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة
فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات
الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه عن كل شي
الا عن ذكر الموت الذي بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او
يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يوثر فيه
وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه واوقع طريق فيه
ان يكثر ذكر اقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت التراب و

تذكر

يتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم وكيف تبددت اجزاؤهم في قبورهم و
كيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم
ومجالسهم وانقطعت اثارهم واوحشت ديارهم فمهما تذكر رجلا رجلا و
فصل في قلبه حاله وكيفية حياته وتوهم صورته وتذكر نشاطه و
تردده وامله في العيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الاسباب
وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه
من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والان قد تهدمت
رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك
وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر
سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى
جاءه الموت في وقت لا يحتسبه فانكشفت له صورة ملك الموت وقرع سمعه
النداء اما بالجنة او بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته
كغفلتهم والسعيد من وعظ بغيره فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول
المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه
بحيث يصير الموت نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى
عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في
التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشي من الدنيا فينبغي ان يتذكر في الحال
انه لا بد من مفارقته. فصل واما قصر الامل فقد قال النبي صلى الله عليه
واله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك
بالصباح وخذ من دنياك لاخرتك ومن حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك لا
تدري ما اسمك غدا وقال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول

الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه يحبب الدنيا
ثم قال ان الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض واذا احب الله عبدا اعطاه الايمان
الا ان للدين ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان
الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الاخرة قد اتت مقبلة الا وانكم في يوم عمل
ليس فيه حساب الا وانكم يوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل و
روي انه صلى الله عليه وآله قد اطلع ذات عشية الى الناس فقال ايها
الناس اما تستحيون من الله عز وجل قالوا وما ذاك يا رسول الله قال
تجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وروي
ان اسامة بن زيد اشترى من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فقال
النبي صلى الله عليه وآله الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة
لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان
حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا
لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني
ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده ان ما توعدون
لآت وما انتم بمعجزين **فصل** اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل و
الاخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها
ثقلت على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب
مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالاماني
الباطلة فيمني نفسه ابدا ما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال
يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال واهل
ودار واصدقاء ودواب وسائر اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر

موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال
امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام بين
يديك فالى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا واذا صار شيخا قال
الى ان تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع من هذا السفر
او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ عن قهر هذا
العدو الذي يشمت بك ولا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق
باتمام ذلك الشغل عدة اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم
ويفضي به شغل الى شغل بل الى اشغال الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسبها
فتطول عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه
من سوف والمسوف مسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف اليوم هو
معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان يكون للخائض
في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات ما فرغ منها الا من اطرحها فما قضى
احد منها لبانته وما انتهى ارب الا الى ارب واصل هذه الاماني كلها الحب للدنيا
والانس بها والغفلة عن قوله عليه السلام احبب ما احببت فانك مفارقه
واما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع
الشباب وليس يتفكر المسكين في ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر
اهل البلد وانما قلوا لان الموت في الشبان اكثر والى ان يموت شيخ يموت الف
صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجاة ولا يدري ان
ذلك غير بعيد وان كان بعيدا فالمرض فجاة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاة
واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت
مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وليل ونها

لعظم اشتغاله بالاستعداد له واستشعاره ولكن الجهل بهذه الامور
وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو
ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله ووقوعه فيه ويشيع
الجنائز ولا يقدر ان تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهدة
موت غيره فاما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصور ان يألفه فانه لم يقع
فاذا وقع لا يقع دفعة اخرى بعده فهو الاول وهو الآخر واذا عرفت ان سبب
طول الامل الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر
الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة واما
حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي
اعيى الاولين والآخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الآخر وما فيه
من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل اليقين بذلك ارتحل عن قلبه
حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو من القلب حب الحقير فاذا رأى
حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها فكيف
وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها و
يترسخ في القلب حبها مع الايمان بالآخرة فنسأل الله تعالى ان يرينا الدنيا كما
اراها الصالحين من عباده **الباب الخامس في الاخاء والالفة** قال الله تعالى
في معرض الامتنان لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن
الله الف بينهم وقال عز وجل فاصبحتم بنعمته اخوانا يعني بالالفة ثم ذم التفرق
ونهى عنها فقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال ولا تكونوا كالذين
تفرقوا واختلفوا وقال النبي صلى الله عليه وآله اقربكم مني مجلسا يوم القيمة
احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقال المؤمن الف مألوف

ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقال في الثناء على الاخوة في الدين من اراد
الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال من آخى اخا في
الله رفع الله له درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله وقال ان الله تعالى
يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون
من اجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من اجلي وقال لا تباغضوا ولا تحاسدوا
ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث وقال
المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف ان قيد انقاد وان انيخ على صخرة استناخ
وقال امير المؤمنين عليه السلام اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان واعجز منه
من ضيع من ظفر به وقال النبي صلى الله عليه وآله اوثق عرى الايمان الحب
في الله والبغض في الله والتولي لاولياء الله والتبري من اعداء الله وقال
السجاد عليه السلام اذا جمع الله الاولين والآخرين قام مناد فنادى يسمع
الناس فيقول اين المتحابون في الله قال فيقوم عنق من الناس فيقال لهم
اذهبوا الى الجنة بغير حساب قال فتلقاهم الملائكة فيقولون الى اين فيقولون
الى الجنة بغير حساب قال فيقولون فاي حزب انتم من الناس فيقولون نحن المتحابون
في الله قال فيقولون واي شيء كانت اعمالكم قالوا كنا نحب في الله ونبغض في
الله قال فيقولون نعم اجر العاملين وقال الباقر عليه السلام اذا اردت ان
تعلم ان فيك خيرا فانظر الى قلبك فان كان يحب اهل طاعة الله ويبغض
اهل معصيته ففيك خير والله يحبك واذا كان يبغض اهل طاعة الله ويحب
اهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من احب وقال
الصادق عليه السلام ما التقى مؤمنان قط الا كان افضلهما اشدهما
حبا لاخيه وقال كل من لم يحب في الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له

فصل اعلم ان الحب في الله والبغض في الله غامض وانما ينكشف
الغطاء عنه بان يعلم ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة
بحسب الجوار او بحسب الاجتماع في مدرسة او سوق او سفر او على باب السلطان
او غير ذلك والى ما ينشا اختيارا او يقصد وهو الذي يبعث على الاخوة في الدين
اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية ولا ترغيب الا فيها والصحبة عبارة
عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد بها الانسان
غيره الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا يقصد مخالطته
والذي يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل به الى محبوب ومقصود
وراءه واما ان يحب ليتوصل به الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون
مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالاخرة واما ان يكون
متعلقا بالله تعالى فهذه اربعة اقسام اما القسم الاول وهو حبك
الانسان لذاته وذلك ممكن وهو ان يكون هو في ذاته محبوبا عندك على معنى
انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك له فان كل
جميل لذيذ في حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان
والاستحسان يتبع المناسبة والملايمة والموافقة بين الطباع ثم ذلك
المستحسن اما ان يكون الصورة الظاهرة اعني الخلقة واما ان يكون الصورة
الباطنة اعني كمال العقل وحسن الخلق ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال
لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم
والعقل المستقيم وكل مستحسن مستلذ به ومحبوب بل في ايتلاف
القلوب امر اغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة
في صورة وحسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة

فان

فان شبه الشيء ينجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب
دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها وعنه عبر رسول الله صلى الله
عليه واله بقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر
منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين والايتلاف نتيجة التناسب الذي عبر عنه
بالتعارف فيدخل في هذا القسم المحبة للجمال اذا لم يكن المقصود قضاء
الشهوة فان الصورة الجميلة مستلذة في عينها وان قدر فقد اصل الشهوة
حتى يستلذ بالنظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح المشوب بالحمرة
والى الماء والخضرة من غير غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله
بل هو الحب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله الا انه
ان اتصل به غرض مذموم صار مذموما والا فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم
القسم الثاني ان يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره
والوسيلة الى المحبوب محبوب ولذلك يحب الناس الذهب والفضة من حيث
انهما وسيلة الى المقاصد ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم
امره في قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصود الفايدة دنيوية لم يكن من جملة
الحب في الله ثم ينقسم ذلك الى مذموم ومباح القسم الثالث ان يحبه لا
لذاته بل لغيره وذلك الغير غير راجع الى حظوظه في الدنيا بل يرجع الى حظوظه
في الاخرة وهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه
يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل
الفوز في الاخرة فهذا من جملة المحبين لله وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف
منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويترقى به الى درجة التعظيم في ملكوت
السماء قال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت

السماء ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو ادون الدرجات في تحصيل هذا الكمال فان احبه
لانه آلة له اذجعل صدره من زرع لحرثه فهو محب لله بل نزيد ونقول من يجمع الضيفان
ويهيئ لهم الاطعمة اللذيذة تقربا الى الله فاحب طباخا يحسن صنعته في الطبخ فهو من
جملة المحبين في الله وكذا الواجب من يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين
فقد احبه في الله بل نزيد على هذا فنقول من احب من يخدمه بنفسه في غسل
ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه وتفرغه بذلك للعلم والعمل ومقصوده
من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله القسم الرابع
ان يحب لله وفي الله لا لينال منه علما او عملا او يتوسل به الى امر وراء ذاته
وهذا اعلى الدرجات وهو ادقها واغمضها وهذا القسم ايضا ممكن فان من
اثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه و
لو من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه
واحب من يخدمه واحب من يثني عليه محبوبه واحب من يتسارع الى رضا محبوبه
قال المجنون • امر على الديار ديار ليلى • اقبل ذا الجدار وذا الجدارا • وما حب الديار
شغفن قلبي • ولكن حب من سكن الديارا • فاذن المشاهدة والتجربة تدلان على ان
الحب يتعدى من ذات المحبوب الى ما يتعلق به ولو من بعد ولكن ذلك خاصية فرط
المحبة فاصل المحبة لا يكفي فيه وقد مضى تمام الكلام فيه في باب المحبة ثم اعلم ان
من يحب في الله لابد وان يبغض في الله فانك ان احببت انسانا لانه مطيع لله و
محبوب عند الله فان عصاه لابد وان تبغضه لانه عاص فيه وممقوت عند الله و
يترشح بظهور افعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة وفي الموافقة والمخالفة
فاذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة وروي ان الله اوحى الى نبي من الانبياء اما
زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت بي ولكن

هل عاديت في عدوا او واليت في وليا وقال عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض
اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضاء الله بسخطهم قالوا
يا روح الله من نجالس قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد في علمكم كلامه
ومن يرغبكم في الاخرة عمله **فصل** قال الباقر عليه السلام قام رجل بالبصرة
الى امير المؤمنين عليه السلام فقال يا امير المؤمنين اخبرنا عن الاخوان فقال الاخوان
صنفان اخوان الثقة واخوان المكاشرة فاما اخوان الثقة فهم الكهف والجناح
والاهل والمال فاذا كنت من اخيك على حد الثقة فابذل له مالك وبدنك وصاف من
صافاه وعاد من عاداه واكتم سره وعيبه واظهر منه الحسن واعلم ايها السائل انهم
اقل من الكبريت الاحمر واما اخوان المكاشرة فانك تصيب لذتك منهم فلا تقطعن
ذلك منهم ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم وابذل لهم ما بذلوا لك من
طلاقة الوجه وحلاوة اللسان واكثر التبسم كاشرهم كشف له عن انيابه وقال
الصادق عليه السلام قال امير المؤمنين عليه السلام لا عليك ان تصحب ذا العقل
وان لم تحمد كرمه ولكن انتفع بعقله واحترس من سيئ اخلاقه ولا تدعن صحبة
الكريم فان لم تنتفع بعقله ولكن انتفع بكرمه بعقلك وافرر كل الفرار من
اللئيم الاحمق وقال الصادق عليه السلام عليك بالتلاد واياك وكل محدث لا
عهد له ولا امان ولا ذمة ولا ميثاق وكن على حذر من اوثق الناس في نفسك
فان الناس اعداء النعم وقال عليه السلام لا تكون الصداقة الا بحدودها
فمن كانت فيه هذه الحدود او شيء منها فانسبه الى الصداقة ومن لم يكن
فيه شيء منها فلا تنسبه الى شيء من الصداقة فاولها ان يكون سريرته و
علانيته لك واحدة والثانية ان يرى زينك زينه وشينك شينه والثالثة
ان لا تغيره عليك ولاية ولا مال والرابعة ان لا يمنعك شيئا تناله مقدرته

والخامسة وهي تجمع هذه الخصال ان لا يسلمك عند النكبات وفي مصباح
الشريعة قال الصادق عليه السلام قد قل ثلثة اشياء في كل زمان الاخاء في الله
والزوجة الصالحة الاليفه في دين الله والولد الرشيد ومن اصاب احد الثلثة
فقد اصاب خير الدارين والحظ الاوفر في الدنيا واحذر ان تواخي من اراد
لطمع او خوف او فشل او اكل او شرب واطلب مواخاة الاتقياء ولو في ظلمات
الارض ولو افنيت عمرك في طلبهم فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض
افضل منهم بعد النبيين وما انعم الله على العبد بمثل ما انعم به من
التوفيق بصحبتهم قال الله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
واظن ان من طلب في زماننا هذا صديقا لا عيب فيه بقي بلا صديق الا ترى ان
اول كرامة اكرم الله بها انبياءه عند اظهار دعوتهم بصديق امين او ولي
وكذلك من اجل ما اكرم الله به اصدقاءه واولياءه وامناءه صحبة انبيائه
هو دليل على ان ما في الدارين نعمة اجل واطيب وازكى من الصحبة في الله والمواخاة
لوجهه **خاتمة الكتاب** اعلم ان ما اوردناه في هذا الكتاب وحققناه في هذه
المقالات والابواب من الاسرار الدينيه والمعارف اليقينيه وما اشرنا اليه
من رموز العقايد وما بسطنا الكلام فيه من بيان الاخلاق المحموده والمذمومة
ومن اسرار الاعمال الحسنة والسيئة قلما توجد في غيره من الكتب بهذا
التنقيح والتهذيب وهذا التوضيح والترتيب مع ابتناء ماخذ جملها على الاصول
الاصلية التي لا اعتماد الا عليها ولا وثوق الا بها من الكتاب والسنة واحاديث
اهل بيت النبوة دون اراء الناس من اصحاب الوسواس الخناس الذي يوسوس في
صدور الناس من الجنة والناس ولقد وفقني الله تعالى لجمعها وتاليفها في مدة
اشهر قلايل من سنة تسعين والف الهجرية حين كنت اشرفت على الرحيل وكان

اللهم ارحم خلفائي قيل يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين ياتون بعدي
ويروون حديثي وسنتي وفي الحديث العلوي ان كمال الدين طلب العلم و
العمل به وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال وان المال مقسوم
مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وقد ضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند
اهله فاطلبوه وعن السجاد عليه السلام لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه
ولو بسفك المهج وخوض اللجج وعن الباقر عليه السلام عالم ينتفع بعلمه افضل
من سبعين الف عابد وعن الصادق عليه السلام من علم خيرا فله مثل اجر
من عمل به وعن الرضا عن ابائه عن النبي صلى الله عليه وعليهم انه قال طلب العلم
فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم في مظانه واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله حسنة
وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة و
بذله لاهله قربة الى الله تعالى لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة
والمونس في الوحشة والصاحب في الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل
على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله تعالى به
اقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتبس اثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى الى ارائهم
ترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلواتها تبارك عليهم ويستغفر
لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه ان العلم
حياة القلوب من الجهل وضياء الابصار من الظلمة وقوة الابدان من الضعف
يبلغ بالعبد منازل الاخيار ومجالس الابرار والدرجات العلى في الاخرة والاولى
الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الرب ويعبد وبه توصل
الارحام ويعرف الحلال والحرام العلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء
فطوبى لمن لم يحرمه الله تعالى من حظه والاخبار في فضيلة العلم وشرفه اكثر من ان يحصى

فصل اعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لذاته و
الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته اشرف وافضل
مما يطلب لغيره وما يطلب لذاته ولغيره اشرف مما يطلب لذاته فحسب والمطلوب
لغيره كالدنانير والدراهم فانهما حجران لا منفعة فيهما ولولا ان الله عز وجل
يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصى بمنزلة واحدة والذي يطلب لذاته كاللذات
والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مطلوبة
من حيث انه سلامة عن الالم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات
وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته
ووجدته وسيلة الى سعادة الدنيا والاخرة وذريعة الى القرب من الله فانه لا
يتوصل اليها الا به واعظم الاشياء رتبة في حق الادمي السعادة الابدية و
القرب من الله وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليهما ولا يتوصل اليهما الا
بالعلم ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادة في
الدنيا والاخرة هو العلم فهو اذن افضل الاشياء وكيف لا وقد يعرف فضيلة
الشيء بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق
بافق الملائكة ومقاربة الملا الاعلى هذا في الاخرة واما في الدنيا فالعز والوقار
ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء الترك و
اجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم
بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز
الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم باختلاف
مراتبها فتتفاوت لا محالة فضايلها بتفاوتها الى ان ينتهي الى معرفة الله تعالى
بحقيقة اليقين التي هي اصل كل معرفة راسخة، قال الصادق عليه السلام

والعلم

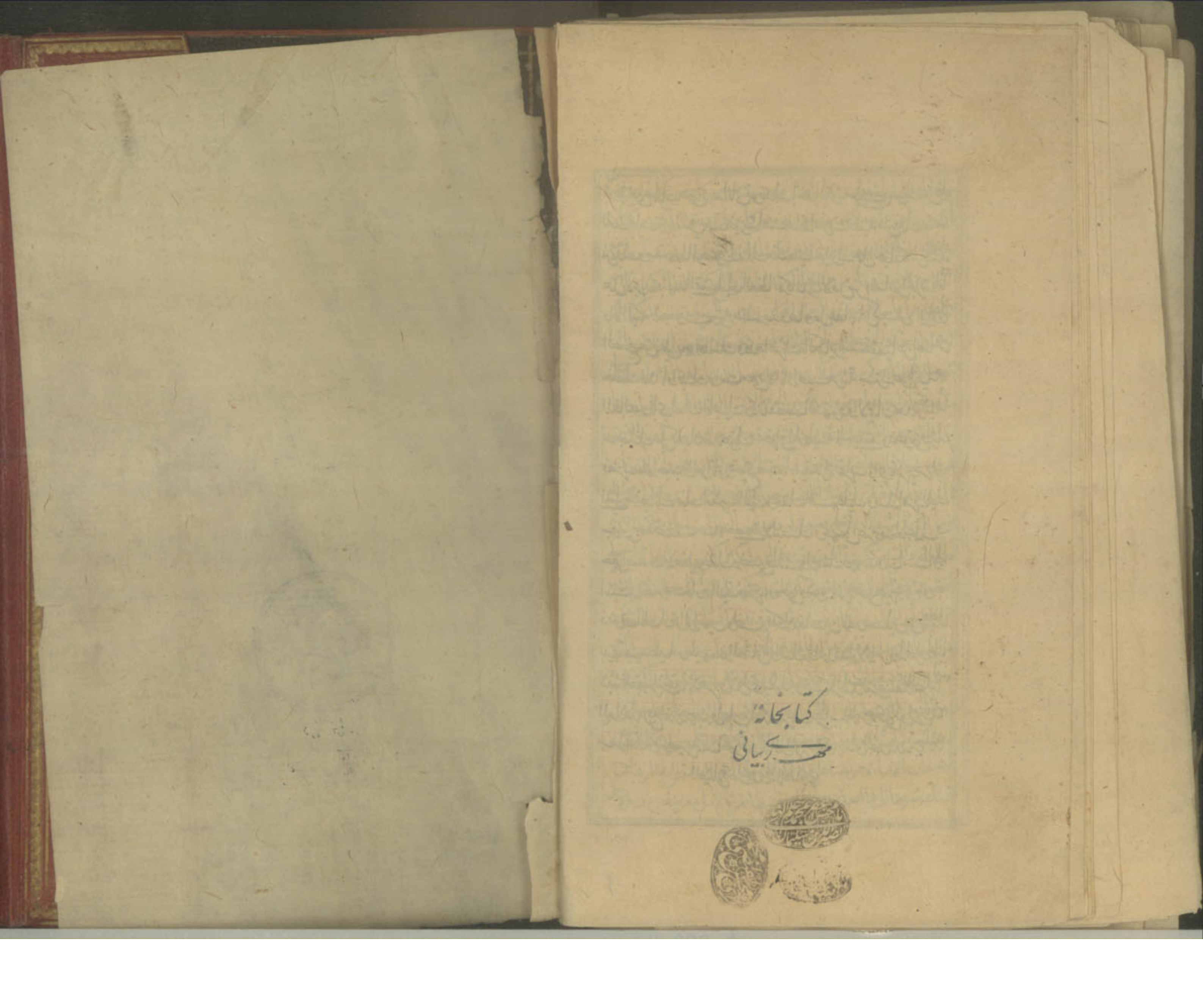
لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدوا اعينهم الى ما متع به الاعداء
من زهرة الحيوة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم اقل عندهم مما يطؤونه بارجلهم
ولنعموا بمعرفة الله تعالى وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان
مع اولياء الله ان معرفة الله تعالى انس من كل وحشة وصاحب من كل
وحدة ونور من كل ظلمة وقوة من كل ضعف وشفاء من كل سقم ثم قال قد
كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم
الارض برحبها فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترة وتروا
من فعل ذلك بهم ولا اذى بما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد
فسلوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم فصل
العلم علمان علم الدنيا وعلم الاخرة وعلم الدنيا ما يرتبط به مصالح الدنيا
كالطب والحساب وعلم الاخرة علمان علم يقصد لذاته وعلم يقصد للعمل
ليتوسل به الى العلم المقصود لذاته فان اريد بالدنيا ما يتعلق بعلم الدنيا وعلم
الاخرة محمود كله واما علم الدنيا فمنه محمود ومنه مذموم، اما العلم المقصود
لذاته فهو نور يظهر للقلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة فتنكشف
من ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماءها ويتوهم لها معان مجملة غير متضحة
فيتضح له ذلك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته
التامات بقدر الامكان وبافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والاخرة ووجه ترتيب
الاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي وبمعنى الامامة والامام ومعرفة
معنى الوحي والالهام ومعنى الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان
وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي الى النبي وحديث الملك
مع الامام والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفيته

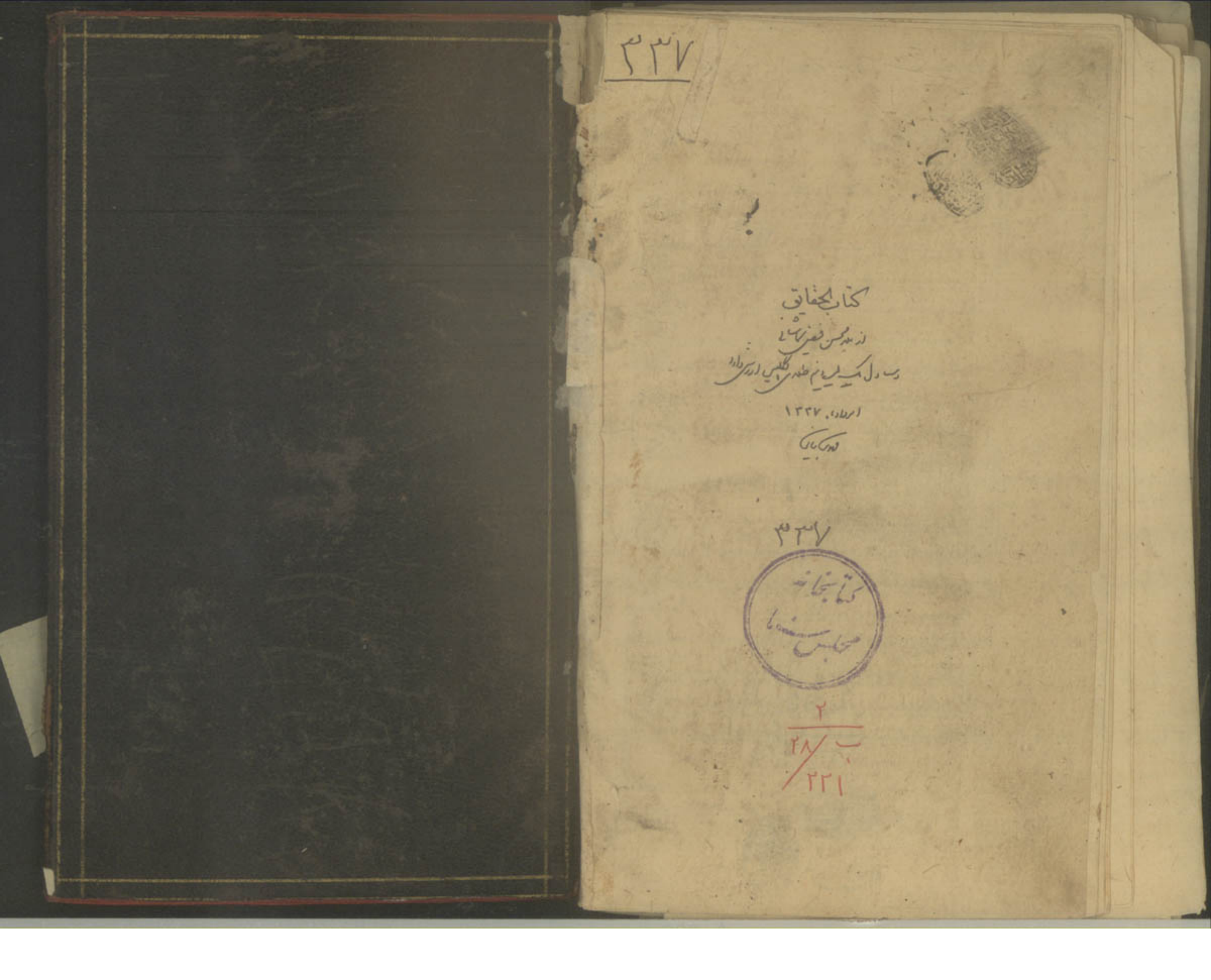
تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك و
لمة الشيطان ومعرفة الاخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط و
الميزان والشفاعة والحساب ومعنى قوله عز وجل وكفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا ومعنى قوله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون
ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والمقام
في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الاعلى ومقاربة الملائكة و
النبيين ومعنى تفاوت درجات اهل الجنة حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى
الكوكب الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله فان للناس في
معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات فبعضهم يرى ان جميع ذلك
امثلة وان الذي اعد لعباد الله الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت
لا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء و
بعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقايقها المفهومة من
الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله سبحانه الاعتراف بالعجز عن
معرفته وبعضهم يدعي امورا عظيمة في المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول
حد معرفة الله تعالى ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه سبحانه عالم
قادر سميع بصير متكلم مريد فنعني بالعلم المقصود لذاته ان يرتفع الغطاء حتى
يتضح جلية الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا شك فيه
وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا ان مراة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات
الدنيا فلا بد من تصقيل هذه المراة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه
وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات
والاقتداء بالانبياء والائمة عليهم السلام في جميع احوالهم فبقدر ما يجلي

قد مضى من عمري ثلث وثمانون ونيف قليل وكان قد اكتنفني اسباب اختلال
الاحوال وتشتت البال من امراض وعلل جسمانية غير مرجوة الزوال وانما وفقني الله
لذلك بسبب ما انعم الله علي من العقايد الحقة وبما تفضل الله به علي من موالاة
اوليائه ومعاداة اعدائه بعد ان عرفني الله اولياءه واعداءه بوحي منه سبحانه
الى رسوله وتبليغ رسوله الى عباده وتسليمي له بمعونته وارشاده واما فايدة هذا
الجمع والتاليف وجدواه فهي ان يطلع عليه من كان من اهله ورزق التوفيق
من الله وقويت همته وبلغ سعيه منتهاه فيعمل بمقتضاه ثم يعود بمبتغاه ومن
كان دونه يعمل به بقدر مقدوره وعلى حسب ميسوره وهكذا الى من ينتفع به
بشيء يسير ويوزن سنبلة من بيدر كبير واما امثالنا من الذين يقولون ما
لا يفعلون وينسون انفسهم اذا كانوا بالبر يامرون ففايدته في حقهم زيادة بصيرتهم
في تقصيرهم وقصورهم حتى يصير ذلك سببا لمقتهم انفسهم وذلهم وانكسارهم واطلاعهم
على بواطن عيوبهم وفضايح غيوبهم وانزجارهم فان الايمان يقتضي ان لا يرضى العبد
المؤمن لنفسه ما لا يرضى الله مولاه فاذا لم يرض به يكون لا محالة دائم الحزن والندم
كثير الغم والالم فاذا كان كذلك يرجى له ان يتداركه الله بالرحمة والمغفرة فان الله غفور
رحيم وقد ورد العبد ليذنب الذنب فلا يزال منه خائفا ما قتا لنفسه فيرحمه الله
فيدخله الجنة وما خرج عبد من ذنب الا بالاقرار والاعتراف بالذنب كفاته لو من
اذنب ذنبا فعلم ان الله مطلع عليه ان شاء عذبه وان شاء غفر له غفر الله له
وان لم يستغفر ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن
نستغفر الله من كل ما زل به القدم او طغى به القلم ومن اقوالنا التي لا يوافقها اعمالنا و
مما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله مع التقصير فيه ومن كل علم وعمل قصدنا
به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ومن كل وعد وعدنا به من انفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ومن كل

نعمة انعم الله بها علينا فاستعملناها في معصيته ومن كل تصريح وتعريض بنقصان
ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ومن كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف
تزينا للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه ثم نرجع
اليه بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا او كتبه او سمعه
ان يتفضل علينا بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات فان الكريم عميم
الرحمة واسع الجود على اصناف الخلائق فايض ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة لنا
اليه الا فضله وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان لله تعالى
مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فبها
يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيمة
الهي درست الآمال وتغيرت الاحوال وكذبت الالسن واخلفت العدات الا عداتك
فانك وعدت مغفرة وفضلا اللهم صل على محمد وآل محمد واعطني من فضلك
واعذني من الشيطان الرجيم سبحانك وبحمدك ما اعظمك واحلمك واكرمك وسع
حلمك تمرد المستكبرين واستغرقت نعمتك شكر الشاكرين وعظم حلمك عن احصاء
المحصين وجل طولك عن وصف الواصفين كيف لولا فضلك حلمت عمن خلقته
من نطفة ولم يك شيئا فربيته بطيب رزقك وانشاته في تواتر نعمك ومكنت
له في مهاد ارضك ودعوته الى طاعتك فاستنجد على عصيانك باحسانك و
عبد غيرك في سلطانك كيف لولا حلمك امهلتني وقد شملتني بسترك واكرمتني
بمعرفتك واطلقت لساني بشكرك وهديتني السبيل الى طاعتك وسهلتني
المسلك الى كرامتك واحضرتني سبيل قربتك فكان جزاؤك مني ان كافاتك عن
الاحسان بالاساءة حريصا على ما اسخطك منتقلا فيما استحق به المزيد من
نقمتك سريعا الى ما ابعد من رضاك مغتبطا بغرة الامل معرضا عن زواجر الاجل

لم يقنعني حلمك عني وقد اتاني توعدك باخذ القوة مني حتى دعوتك على عظيم
الجنة استزيدك في نعمك غير متاهب لما قد اشرفت عليه من نقمتك مستبطئا
لمزيدك ومتسخطا الميسور رزقك متقاضيا جوائزك بعمل الفجار كالمراصد رحمتك
بعمل الابرار مجتهدا اتمنى عليك العظائم كالمدل الامن من قصاص الجرائم فانا لله
وانا اليه راجعون مصيبة عظم رزؤها وجل عقابها بل كيف لولا املي وعدك
الصفح عن زللي ارجو اقالتك وقد جاهرتك بالكبائر مستخفيا عن اصاغر
خلقك فلا انا راقبتك وانت معي ولا انا راعيت حرمة سترك على باي وجه
القاك وباي لسان اناجيك وقد نقضت العهود والايمان بعد توكيدها
وقد جعلتك علي كفيلا ثم دعوتك مقتحما في الخطيئة فاجبتني ودعوتني واليك
فقري فلم اجب فواسوأتاه وقبح صنيعاه اية جراة تجرات واي تغرير غررت
نفسي سبحانك فبك اتقرب اليك وبحقك اقسم عليك ومنك اهرب اليك
بنفسي استخففت عند معصيتي لا بنفسك وبجهلي اغتررت لا بحلمك و
حقي اضعت لا عظيم حقك ونفسي ظلمت ولرحمتك رجوت ولما امنت اليك
انبت وتضرعت فارحم اليك فقري وفاقتي وكبوتي لحر وجهي وحيرتي في سوء
ذنوبي انك ارحم الراحمين ولنختم الكلام حامدين لله ومصلين على نبيه واهل
بيت نبيه عليه وعليهم الصلوة والسلام والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا
كتبه الفقير الى الله الغني في الآخرة والاولى محمد المدعو بعبد الهادي ابن مصنفه المنتخب الماتن له
العلامة رفع الله درجته واعلى مقامه وفرغ من كتابته لشهر جمادى الاولى من شهور
سنة ثلاث وتسعين والف الهجرية وانا اقل الورى محمد رضا والحمد لله رب العالمين
الصلوة على محمد وآله الطاهرين




کتاب الحقایق
از ملا محسن فیض کاشانی
امرداد ۱۳۲۷
کتابخانه مجلس

